إعرف ذاتك تعرف ربك...

الدكتور
موفق مهدي جاسم

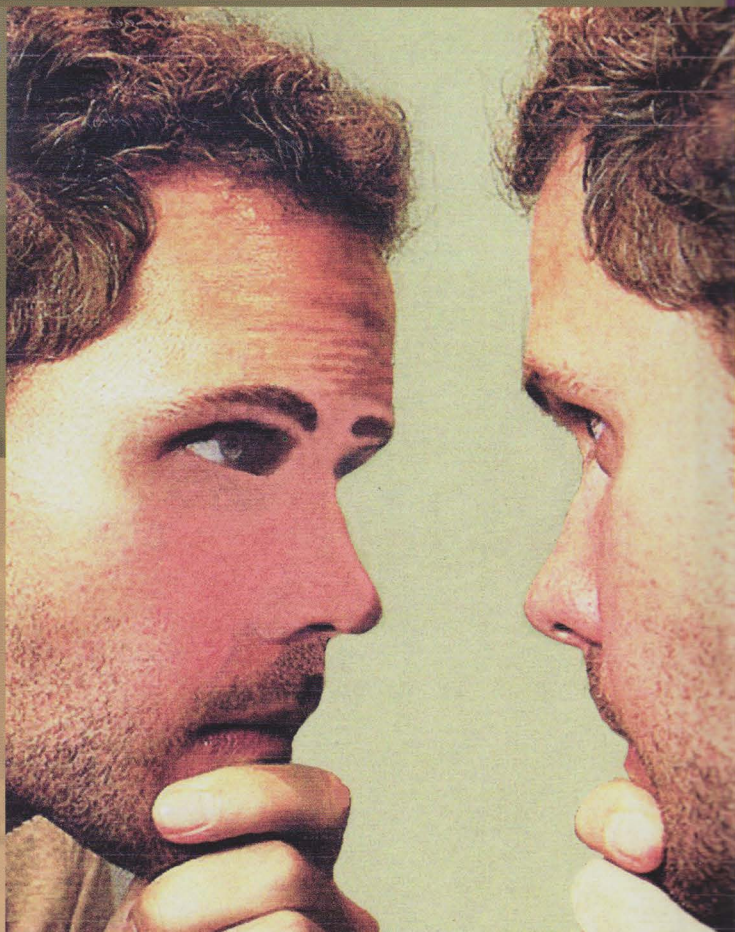

دار روافد

اعرف ذاتك تعرف ربك

اعرف ذاتك
تعرف ربك

تأليف
الدكتور موفق مهدي جاسم

دار روافد

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

دار روافد

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

ت: 71/868980

darrawafed@yahoo.com

التنفيذ الطباعي: دار المحجة البيضاء

المقدمة

لماذا الحاجة للآلهة؟

في أثناء العصور القديمة، لعب الدين دوراً مهماً في حياة الناس وعدة أنواع من الآلهة عُبِدَت.

بالنسبة للعِرق الآري:

في الهند القديمة، هم عبدوا إله الطبيعة التي تحيط بهم. هذا لأنه لم يكن باستطاعتهم السيطرة على الظروف المناخية المحيطة بهم، لذا اختاروا إلههم وأعطوه صفات شخصية، على سبيل المثال الإله **إندرا** (Indra) كان إله الحرب، الإعصار والمطر وهو أكثر تقديساً لدى الآريين من باقي الآلهة. **سريا** (Syrya) كان إله الشمس. **أكني** (Agni) كان إله النار له قوة في شفاء المرضى، الحماية، الدفاع والتحطيم. وهذا الإله كان إلهاً مهماً، لأن النار هي عامل مهم في طقوسهم الدينية وتضحية الحيوانات، وعقد الزواج. كان الإله الذكر هو الغالب. كان هناك ثلاثة وثلاثون إلهاً وليس بينهم تدرّج في سلسلة المراتب. الآريون لم يهملوا وحدة الرب. بل اعتقدوا بوجود إله شامل وجميع باقي الآلهة هي ظواهر للإله الأعظم.

شعب المايا (Maya)

في أميركا الجنوبية اعتقدوا أن الطبيعة لها علاقة بالعالم غير المرئي. لذا هم عبدوا آلهة مختلفة مثلهم مثل الآريين في الهند، فيما يتعلق بالطبيعة مثلاً هم عبدوا إله الشمس كنج آهو (Kinich Ahau) فهم اعتقدوا أن بإمكانهم الاتصال بالإله الساكن في السماء من خلال الصلاة، والرؤيا والتضحية.

الإغريق

(اليونان) يضعون النذور على مذبح المعبد خارج البرثنون (Parthenon) حتى يدفع عنهم البلاء وليبارك لهم حياتهم، وكذلك يطلبون النصائح من آلهتهم.

في مصر القديمة:

هم عبدوا آلهة متعددة ذات أشكال بشرية ورؤوس حيوانات أو طيور.

الإله را (Ra) إله الشمس وإله أوسيريس (Osiris) يحكم عالم الأموات، وهو وحده يقرّر من يدخل عالم الأرواح.

السومريون:

لهم إله السماء، إله الأرض، إله الماء. لقد شعروا أن من واجبهم إطعام وإيواء آلهتهم. لذا بنوا عدة معابد لهم لكي يعيشوا فيها.

الصينيون:

لهم إله الطبيعة.

الشعوب القديمة اعتقدت بارتباط الآلهة بالطبيعة لتوفير البركة والحماية.

إله المناخ هو إله مهم جداً لأنه يوفر المطر الذي يزيد إنتاجهم ومحاصيلهم وثروتهم وأرزاقهم.

الديانات الهندوسية والبوذية في الهند:

في الهند القديمة عبدوا إله الطبيعة. في سنة (٦٠٠ ـ ٨٠٠) قبل الميلاد، إله الطبيعة هذا أصبح أقل أهمية، فتحولوا من عبادة النار وتضحية الحيوانات في طقوسهم الدينية إلى عبادة إله شخصي، وكذلك هناك تحوّل تدريجي من التركيز على الشعائر الدينية فقط، إلى علاقة شخصية مباشرة بين الإله والمتعبّد. أصبح للناس دافع للقيام بالأعمال الخيرية والتيقن أن طريق النجاة هو بالعبادة والزهد، وهذا كان بداية الطريق إلى **الديانة الهندوسية** التي تقبلت جماهير الفلاحين ولم تكن الديانة مقتصرة على السادة النبلاء في مجتمعهم. بدأت الديانة الهندوسية تعتقد بالثالوث المقدس ووحدة الكون، الخالق والمخلوق وروح الخلق هي واحد.

الديانة البوذية:

تطورت بعد الهندوسية بفترة طويلة في الهند، حوالي سنة ٥٦٣ قبل الميلاد ووجد مؤسسها بوذا أن حياة الزهد هي ليست طريق النجاة ولكن بدل ذلك هو رأى التأمل والصلاة هو طريق النجاة. البوذية تؤمن بوحدة الكون وبإله كلي الوجود مثلها مثل الديانة الهندوسية.

بوذا قاد طريقة من الحياة سُميت بالبوذية، وانتشرت بسرعة بين الشعوب. البوذية ساعدت على تخليص الديانة الهندوسية من بقايا النذور والشعائر الدينية التي استورثتها من الديانات القديمة.

وكذلك ساعدت الهند على تأسيس علاقات مع دول أجنبية. هي ساعدت على رفع القيم الأخلاقية للشعوب، وشجعت روح السلام والأمان الروحي، وساعدت على نشر روح العدالة الاجتماعية نظراً لدخول طبقات اجتماعية مختلفة إلى الديانة البوذية. في هذه الأيام من عصرنا الحاضر لا زالت الديانة الهندوسية والبوذية تمارس في أجزاء كثيرة من العالم من قِبَل ناسٍ كثيرين في جميع أنحاء العالم.

الديانة المسيحية:

وجدت سنة (٤) ميلادية بعد ميلاد عيسى المسيح عليه السلام. هي ديانة تؤكد على ممارسة أعمال الخير والتعامل بلطفٍ وحنانٍ مع الآخرين، وتطوير صفات الرحمة والشفقة، والتواضع، والرقة، والصبر، في ذات الإنسان.

والشيء المهم في صفات الشخص المسيحي هو المسامحة وعدم الأخذ بالثأر من المعتدين. هذه الديانة انتشرت في جميع أنحاء العالم. المسيحية كدين تؤمن بإله دكتاتور في السماء يحكم الكون.

الإسلام:

ظهر الإسلام في القرن السادس الميلادي ومؤسسه هو النبي

محمدﷺ. هو دين يدعو إلى الشفقة، والمحبة، والرحمة، والتواضع، والصبر.

وللإسلام انتشار واسع في جميع أنحاء العالم.

الإسلام كدين يؤمن بإله دكتاتور في السماء يحكم الكون. لكن عيسى المسيح عليه السلام والنبي محمداً ﷺ يؤمنان بوحدة الكون وأنهما الحق، لكنهما لم يتمكنا من أن يدخلا هذا المفهوم إلى عقول بدائية قبلية. فالأنبياء هم صوفيون في علاقتهم مع الله ومبشرون ومشرّعون ومرشدون في علاقتهم مع العامة. جاءت الصوفية لتعلن بشجاعة عن تلك العلاقة الحميمة بين الإنسان والإله، وراح ضحيتها الكثير، وهي تُحَارب وتضطهد من قبل الحكومات والعامة حتى يومنا هذا لأنهم يرفضون مفهوم الإله الدكتاتور المنفصل عن الإنسان.

الصوفية:

هي ديانة تفرعت من الإسلام، وهي تتوافق مع الديانات الهندوسية والبوذية في إيمانها بإله كلي الوجود ووحدة الكون.

النذور:

لماذا هناك ثمة حاجة للتضحية؟

في الهند القديمة التضحية تقدم إلى الآلهة للحصول على فضل منها في المناخ، القوة، وتساعد على المحافظة على توازن الكون. في اعتقادهم أن تضحية الحيوانات تؤدي إلى سرور الآلهة، وبالتالي إلى

زيادة إنتاج الطعام والحيوانات وانتصارهم في الحروب. أما تضحية شعوب المايا للحيوانات فهذه كانت وسيلتهم للاتصال بالعالم الروحي. وكذلك اعتقدت شعوب المايا أنه حتى الآلهة تضحي بأنفسها لكي تخلق العالم الذي نعيشه اليوم.

تضحية الإغريق للحيوانات كانت ابتغاء رضاء الآلهة. وفي بعض الشعوب مثل الأنكا (Inka) كانت تضحي بالبشر لكي تسعد الآلهة ولمنع الكوارث الطبيعية التي تودي بحياة كثير من البشر، وعندما يكون الإله سعيداً فإن البشر يتمتعون بسعادة وازدهار وسلام.

كان ولا يزال الدين يلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان. الدين هو مصدر راحته النفسية في أوقات الضيق. الديانات وجِدَت منذ آلاف السنين لتصلح البشر، لكن تأريخها للأسف ملطخ بالدماء.

الفصل الأول
الذات الجسدية

هزّات أرضية

أعاصير

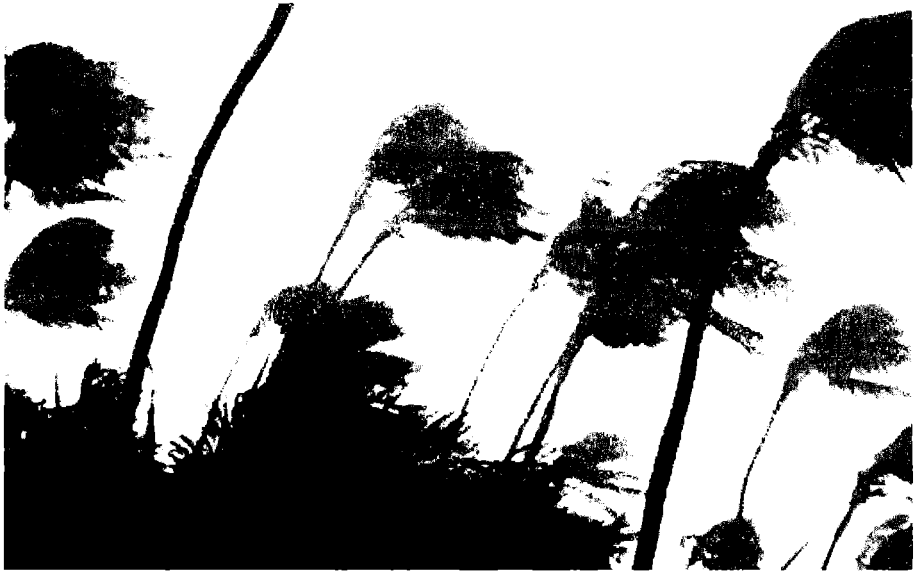

فيضانات

فيضانات

فيضانات وسيول

حرائق

صواعق وبراكين

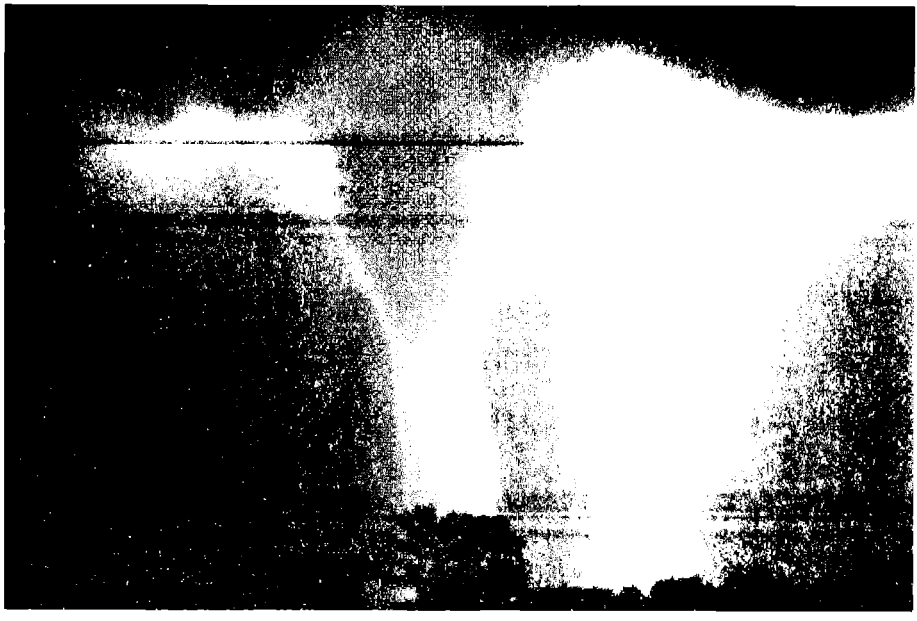

براكين

الله هو شيء يمكن أن نستمد منه المعرفة والإرشاد. هذه المعرفة التي نستخدمها في حياتنا اليومية لا تأتي إلينا بشكل كلمات أو جمل لتعلمنا كيف نتنفس أو نبلع الطعام أو نرى أو نسمع أو كيف يجري الدم في أجسامنا؟ هضم الطعام أو مقاومة الأمراض أو الهرب من الخطر، هذه حكمة حقيقية لكن العقل ليس له سيطرة عليها. الطيور المهاجرة تعود إلى أعشاشها من مسافات طويلة سنة بعد أخرى، النباتات تخترع طرقاً عديدة لأجل نشر بذورها على الرياح. الكرّ والفرّ هي استجابات جسم الإنسان للمحيط الذي حوله. أنا خائف، حياتي مهددة فأنا إما أن أواجه الخطر وأنتصر عليه، أو أن أفرّ منه لكي أبقى على قيد الحياة. هذه الاستجابة الدماغية ومفهوم الإنسان البدائي لغريزة البقاء هو أن هناك إلهاً خارج كيان الإنسان يريد حمايتنا. هو مثل الأب الذي يحمي أطفاله ويرشدهم إلى برّ الأمان. لكن في الحقيقة هذا الإله يعمل في داخلنا من دون أن نكون واعين لوجوده، وأعماله كلها تلقائية، غريزية الغرض منها هو إبقاءنا على قيد الحياة.

هذا الإله هو جزءٌ من كيان الإنسان وملازم له في جميع مراحل تطور الذات، وتطور مفهوم الإنسان للإله.

غريزة البقاء:

جميع الكائنات الحية هي مبرمجة لأن تعيش تحت جميع الظروف. هذا البرنامج العصبي مدفون في جيناتنا الوراثية في غريزة البقاء. هذه الغريزة تقوم بالوظائف الفسيولوجية الضرورية لبقاء الجسم مثل التنفس، شرب الماء، أكل الطعام والتخلص من فضلات الجسم، وكذلك الكرّ والفرّ، والابتعاد عن الألم والتقرب من اللذة.

إذا حدث خلل في أيّ من هذه الوظائف فإن الجسم يمرض ويموت، أو يحدث عدم توازن في تفكير وتصرفات الشخص. جميع تصرفات الإنسان الطبيعية يمكن تعقبها إلى غريزة البقاء، وهي تمكن الإنسان من أن يتقدم في حياته وأن يساهم في تقدم البشرية ككل. لكن العدوان والجريمة تقف في طريق تقدم البشرية. بعد إدراكنا أن سلوكية العدوان هي مرتبطة بغريزة البقاء يمكن لنا تعديل حالات عصبية مختلفة وتخفيف تأثيرها السلبي على المجتمع. واحدة من أكثر المواضيع أهمية والتي يتوجب على البشرية حلها هو موضوع العدوان الديني. الأسباب الأساسية لهذا العدوان هو ارتباطه بغريزة البقاء والانفعال الأساسي الذي يقف وراء هذا العدوان هو **الخوف**. الخوف من الموت الذي يؤدي إلى **الغضب**، والغضب يؤدي إلى **الشجار**، والشجار بدوره يؤدي إلى **العنف** والعدوان. على الإنسان أن يكون

واعياً لغريزة البقاء هذه وكيفية ارتباطها بالسلوك الشخصي إن كان إيجابياً أو سلبياً. على سبيل المثال إن كنت جائعاً وتأكل على الدوام، أو غاضباً على الدوام أو انفعالياً. . . الخ، اسأل نفسك لماذا وما مدى ارتباط هذا السلوك بغريزة البقاء؟ إذا كنت إنساناً متديناً بصورة معتدلة أو متعصباً دينياً فإنك مَدين إلى نفسك وملزم بأن تسأل السؤال: لماذا وكيف يرتبط هذا التصرف بغريزة البقاء قبل أن يستفحل ويكبر ويستحوذ على حياتك؟.

إن سرّ الإله الكبير مخفي داخل جمجمة الإنسان. مملكة الرب القديمة هي أكثر بدائية، تحكم بواسطة الانفعالات والغرائز، القوة ونزعة البقاء على قيد الحياة. حياة الكهوف والسهول والجبال التي عاش فيها أجدادنا هي مدفونة بعمق في أدمغتنا، نتذكرها بكلّ مخاطرها ورعبها وجوعها وعطشها. شيء واحد لا يمكن أن يبقينا على قيد الحياة ألا وهو الفوضى. نحن تطورنا لكي نجد الله. اتضح لنا أن الله هو ليس شخصاً، بل هو عملية وتجربة. دماغ الإنسان مبرمج لإيجاد الله. وفي وسط المخاطر تشعر أن هناك من يرعاك ويوفر لك الأمان. روح الله برزت من خلال الكرّ والفرّ.

العالم المادي هو أزلي الوجود، لكن هذا الوجود هو مملّ والحقيقة الأزلية تقع خارج العالم المادي وفي داخله. الله هو اسم آخر للعقل الكوني. لأجل بلوغ أي شيء في الحياة، جزء من هذا العقل الكوني يجب الاتصال به واستعماله. الله هو دائماً موجود لك وفي

مظاهر مختلفة. كلّ مستوى من تطور وعي الإنسان هو إثبات حقيقة الله في ذلك المستوى. الله هو ما نحن عليه من الإدراك. وجميع الكون يتساوى معه في ذلك، لأنه من دون دماغ الإنسان فليس هناك شيء، فقط فكّر. الدماغ يميز الأشياء الموجودة في هذا الكون، الأشكال الكونية، المعنى، الجمال، الحقيقة، الحب، هذه حقائق يصل إليها الدماغ عندما يحاول الوصول إلى الله. حقيقة معجزة بقاء الإنسان على قيد الحياة في وسط خطر عظيم فيه النجاة مستحيلة هو دليل واضح على وجود إله يحمينا، مثال امرأة تهرع إلى داخل بيتها الذي يحترق لكي تنقذ طفلتها، أو أن شخصاً يرفع سيارة لكي ينقذ طفلاً حُشِر تحتها، هذا الإله موجود معنا في جميع العصور وفي جميع مراحل تطور وعي الإنسان. وأي معجزة عويصة هذه! عقل الإنسان له المقدرة على رؤية حقيقة روحية تحت أي ظرف من الظروف. ما لم ننظر إلى الذات في المرآة فإننا لا يمكن أن نرى الله. هناك الإله الحامي لهؤلاء الذين يرون أنفسهم في خطر. لا أحد يستعمل دماغه بالكامل مرة واحدة. استجابة الذات الجسدية بالكرّ والفرّ هو لأجل بقاء الذات، هي استجابة طبيعية للجهاز العصبي للإنسان، وكلّ إنسان ولد وله القدرة على أن يستجيب بصورة فريدة في كلّ صورة من الحياة الروحية. الجسم يتبع ما تقود إليه الروح. نحن نختار إلهاً مستندين على تفسيرنا للحقيقة، وهذا التفسير له جذوره في عالم الحياة (Biology). العالم الذي نعيشه هو انعكاس لما في داخلنا. شخص ما يعيش في عالم حياته مهددة ـ الحاجة إلى الكرّ والفرّ هو ضرورة

مطلقة. إنسان العصر الحجري يواجه نمراً، جندياً في خندق أثناء الحرب العالمية الأولى، أو سائق سيارة يفقد أعصابه أثناء قيادة سيارته في بغداد. نحن بإمكاننا أن نطابق كلّ استجابة عضوية من الجسم مع صورة خاصة للإله المتصور. استجابة الجسم بالكرّ والفرّ من الموقف الحياتي اليومي يطابق تصوراً للإله هو الأب الحامي. إن ما يحمي الإنسان في مثل هذه المواقف هو في الحقيقة غريزة البقاء المدفونة في داخل كيانه، لكن تصور الإنسان البدائي هو أن من يحميه يقع خارج كيانه، إله جبار عظيم وأب حنون هو وحده يعاقب من لم يطعه مستعملاً العوامل الطبيعية. نحن ولدنا مع إمكانية التحول من حياة الغابة وأساليب البقاء على قيد الحياة، إلى اقتباس الروح الخالصة والشعور بالألوهية. النضج الداخلي الكامل هو تحدٍّ عظيم. إذا تصورت أنك قد وصلت إلى النضج الكامل واقتبست الروح الإلهية وفي ساعة ما حُبستَ في زحمة المرور وأنت تقود سيارتك فإن ضغط دمك سوف يرتفع وتشعر بالإحباط والضجر، وإن الأفكار الروحية قد أوصدت بابها في وجهك، فإنك سوف تنزل إلى مستوى أدنى من الاستجابات الروحية وتلجأ إلى العنف مثلاً. وعلى الضدّ من ذلك فإن بإمكاننا أن نرتفع من الغريزة الحيوانية في استجاباتنا الروحية إلى مستوى القديسين والأنبياء، وهذا ممكن لكلّ إنسان. الإله الأب الحامي هو تصوّر الإنسان البدائي للإله خارج كيانه يحميه من المخاطر، هذا الإله يلائم حياة الغابة والكهوف التي يجاهد فيها الإنسان من أجل بقائه في مقاومة ظروف الطبيعة المملوءة بالتهديد

والمخاطر. هذا الإله يبدو بدائياً وبصورة كبيرة منتقماً. هو خطر جداً، يستعمل ظروف الطبيعة لكي يعاقب: العواصف، الفيضانات، الهزات الأرضية، الأمراض الوبائية، الحرائق.

الإنسان البدائي مرّ بمخاطر كبيرة لم يدوّنها التأريخ. البقاء على قيد الحياة كان في تحدٍّ دائم لظروف الطبيعة في كلّ يوم. الإله الحامي هو ضرورة حياتية كالأب في الأسرة، لكنه فشل. كان بإمكانه أن يمنع حدوث العواصف والهزات الأرضية والأمراض الوبائية. فإذا لم يكن بإمكانه أن يمنع تلك المآسي أن تحدث، فلماذا نعبده ونقدّم له القرابين؟ لماذا نحن نتظاهر بأنه سوف يمنع حدوث المآسي؟ لقد فشل الله ـ إله الذات الجسدية قد فشل في حماية أطفاله. الله وجد لأجل إلهامنا بأساليب النجاة من المواقف الخطرة، نحن ننظر في المرآة لنرى الإله الحامي، ونحن نحاول أن نحمي أنفسنا وعائلتنا وكلّ الأشياء الثمينة في حياتنا، نحن نتشبه بالإله. الذات المتشبهة بالإله الحامي سوف لا ترتقي إلى تصور أعلى للإله حتى تقول: «أنا لست خائفة» أنت لست ربي الذي يحميني إذا كنت أنا دائماً أخافك وأختبئ تفادياً لغضبك وانتقامك. الذات المتشبهة بالإله الحامي معرضة للإغراء لأن تكون امبراطوراً، دكتاتوراً لأن الدكتاتور هو ملك توسع من حماية أمته إلى حماية جميع الأمم، لا يمكن إشباع الرغبة في الحكم.

السلطة هي إغراء لا يمكن مقاومته. الإله الحامي يمكن قبوله إذا تناسينا أنه أيضاً مصدر التهديد.

نحن نطلب منه حمايتنا من العواصف، المجاعات، الأمراض، وسوء الحظ، وهو في الوقت نفسه السبب لكلّ هذه المآسي. لماذا هذا الإله خلق العالم مملوءاً بالتهديد والمخاطر؟ هل يستأنس في تخويفنا وإغراءات دكتاتوريته؟ الجواب: هو ليس مع الآلهة ولكن في تفسيرنا لمعنى الإله. للخروج من هذا التصور للإله والرقي إلى مستوى روحي آخر يجب علينا أن نصل إلى تفسير جديد لكلّ المواضيع المطروحة أمامنا في أي مرحلة من مراحل تطور وعينا للكون. يجب أن تعرف ردّ فعل الذات في المحيط الذي تعيش فيه. رحلة الروح تمرّ من خلال الكرّ والفرّ، فيه تجاهد الذات من أجل البقاء لكن عندما ترتقي الروح وتتخلّى عن هذا الإله فإن الحياة تبدو عديمة المعنى، والإنسان بحاجة إلى إله آخر جديد يمثل استجابات دماغية جديدة وغريبة.

الفصل الثاني
الذات المنفصلة

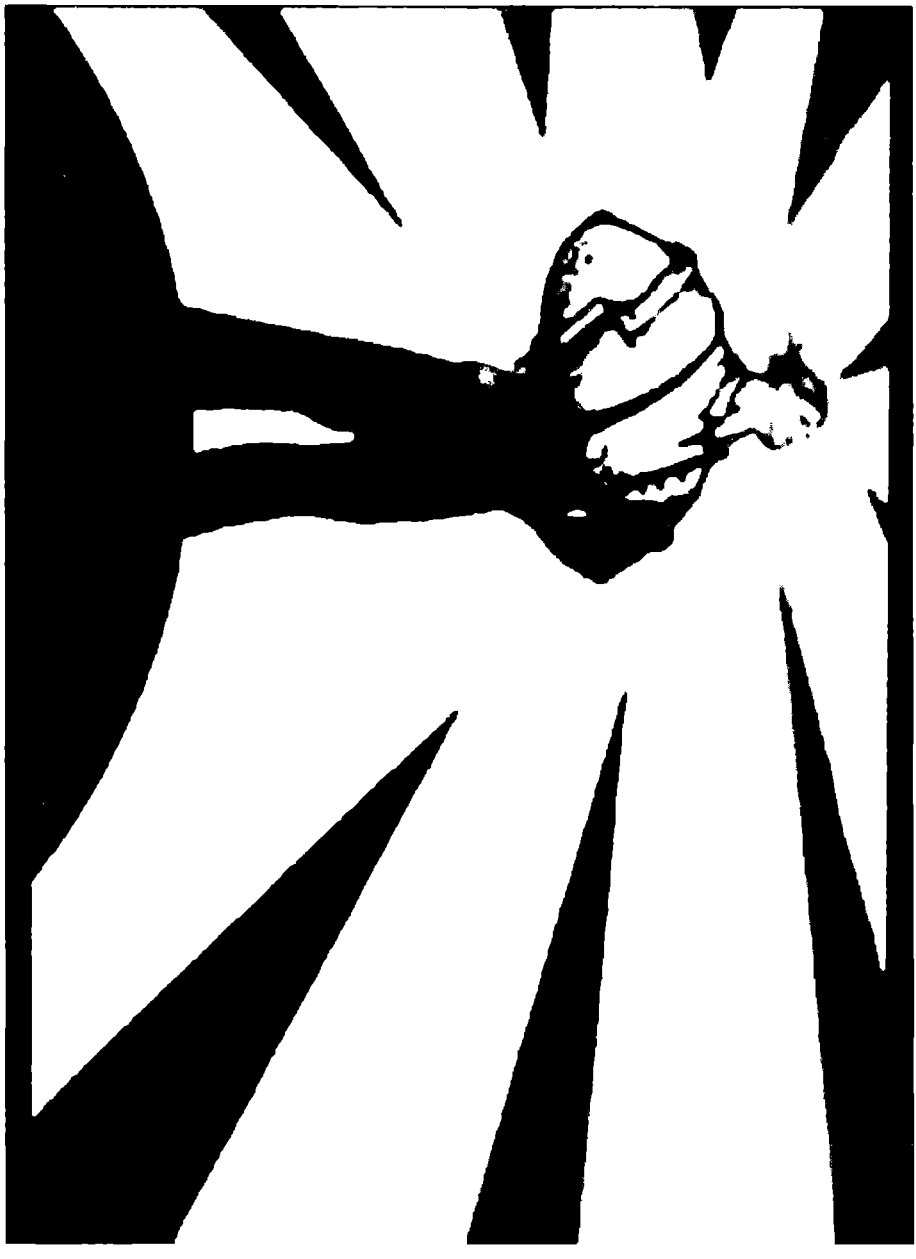

الذات المغرورة

الذات المغرورة

الذات المتحزنة

انفصال الرجل عن المرأة

المرأة السعودية يجب أن تكون منفصلة عن الرجل

إذا كان العقل خلف كلّ عمل نقوم به، فالعقل يجب أن يكون سليماً وغير مختلف مع الضمير قبل أي فعل نقوم به، وإلاّ فإن صراعاً دائماً سوف يحدث. في هذه المرحلة من التطور الروحي وجد الإنسان إلهاً له صفات بشرية. هو يتميز بالنقاء ومهمته هي مراقبة ومحاسبة الذات الجسدية (الذات الأمارة). عندما نطلق العنان لإشباع شهوات الجسد وانغماسه في الملذات فلكلّ فعل له حسابه الخاص وقانونه الخاص. وهنا بدأ الإنسان يفكّر ويستعمل عقله وأصبح له ضميراً يحاسبه، وهذا هو ردّ فعل الدماغ، خَلَقَ الدماغ الهوية الشخصية للإله. بعد أن زال الخوف من المخاطر والجهاد من أجل البقاء واستقر الإنسان فهو بحاجة إلى أن يعرف ذاته «أنا». إله جديد ظهر إلى الوجود، إله قوي، وجبّار عظيم، وعنده قوانين وتشريعات تحكم المجتمع. هو استجابة الدماغ للحاجة إلى مثل هذا الإله في تلك المرحلة من تطوره الروحي والفكري. المجتمعات في هذه المرحلة تعيش ضمن عشائر، ودول وإمبراطوريات يتنافس بعضها مع الآخر، والإنسان يتقدم في حياته من خلال نجاحه في الحصول على

مركز قوة وتأثير ونفوذ داخل مجتمعه. القوة إغراء لا يمكن مقاومته. المنصب هو إحدى خيرات الحياة بالإضافة إلى المال والجنس وكلّ ما يشبع غرور الإنسان. إله الشريعة يلائم عالم القوة والجبروت والكل يتنافس من أجل الحصول على منصة الحكم. الله جبّار عظيم لمن يبغي القوة أو لمن يجاهد للحصول عليها. المجتمعات المستقرة بحاجة إلى قوانين وحكام أقوياء. الذات المنفصلة هي الذات الشخصية المنفصلة عن الضمير وعن المجتمع وعن الطبيعة. هي إحساسك بهويتك الشخصية «أنا». وهذا الإحساس هو جزءٌ من تكويننا الوراثي. كلّ واحد منا يقول: أريد المزيد ـ وهذا يؤدي إلى الفساد الاجتماعي، أحدنا يثرى على حساب الآخرين، وأحدنا ينال قسطاً كبيراً من السرور على حساب آلام الآخرين.

هنا انفصل الفرد عن مجتمعه وانفصل ضميره عن ذاته الجسدية فأصبحت ذاته متجزئة. إله اليهود هو إله منتصر في بزوغه من أمة صغيرة مقهورة فقدت عشراً من قبائلها الاثنتي عشرة التي مُحِيَت من وجه الأرض على أيدي البابليين الذين قهروهم في فلسطين، حرقوا معبدهم واستعبدوهم. هم أنشؤوا إلهاً قوياً ثابتاً لكي يبقوا على قيد الحياة في وجه جميع التحديات. قوة بحدّ ذاتها هي عنف، ولكن القوة التي يتم الحصول عليها من خلال الطموحات هي رقة وحذق.

الجهاد ومن أجل إدخال القوانين والتشريعات لكي تحل محلّ القوة المجردة هو الحدّ الفاصل بين الذات الجسدية والذات المنفصلة. القوة تدفع الفرد للحصول على ما يريد على حساب الضعفاء، ولأجل منع

ذلك وجِد إله الشريعة وهو جبار عظيم يحكم الكون ويهدد حتى الملوك العظام بعقاب أليم إذا خرجوا عن طاعته. الموقف البشري دائماً ينعكس على الإله ليأتي بحقيقة روحية جديدة. الإله الحامي للذات الجسدية يمكن أن يحرقك حتى الموت بصاعقة تنزل عليك من السماء.

أما الإله الجديد فهو يعاقب حسب التشريعات والقوانين. تلك المجتمعات لها قوانين ضدّ القتل، السرقة، الكذب، وإرضاء الله تتم بالطاعة العمياء لتشريعاته. فمن التزم بتشريعاته فهو من القوم الصالحين وجزاؤه الجنة، ومن خالف تشريعاته فهو من القوم الضالين وعقابه جهنم. نحن نبتعد عن عدم الطاعة رغم أننا لم نعاقب من قبل الله في حياتنا الحقيقية. ولكن نحن ننظر إلى بلوى اعتيادية مثل المرض، الإفلاس، أو فقدان شخص قريب لنا ونفسرها على أنها آتية من الله كعقاب لنا. أرسل الله سلسلة لا تنتهي من الأنبياء (حوالي ١٢٤,٠٠٠) نبي لمهاجمة الكفر بقوانينه. في تبشيرهم يثيرون الشعور بالذنب. الشعور بالذات الشخصية يعطيك قوة لكن الدروس هي في بعض الأحيان مؤلمة.

الذات المنفصلة تصب كلّ اهتمامها في الحصول على الإنجازات الكبيرة وهي تتناسى تهديد الشعور بالانفصال والعزلة. القوة بحدّ ذاتها ليس لها معنى من دون بشر، لهذا فإن الله يطلب من البشر طاعة مطلقة لكي يشعر بذاته. أي إنسان يشعر بالقناعة في إنجازاته كالحكام والأمراء وأصحاب النفوذ فإن إلههم هو إله دكتاتور. أما الفقراء

والمساكين الذين لم يحالفهم الحظ في حياتهم، هذا الفشل في حياتهم يدعوهم إلى طرح هذا السؤال: إذا كنتُ أنا أعمل ليلاً ونهاراً أجاهد في حياتي وأتبع تشريعات الإله، فلماذا لا يجازيني الله؟ لذا فهم يبحثون عن ملاذهم في إله آخر. إله الشريعة هو يلائم الحكام والأمراء، هم منغمسون في إشباع غرائزهم وحاجاتهم الشخصية على حساب الفقراء والمساكين، هم يطبقون تلك التشريعات على من هم أدنى منهم ويسمحون لأنفسهم بارتكاب الكفر والحرام. وهذا يؤدي إلى الشعور بالذنب لمن كان له ضمير.

إله الشريعة يجلب رفاهية القوانين المنصوصة لكنك تقع في الفخ عندما تؤكد على القواعد والحدود والمحاذير المنصوصة في فترة زمنية معيّنة وتتخلى عن حرية النمو الذهني الذي يتلاءم مع التطور الاجتماعي. إله الشريعة يستلذ من فرض سلطته، وذوو التعصب الديني العقائدي الذين يمثلون سلطة هذا الإله يستحوذ عليهم هذا الشعور، والنتيجة تكون إدماناً وخراباً. إله الشريعة هو إله غيور. هو يغار من قوته وتسلطه علينا لأنها تسره. هو مدمن على التسلّط، وهو لا يكتفي أبداً رغم سيطرته الشاملة على الكون. في هذه المرحلة من التطور الفكري للإنسان ولد التعصب الديني العقائدي الذي تستحوذ عليه فكرة النقاء، يفتح باب التنقيب عن خطايا البشر. من يقع في شَرَك التشريعات السماوية يفقد الهدف الرئيسي للحياة الروحية التي تحرّر الإنسان وتسمح له أن يعيش ببراءة وحبّ. على الإنسان أن يجد حياته الروحية الخاصة، وهذا لن يحدث ما دام يقنن رغباته وعندما

يرى الشخص أن الحياة ليس من الضرورة أن تكون متكاملة، فإن الرغبات القديمة السيئة سوف تظهر إلى الوجود.

الدين هو مسألة شخصية بحتة. إنه شيء سيّئ أن يتكلم الشخص بالدين أو أن يتجادل فيه. مكان الإنسان في هذا الكون ومركز هذه التجربة الغريبة التي نسميها الذات هي أساس مشاكل الحياة: الألم، الحب والموت. والسؤال الأوحد هو هل هناك معنى لهذه الحياة؟. الوجود هو سباق فأرين في متاهة. الكائنات الحية من ضمنها الإنسان هم لا شيء فقط أنبوب يضع الطعام من مكان ليخرج من مكان آخر، وتستمر هذه العملية لفترة بعدها تهلك وتموت، لكن هذه الأنابيب وجدت طريقة لأن تنتج أنابيب جديدة. هذا الشعور الغريب بالكون يجعل المرء يتيه في دوامة من التفكير محاولاً إيجاد معنى لهذه الأشياء المخلوقة. معظم المسائل الفلسفية يتم حلها بالخلاص منها. لماذا هذا الكون؟ أين هو موقع هذا الكون؟. مهمة الفيلسوف هو علاج البشر من هذا الهراء. التساؤل هو ليس مرضاً ـ التساؤل والتعبير عنه في الشعر والفن هو من أهم الأشياء التي تميز بين الإنسان والحيوان، وبين الإنسان العاقل المفكّر والأبله. هذه الثورة الداخلية للعقل تبدو محدودة لعدد قليل من الأفراد. عندما لا نفهم الحياة كما هي، وما نحن وماذا نعمل؟ فإن البشر سوف يهلكون. أنت لا تعرف إلى أين تذهب وما هي النتائج التي تتوقعها؟. عندما بدأ الإنسان يفكر شعر هو بانفصاله عن كلّ شيء يحيط به.

من جهة هناك الذات ومن الجهة الأخرى هناك العالم المحيط بيَ. أنا لست منغرساً بالأرض كالشجرة. أنا أتحرك بحرية، أنا مركز كلّ شيء مع هذا يبدو وكأني مقطوع، منفصل وأعيش لوحدي. عقلي الواعي يجب أن يمد جذوره إلى منشئه في عمق الكون غير المحسوس لكنه يشعر أنه يعيش لوحده في داخل الجمجمة الصغيرة. أنا أشعر بهذا الانفصال لأني منقسم على نفسي في داخلي. إني منفصل عن مشاعري وأحاسيسي. ما أحس وأشعر به يبدو غريباً عليّ وعندما أفهم انفصالي هذا غير الحقيقي فإن الكون يتوحد معي ولا يكون غريباً عليّ.

إني منفصل عن الحياة ما دمت منفصلاً في داخلي.

إني فقدت نفسي في أرض الأحلام، في الماضي والمستقبل، لكن عندما أتوحد مع ما أحس به فإني سوف أكتشف الحقيقة. الشعور بأننا نقف وجهاً لوجه مع الكون مقطوعين ومنفصلين عنه، له تأثير كبير على تفكيرنا وأفعالنا. ولكن إذا أنت وأفكارك أصبحت جزءاً من هذا الكون فلا يمكنك أن تقف خارج الأحداث لتصفها. فستصبح الحدث ذاته. أما الشخص صاحب العقل المنقسم على ذاته فهو يقف خارج الأحداث محاولاً أن يصفها ويعرفها بكلمات. إذا فهمنا أن العقل بالحقيقة هو غير منقسم فإن هذا يكون له تأثير إيجابي على التفكير والأفعال. الفيلسوف يحاول الوقوف خارج ذاته وخارج أفكاره، الإنسان الاعتيادي يحاول الوقوف خارج ذاته، خارج انفعالاته، خارج أحاسيسه، مشاعره ورغباته. النتيجة هو ارتباك وفوضى غير واقعية وتصرفات غير موجهة،

الشيء الوحيد الذي ينهي كلّ هذا الارتباك هو إيجاد وحدة الذات ـ حيث العقل يتحد مع الجسم ويتوافق مع الضمير. ما دام العقل منفصلاً عن الجسم، كلّ يعمل لوحده فإن الحياة هي صراع أبدي، توتر، إحباط ووهم، معاناة مكدسة فوق معاناة، خوف فوق خوف، وضجر فوق ضجر. ليس مستغرباً أن يجد الرجال تنفيساً عن حالتهم هذه بالعنف، استعمال المخدرات، أو الإضرار بأجسادهم، إشباع رغباتهم، واستغلال أخيه الإنسان مادياً، وجسدياً ونفسياً.

كلّ هذا يؤدي إلى آلام البقاء التي لا يمكن حسابها أو تفاديها. لكن العقل المتوحد مع الجسم والمتوافق مع الضمير هو متحرّر من هذا التوتر الذي يصاحب العقل الشارد المنقسم على نفسه، والذي يحاول أن يكون خارج ذاته وفي مكان آخر بعيداً عن هنا «الآن» وفي اللحظة الحاضرة. الرجل صاحب الذات المنفصلة يأتي إلى مائدة الطعام ينقر في صحن بعد آخر مندفعاً بعجلة ومن دون أن يتذوق أي شيء لأجل أن يجد أحد الأطباق أحسن من الآخر لأنه لم يتذوق أي طبق.

لكن عندما تعرف أنك إنما تعيش هذه اللحظة «الآن» وليس هناك ماضٍ أو مستقبل فإنك سوف ترتخي وتتذوق طعم السرور أو الألم. ومشكلة إيجاد تفسير للوجود أو معنى لهذه الحياة كلّ هذا يختفي ولا يبقى إلاّ اللحظة الحاضرة. إن الإنسانية تطورت من جانب واحد فقط، فهي تقدمت كثيراً في مجال التكنولوجيا ومن دون أي تقدم مماثل من الناحية الأخلاقية، في التعليم أو التفكير العقلاني. إن

أساس المشكلة هو الطريقة التي بها نشعر وندرك أنفسنا كبشر. إحساسنا بالحياة كأفراد لنا وجود شخصي مميز. نحن نعاني من مرض الهلوسة لأن إحساساً زائفاً ومشوهاً عن وجودنا ككائنات حية موجود عندنا. معظمنا له إحساس «أنا صاحب هذه الذات، لي مركز منفصل ومستقل بأحاسيسه وأفعاله، أعيش داخل هذا الجسم وبشكل محدد. هذا الكيان الذي يواجه عالماً خارجياً من البشر وأشياء أخرى لي اتصال بهم من خلال الحواس الخمس». كلّ يوم من الحياة يعكس هذا الوهم. «وأنا خُلِقت وحيداً لكي أواجه هذا العالم، أنا جئت إلى هذا العالم لكي أقهر وأسخر الطبيعة». هذا الشعور بالوحدة والوجود المؤقت في الحياة هو متناقض مع كلّ شيء عُرِف عن الإنسان وجميع الكائنات الحية. نحن لم نأت إلى هذا العالم، نحن خرجنا منه، كالأوراق التي تخرج من الشجرة. كلّ شخص هو تعبير كامل لعالم الحياة. كلّ شخص هو فعل قريب لعالم متكامل. هذه الحقيقة نادراً ما يشعر بها معظم الأفراد. حتى الأفراد الذين يعرفونها كحقيقة نظرياً لم يستشعروا بها أو يتحسسوها، لكن هم يستمرون في إدراك ذاتهم كذات منعزلة مغرورة في داخل كيس من الجلد.

نتيجة هذا الوهم الذي نحمله حول أنفسنا هو أن موقفنا تجاه العالم الذي حولنا يكون عدوانياً. نحن على الدوام نقهر الطبيعة، الفضاء، الجبال، الصحراء، عالم البايولوجيا، عالم البحار، بدلاً من أن نتعلم التعايش والتعاون معها بصورة متناسقة. هذا الموقف العدواني لقهر الطبيعة يتجاهل الشيء الأساسي.

نفايات ـ انفصال الإنسان عن الطبيعة

نفط ـ انفصال الإنسان عن الطبيعة

انفصال الإنسان عن الطبيعة

انفصال الإنسان عن الطبيعة

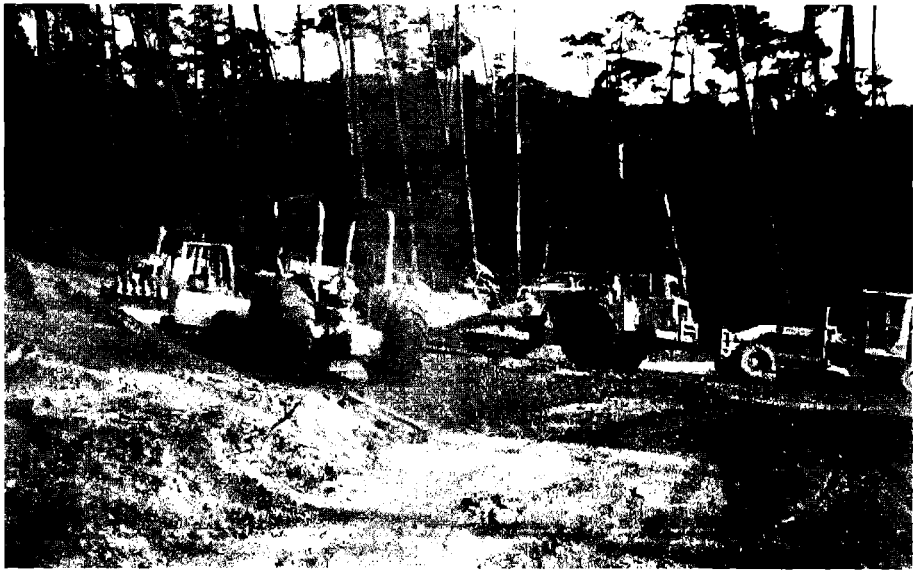

انفصال الإنسان عن الطبيعة

انفصال الإنسان عن الطبيعة

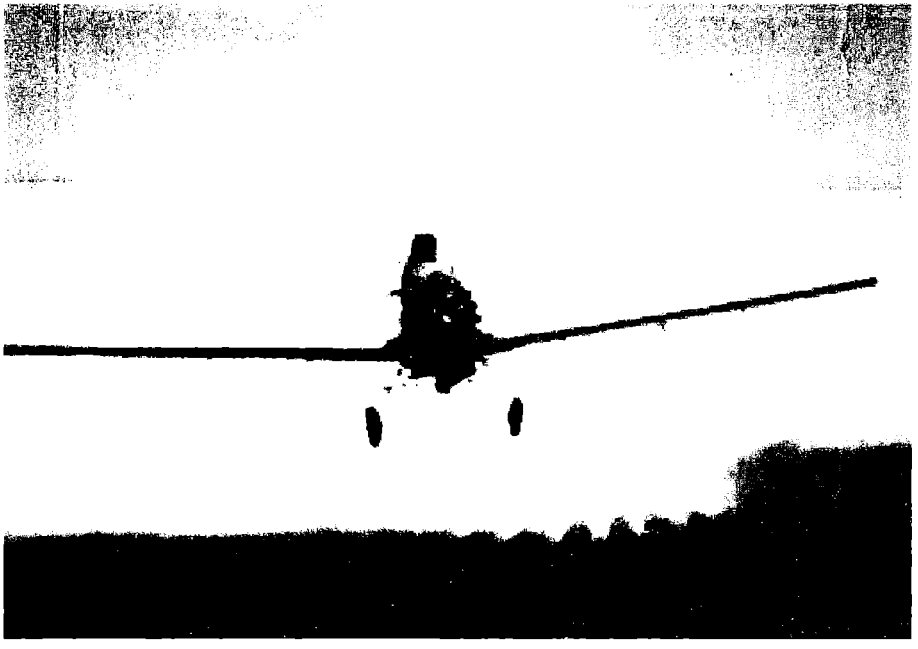

انفصال الإنسان عن الطبيعة

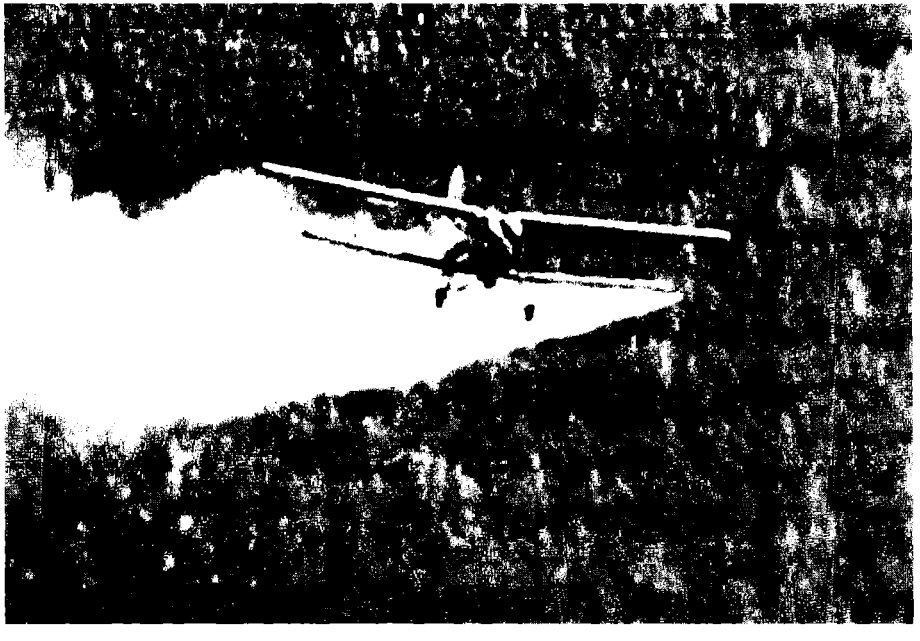

وهو الاعتماد المتبادل لجميع الأشياء والأحداث لكي تستمر الحياة. إن العالم خارج كيس الجلد هذا هو بالحقيقة امتداد لأجسامنا. الإحساس بالذات كمركز وحيد ومنعزل في هذا الكون له قوة وتأثير كبير على تصرفاتنا وتفكيرنا الفردي، على العلاقات الاجتماعية، على القوانين، على الدين، والسياسة والدولة. وفق هذا التصور للذات فإننا لا يمكن أن نشعر بالذات إلاّ كشيء سطحي في نظام الكون هذا. كيف بدأ الهراء، كيف تحسس الإنسان وجوده الشخصي، أو الذات الشخصية ولأي سبب خاص من الإحساس هو يستعمل كلمة «أنا»، ولأي كيان مستقل؟ وهناك قوة جبارة تتحكم في مصيره وحياته. الشعوب التي طورت هذه الأساطير الخرافية يحكمهم ملوك، وهؤلاء الملوك العظام كفراعنة مصر، نبوخذ نصر في بابل، وملك الكلدان آشور بانيبال، وحمورابي، أو ملوك الفرس، هم تصوروا الله بشكل ملك يحكم الكون، هو حكيم ورحمان رحيم، عادل وصارم وقاسٍ أيضاً.

هذا التصور للإله الشخصي الخارج عن الكون الذي يحكمه، كان السبب في شعورنا أن هذا الكون مستند إلى قاعدة فكرية تسيره وأن قانون الطبيعة قد نُصَّ من قبل حاكم واحد. هؤلاء الذين لا يزالون يعتقدون بهذه الطريقة أقول لهم إن الإنسان هو لم يُصَنّع كما تصنّع السيارة. هو لم يأت إلى الوجود بوضع أجزائه الواحد بعد الآخر، وتلحيمها مع بعض وربطها بالبراغي، وضع الرأس فوق الرقبة، ومدّ أسلاكاً كهربائية من الدماغ إلى أعضاء الجسم المختلفة. الفرد منفصل عن محيطه الكوني فقط في اسمه.

عندما لا يُفهم هذا الشيء فإنك إنسان ساذج مخدوع باسمك. إنك تخلط اسمك بالطبيعة حيث تعتقد أنه ما دام لك اسم خاص فإنك كيان مستقل عن هذا الكون. الناس الذين حولنا يعلمون من نكون، تصرفاتهم تجاهنا هي المرآة التي تعلمنا كيف نرى أنفسنا، لكن هذه المرآة مشوشة. المجتمع الذي نعيش فيه هو امتداد لعقولنا وأجسامنا. توقف عن الشعور بالذات الشخصية وتعلم كيف ترتخي. عندما يعطي الإنسان لنفسه اسماً وتعريفاً يشعر هو أن له شخصية مميزة، إنه يفصل ذاته عن الطبيعة وعن الحقيقة، وهذا الانفصال يؤدي إلى بداية النزاع بين الإنسان من جهة والطبيعة من جهة أخرى. أنا ذلك الجسم المحدد بالجلد في هذا الفضاء وبالحياة والموت في وقت ما! . نحن في حرب دائمة داخل أنفسنا. العقل يرغب في أشياء الجسم لا يريدها. الجسم يرغب في أشياء العقل لا يسمح لها. العقل الباطني يعطي إرشادات، الجسم لا يتبعها. الجسم يعطي حوافز لكن العقل لا يفهمها. مصدر أعمال الشرّ والغباء ليس في تركيب الكائن الحي ولكن في انقسام الذات، انقسام العقل عن الجسم. رغبات العقل لا يمكن إشباعها، نحن دائماً نسعى وراء مزيد من اللذة من دون أن نكتفي. الجسم يمرض دفاعاً عن نفسه لكن العقل يريد المزيد. نُصاب بمرض السكر من كثرة أكل الحلويات، ونُصاب بمرض تصلب الشرايين والسكتة القلبية من كثرة أكل اللحوم الحمراء والدهون، وبارتفاع ضغط الدم من كثرة الأملاح، وبسرطان غدة البروستات من كثرة ممارسة الجنس. نحن نعيش في قلق دائم لتأمين حاجات المستقبل في عالم غير آمن وغير مضمون.

الإنسان يبدو سعيداً ما دام هناك مستقبل يتطلع إليه. لا يهم ما هو هذا المستقبل إن كان عرساً يوم غد أو حياة أبدية بعد الموت. نحن تعوّدنا أن نجعل وجودنا ذا معنى وذلك بإيماننا أن هناك حياة أخرى روحية بعد هذه الحياة المادية. من جهة أخرى فإن التطلع إلى الزواج يوم غدٍ له عيوبه. فعندما يأتي الزواج فإن من الصعب لهذا الشخص أن يتمتع به إلى النهاية القصوى من دون أن يفكر في تكاليفه وكيف سيدفع فواتير الحساب في اليوم التالي؟ هو دائماً يتطلع إلى المستقبل من دون أن يعيش اللحظة الحاضرة حتى ينتهي المستقبل بالموت. الإنسان كمخلوق ذو مشاعر وإحساس يريد أن يجد معنى لحياته. لا يمكنه أن يصدق أن حياته الآن هي المعنى الأبدي وراء خلق الكون، هو يعتقد أن هناك شيئاً آخر وراء ما تراه العين. الذات دائماً تبعدك عن الحقيقة، هي تبني مستقبلاً على توقعات فارغة وتبني ماضياً على ذكريات مفعمة بالندم. الغد هو هروب من الألم الذي نخافه اليوم. كمرآة تعكس انقسامنا الداخلي نحن جزّأنا العالم إلى تجربة داخلية وخارجية، نحن نعتنق انفصالنا من دون أن نفهم أن هناك حقيقة واحدة. نحن مستعبدون بروتين الحياة اليومية، بالعمل وبالسرور في أعمالنا وفي أوقات استجمامنا. نحن نتكلم ونتكلم ولم نستمع أبداً للصوت الذي يتكلم إلى أعماقنا ومن أعماقنا. نحن نتقبّل الذات كما تبدو لنا ولا نهتم بحقيقة تكويننا. ومن الطبيعي أن الصورة التي نحملها عن الذات المنفصلة ستتلاشى تماماً، عند ذاك فإن الذات تعمل ضدّ جميع التوقعات التي استنتجتها من تلك الصورة، وعندما تحصل هزة أرضية

تهز وتمزق المعرفة السطحية للذات المنفصلة، عند ذاك فإننا نرغب في النظر إلى مستوى أعمق للذات. هذا العالم سوف ينتهي وذلك بتدميرنا البيئة التي خرجنا منها إلى الوجود والتي تعتمد حياتنا عليها. إنها فقط رأيي ضدّ رأيك، وحزبي ضدّ حزبك وديني ضدّ دينك، ومذهبي ضدّ مذهبك، وبلدي ضدّ بلدك لذلك فإن الأكثر عدوانية والأكثر قوة هو الذي يصنع القرارات والتشريعات. العالم بحاجة إلى إنسان عبقري يكتشف ديناً جديداً، فلسفة جديدة للحياة ونظرة جديدة للعالم تكون معقولة ومقبولة بصورة عامة للجيل الحديث، جيل الربيع العربي والإسلامي، خلالها كلّ فرد يشعر بأن العالم ككل وحياته الخاصة لها معنى. الأديان تُقَسِم وتفرق البشر وتتحارب مع بعضها. هم يفصلون المؤمن عن الكافر، شخص داخل الدين وشخص خارجه. الدين كنصوص سماوية وتشريعات، وتصرفات كمؤسسة تتطلب ولاء أعضائه والدفاع عنه والحفاظ على نقائه، ولأن جميع الاعتقادات هي مجرد عواطف متوهجة وآمال، لذا فإن تغطية الشك وعدم اليقين تكون ملزمة وضرورية. أصبح ملزماً على الدين أن يهدي أناساً جدداً. كلما كثُر الناس الذين يتفقون معنا كلما قلّ الإحساس بالقلق حول موقفنا. وفي النهاية أصبح واحدٌ منا يهودياً، وآخر مسيحياً وآخر مسلماً وآخر بوذياً وآخر هندوسياً، كلّ منا جاء بمعرفة جديدة وغير مفهومة تورط بها الدين.

هذه النصوص السماوية خضعت لتفسيرات مختلفة وغير متوافقة مع بعضها البعض وتختلف عن منشئها الذي هو الله. ولذا فإن كلّ متدين

يؤكد موقفه وينسب الحق إلى جانبه. فالبوذي يقول: أنا الأول ولي أتباع كُثُر في العالم. واليهودي والمسيحي والمسلم الشيعي والمسلم السني يقول أيضاً: أنا الأول وأنا صاحب الحق وأولى بقيادة المجتمع ورئاسة الدولة. هذا الولاء النهائي لأي دين هو ليس فقط انتحاراً فكرياً بل أيضاً عدم إيمان مؤكد لأنه يغلق العقل عن أي رؤيا جديدة للعالم. إذا كان الله يحب البشر حقاً فهو بالتأكيد ينزل عليهم كتاباً واحداً يكون موضع ثقة ومن دون أخطاء كدليل لتقويم سلوك البشر. لكن الله هو حقاً يحب البشر ولم ينزل عليهم هذا الكتاب، لأنه لو فعل ذلك فإنه سوف يحطّم عقول البشر، يجعله عقلاً متصلباً متحجراً وغير متأقلم وغير متكيف مع ظروف الحياة المتجددة على الدوام. نحن لسنا بحاجة إلى دين جديد أو قرآن جديد أو إنجيل أو توراة جديدة، نحن بحاجة إلى إحساس جديد في ماهية الذات ـ من «أنا».

جلس الإنسان لوحده يفكر من «أنا»، هو لوحده لأنه إنسان! ويمكن القول كلّ مخلوق هو لوحده. انعزال ذات الإنسان عن ذات إنسان آخر هو شعور نتحسسه بعمق أكثر الآن من ذي قبل.

رغبتنا في حماية وحدتنا يُعَبَّر عنه في شعور مصحوب بالخجل. نحن نشعر بالخجل عندما نفصح عن شيء خاص بنا كأن يكون حالة نفسية أو حالة جسمية، أو موقفاً اجتماعياً. الله الذي خلق الإنسان ليس بإمكانه أن يُخَلّص الإنسان من وحدته: إنه لشيء عظيم أن يكون الإنسان في مركز ذاته، منفصلاً عن العالم المحيط به. الله خلق

الإنسان لكي يكون هو المسيطر على الأرض، هو فصله وأقحمه في وحدته. الإنسان له حرية اختيار: عمل الخير أو عمل الشر. فقط من كان وحيداً بإمكانه أن يقول أنا إنسان. هذه هي عظمة الإنسان وحمله الثقيل. الوحدة يمكن قهرها من قبل الأشخاص الذين يتحملون العزلة. نحن لدينا رغبة طبيعية للانعزال لأننا رجال. هناك طرق عديدة يمكن ابتغاؤها للانعزال وكلّ طريقة يمكن أن تسمى «ديناً». الإنسان يمارس الدين في انعزاله. هو يمكن أن يتكلم مع الأشجار، مع السماء، مع أمواج البحر، من دون أن ينطق بكلمة. يمكن ابتغاء العزلة في قراءة الشعر أو الإصغاء إلى الموسيقى، في النظر إلى الصورة، وفي التفكير العميق.

نحن لوحدنا، حتى في وسط جمع غفير من الناس، لكننا لسنا متوحدين مهجورين. العزلة تحمينا من دون أن تفصلنا. الحياة تدعونا دائماً للمشاركة في أعمالنا اليومية. في هذه الأيام الإنسان يشعر بالوحدة أكثر من قبل ولا يستطيع تحمل العزلة وهو يجاهد بائساً لأن ينضم ويكون جزءاً من الحشود البشرية. في بعض الأحيان يستخرجنا الله من الحشود البشرية ويرمينا في عزلة لا نرغب بها، هو يريدنا أن نسأل عن «الحق» الذي يمكن أن يعزلنا عن معظم الناس، والذي يمكن أن نسأله فقط في عزلتنا. هو يريدنا أن نسأل عن العدالة الاجتماعية التي يمكن أن تجلب لنا المعاناة والموت، ويمكن أن تنمو في داخلنا فقط في عزلتنا. هو يريدنا أن نكسر قيود النظام الاجتماعي القديم وأفكاره البالية ونأتي بدين جديد، أو فكرة جديدة، وهذا

التصرف ربما يجلب لنا البلاء أو الموت. هذا الخلق الجديد لا يمكن أن يحدث إلاّ في عزلتنا. ربما هناك فرد بينكم مشتاق لأن يكون خلاَّقاً في حقل من حقول الحياة. هو لوحده سوف يواجه الأرض والسماء، الوحوش الكاسرة خارج جسمه وفي داخله. هو أرض المعركة بين الملاك والشيطان، بين قوى الخير وقوى الشرّ في داخله. هذا أول ما يحدث في عزلتنا: نحن نقابل الذات المنفصلة ليس كذاتٍ وإنما كأرض معركة بين روح الخلق وروح التدمير، بين الله والشيطان. العزلة ليست سهلة. من يستطيع تحملها؟ هي لم تكن سهلة للأنبياء.

كلّ معرفتنا لهذا الكون هي معرفة الذات، المعرفة هي ترجمة أحداث خارجية إلى عملية جسمية وخاصةً إلى حالة يعيشها ويفهمها الجهاز العصبي والدماغ. الذات الخاصة تسعى دائماً للسيطرة على العالم المادي. «أنا» الكائن الفرد، مركب غاية في التعقيد فُصلت ذاتي الخاصة عن ذات الكون العظيم عندما أضع مسافة بيني وبين الأشياء التي حولي لأصفها ولكي أسيطر عليها ونحن جعلنا من أنفسنا أيتاماً منفصلين عن المحيط حولنا وكذلك منفصلين عن أجسامنا تاركين الـ «أنا» غير مقتنعة، شبح مبعد، قلقة، مذنبة، غير مرتبطة وحيدة. هذا هو الثمن الذي يجب دفعه عندما نحاول السيطرة على العالم من خلال الـ «أنا» التي تنظر إلى كلّ شيء حولها على أنه شيء غريب ولا شيء آخر. الشيء الحيوي الأساسي هو أن نعزز مفاهيمنا لتصبح قادرة على التمتع بالحياة الحاضرة. الذات الشخصية (الذات المنفصلة) يمكن التغلب عليها من خلال بذل جهد كبير لمراقبة الذات. لأنه ليس

هناك طريقة للتخلص من الشعور بالانفصال بفعل الرغبة. يجب أن تدع هذه الذات تموت وذلك بالانغماس في الاهتمامات أو الأفعال الحياتية اليومية. هذا الجهد يُعَلّمنا عدم جدواه، لأنه كلما حاولنا أن نتصرف من دون طمع أو خوف نحن نعلم أننا نعمل هذا من أجل الطمع والخوف. القديسون هم دائماً يعلنون أنفسهم كفاراً دنيئين ـ من خلال إدراكهم أن ما يطمحون إليه لكي يكونوا قديسين هو مدفوع بأكبر الكفر ألا وهو «الغرور الروحي» المقرون بالحصول على المديح والإطراء وتقبيل اليد، هو غاية في النجاح في المجال الروحي وتطهير الذات. لكن تحت كلّ هذا توجد حفرة

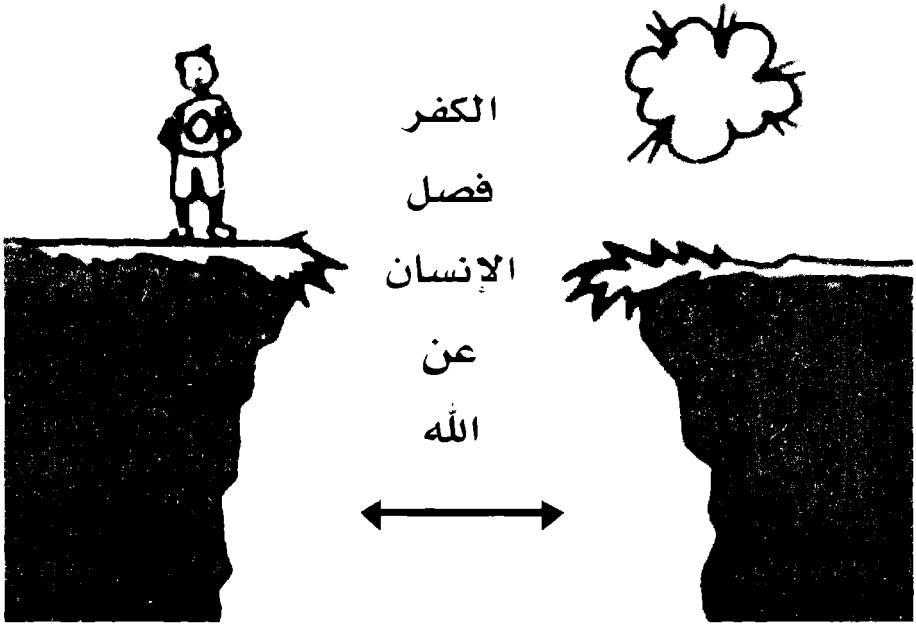

لا قاع فيها، حلقة مفرغة، ودوامة: اللعبة هي «أنا» أكثر توبة منك، أنا أكثر تواضعاً منك، أنا أكثر إيماناً منك، أو لحيتي أطول من لحيتك. هل هناك وسيلة لا تتضمن مدح الذات أو مقارنتها بالآخرين؟ كأن يقول شخص: أنا أقل إيماناً منك، أنا أسوأ في أعمالي منك، أنا أضعف منك، أنا أقل جمالاً منكِ (امرأة). لعبة الغرور تؤكد نفسها بصورة لا نهائية في موقف بعد آخر. ولكن كلما استمريت في هذه اللعبة ـ كلما أصبحت أكثر وعياً لذاتي، كلما تفهمت أكثر بأني غير قادر على تعريف ذاتي بأني أكثر صلاحاً منك، أرى أني معتمد عليك بأن تكون شيئاً لأجل أن أكون أنا صالحاً. أنا ليس بمقدوري أن أعرف إذا كنت من الصالحين إذا لم أقارن نفسي بالضالين ربنا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

النعمة التي يتمتع بها الأنبياء والقديسون في الجنة هو أن بإمكانهم أن ينظروا من الشرفة المطلة على الجحيم، يشربون النارجيلة وفي أحضانهم الحور العين، ويتمتعون بالعدالة الإلهية التي حكمت على الكفار بأن يَتَلوّون في نار جهنم. كلّ الفائزين بحاجة إلى خاسرين. كلّ القديسين بحاجة إلى كفار، كلّ الحكماء بحاجة إلى سُذّج. هذا إذا كانت المتعة في الحياة وقمة النشوة هو أن تكون الـ «أنا» شيئاً ما أو شخصاً ما مميزاً ومنفصلاً، محترماً ومقدساً ومن أهل الجنة.

أنا أعرف نفسي مقارنةً بك، أنا أقدّر مركزي الاجتماعي مقارنةً بالمركز الاجتماعي للآخرين، إن كنت أعلى منهم أو أدنى منهم في السلّم الطبقي المادي، السياسي، الديني. إذا كنت أعلى من الآخرين فسوف أكون فخوراً بنفسي. أما إذا كنت أدنى منهم فإني أأسف على نفسي. أنا موجود لأنك موجود، وأنت موجود لأني أنا موجود، أنا ليس لي وجود من دونك وأنت ليس لك وجود من دوني. إذاً أنا وأنت **ليس لنا وجود** من دون الآخر. لكن هناك شيئاً مشتركاً يجمع بيننا هو المغناطيس الذي يقع بين الأقطاب.

النعيم هو:
زوجة سورية
أكلة لبنانية
جنسية إماراتية
أمن أردني
سياحة مصرية
جار فلسطيني
ضرائب سعودية
راتب قطري
TAX!
والجحيم هو:

بين الـ «أنا» الشخصية وكلّ شيء أستشعره من حولي. هذه حقيقة نظرية لا يمكن نكرانها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف نتغلب على الشعور بأننا وضعنا في سجن انفرادي بمعزل عن كلّ شيء حولنا؟ ذات مستقلة، كائن حي وضع في بيئة لا يمكن أن تتجنّب المنافسة، والتناحر مع كلّ شيء تدركه وتتحسسه من حولها. هناك علاجات متعددة لهذه المعضلة: ممارسة التأمل، الصلاة، التسبيح، رقص الدراويش في الصوفية، الاسترخاء العضلي والنفسي، المعالجة النفسية، التنويم المغناطيسي، استعمال المخدرات. الصعوبة في كلّ واحدة من هذه الممارسات هو أنك في اللحظة التي تبدأ فيها هذه الممارسات بصورة جدية فإنك سوف تضع نفسك في مجموعة تختلف عن الآخرين لها اسم وتعريف خاص يميزها ويفصلك عن الآخرين. بهذه الطريقة فإن كلّ دين أو مذهب هو نقيض لذاته. وهذا الشيء ينطبق أيضاً على المنظمات غير الدينية، والديانات الأممية، إنها تلعب اللعبة نفسها «أنا أكثر أممية منك، أنا أكثر إنسانية منك، نحن أكثر تديناً منكم، نحن أحق بالخلافة منكم». الديانات السماوية والمنظمات الإنسانية التي وجِدَت من أجل وحدة الشعوب، نشر المحبة والأُخوّة بين الأمم، لا يمكنها أن تتفادى القسمة والنزاعات عندما تؤكد ذاتها الخاصة. من لا يتنازع فليس لديه شخصية أو كيان. «من لم يكن ذئباً على الأرض أجرد بالت عليه الثعالبُ». لا شيء يوحد الأمة إلاّ حرب خارجية ضدّ من يعتبرونهم أعداء. هذا العدوّ هو الأساس الجوهري لوحدة الأمة. العالم مقسم إلى معسكرين كبيرين ـ من هم على حق

ومن هم على باطل، القوم الصالحون والقوم الكفار، الملائكة وإبليس. إذا لم يكن هناك وجود لإبليس، يكون من الضروري ابتكار واحد. أصبح واضحاً أن «أنا» موجود في هذا العالم لأجل المنافسة وتلبية مصالح الذات، وأنا بحاجة إلى ضم أكبر عدد من الذين يقفون ضدي إلى وجهة نظري.

من «أنا» أو ماذا «أنا»؟ أنت لا شيء بمعزل عن الأشياء التي تحيط بك. كلما تجاهد من أجل أن تكون الأحسن والأقوى، والأمثل، في الأخلاق، الفن، التطور الروحي، الزهد، كلما ترى نفسك تقع في فخ اللعبة القديمة ـ لعبة الذات الشخصية «الغرور». بلوغك أي مستوى من البراعة هو واضح لك وللآخرين من خلال مقارنة نفسك بشخص أعلى منك أو أدنى منك. إنك واقع في الفخ ولا ملاذ من ذلك.

طريق مسدود من الجانبين وأنت في الوسط تحاول الخروج، أي اتجاه تسلكه يتضمن ويستدعي ما هو ضدّه. قررت أن تكون عيسى المسيح، خانك صاحبك جودث، والغوغاء أعدموك على الصليب. قررت أن تكون إبليس، رجال تجمعوا ضدك باسم الحب الأخوي. قررت أن تكون غنيّاً، حقد عليك الفقراء، نهبوك وقتلوك. قررت أن تكون فقيراً، احتقرك الناس بصقوا عليك وشتموك. أول ردة فعل لك هي أن تقول: «إلى الجحيم» أو «طز بهذه الدنيا».

الطريق الوحيد ربما هو أن تنسى كلّ محاولة وأن تصبح محصوراً كلياً في أشياء تافهة. أو أن تخرج من اللعبة بالانتحار أو بالإدمان على

المخدرات وأن تصرف البقية الباقية من حياتك تثرثر في مستشفى للأمراض العقلية. لكن هناك احتمالاً آخر، بدل من أن تخرج من اللعبة، هو أن تسأل ما هو هذا الفخ؟. ما هو هذا الطريق المسدود من الجانبين الذي جعل مني إنساناً مشلولاً غير قادر على الخروج من اللعبة التي من قواعدها أن تكون جميع طرقها مسدودة من الجانبين، وكلّ حركة أقوم بها يأتي نقيضها ويلغيها؟ الشعور بالذات الـ «أنا» التي يجب أن تُعرّف من خلال تجربتك الحسية بهذا الكون، بدل ذلك فهذه الذات هي مقطوعة منعزلة كمشاهد مستقلة عن هذا الكون. إن اتحاد الكائن الحي بمحيطه هو حقيقة ضرورية للبقاء. فعندما تعرف بصورة أكيدة أن انفصال ذاتك الشخصية واستقلاليتها هو شيء خيالي، فسوف تشعر بذاتك، وكأنها نموذج لحركة الحياة في هذا الكون. فالحاس والمحسوس وعملية الحس تصبح واحدة. العارف والمعروف والمعرفة هي واحدة. كلّ مخلوق هو العالم يتحسس ذاته بأشكاله الأبدية التنوع. ليس هناك حاجة لأي شخص أن يقع في الفخ. الفخ نُصب لأشخاص يؤمنون بإله خارج كيانهم، ذو قوة عظمى جالسٌ على عرش من ذهب في السماء السابعة، والإنسان أصبح رمزاً لهذا الإله على الأرض، فأصبح إمبراطوراً يحكم الشعوب ويتوقع أن تسجد له وتطيعه الشعوب المقهورة. وهذا النظام الأبوي يمتد ويتدرج في السلطة من الله في السماء إلى الأسرة الأبوية في الأرض.

لا تحاول أن تتخلص من الذات الشخصية ونشوة الغرور. التخلص من نشوة الغرور هو آخر محاولات الغرور للبقاء، إنه لا

يقهر. هذه المحاولة هي بكلّ بساطة تقوي وتؤكد حقيقة الإحساس بالغرور. لكن عندما نواجه هذا الإحساس بالانفصال ونتقبله كأي إحساس آخر فإنه يتبخر ويتلاشى كالسراب. لهذا لا تكن متحمساً كثيراً في ممارسة التمارين الروحية في التأمل. الصلاة، والتسبيح أو اليوغا التي يعتبرها البعض ضرورية للتحرّر من الغرور. إذا مارست هذه التمارين الروحية لأجل كسب نوع من التنور الروحي أو التقرّب من الله فإن هذا سوف يؤدي إلى تقوية الفكرة الخاطئة وهي أن الغرور سوف يتلاشى. إذا اعتبرت الصلاة فريضة والحج فريضة فهذا كفر لأنه يؤكد ذات الإله الشخصية، وإذا اعتبرت الصلاة والصوم والحج لأجل أن تُعتَبَر متديناً وأن تنال لقب الحاج فلان فهذا كفر أيضاً لأنه يؤكد ذاتك الشخصية. لكن ليس هناك شيء خطأ في الصلاة لأجل الصلاة، أو التسبيح لأجل التسبيح، أو التأمل لأجل التأمل فقط. كيف تصل إلى ما وراء الشعور بالغرور، ولماذا تريد أن تصل إلى تلك النقطة؟ إن جوابك النزيه سوف يكون أني سوف أنتعش أكثر عندما أبلغ درجة عالية من التطور الروحي، عندما أتجاوز الذات الشخصية. سوف تفهم نفسك كغرور هو أنك زائف.

الغرور هو في الحقيقة زيف. جدار دفاعي حول جدار دفاعي حول لا شيء، مثل قشور البصل. أنت ليس باستطاعتك ولا وفق إرادتك أن تتخلص منه. ولا تريد أن تفهم هذا، إنك سوف ترى بأن الغرور هو ليس ما يتظاهر أن يكون. هو بعيد كلّ البعد أن يكون مركز الشخصية، هو ماكينة ذاتية الحركة (أوتوماتيكية)، سلطة المجتمع

وعاداته وتقاليده زرعتها في كياننا منذ الطفولة مع لمسة من الجينات الوراثية. خيبة أمل الغرور أدى إلى انسحابه إلى آخر معقل له وهو استقلاليته، مستعيداً هويته كمراقب يعاني من كلّ ما يجري حوله. الوادي نفسه بين جبلين، العارف والمعروف الانشقاق نفسه القديم بين الكائن ومحيطه. ليس هناك مصير ما لم يكن هناك شخص أو شيء ينتهي إلى هذا المصير. ليس هناك فخ ما لم يكن هناك طريدة لاصطيادها. الله الأب ذو لحية بيضاء وعباءة ذهبية جالس على عرش من ذهب وبيده عصا، هذه هي صورة الله التي نشأنا عليها ونحن أطفال صغار في مجتمعاتنا، ولقرون عديدة. هذه الصورة للإله أصبحت سخيفة. يمكن أن تكون أنت يهودياً، مسيحياً أو مسلماً من دون أن تعتقد بصورة الله هذه «أب ذكر يحكم الكون» الصوره لها تأثير أعمق على عواطفنا منها على أفكارنا. كمسلم فإنك تصلي ليل نهار وتسبّح باسم ربك وتردّد العبارات ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً». وفي آخر الأمر ترتبط عاطفياً بهذا الإله كأبٍ مثالي، ذكر، يحب البشر وشديد العقاب وله كيان وذات منفصلة عن ذات البشر. إنه واضح أن تكون لك ذات غير ذات الإله ما دمت تدرك ذاتك كذات مستقلة، ولكن عندما تفهم أن هذا النوع من الهوية الشخصية ما هي إلاّ عادة اجتماعية توارثناها عبر الأجيال، والتي أصبحت باطلة المفعول وغير عملية، الانقسام الحاد بين الذات الشخصية والحقيقة الأبدية لم يعد مناسباً.

لكن الإنسان لا يمكن أن يعيش من دون خرافات، من دون أن يعتقد أن آلام الحياة والمخاوف التي يعيشها يجب أن يكون لها معنى وهدف في المستقبل. وهنا دخلت السياسة في الدين، حتى لو لم يكن هناك وجود لله فإن الإنسان سوف يجد من الضروري خلقه لأنه يخدم مصالحهم الشخصية. بعد أن أكل آدم التفاحة في الجنة وهبوطه إلى الأرض، كان قد انفصل الإنسان عن الإله، الإله في السماء السابعة في جنته، بينما أعيش أنا تحت على الأرض أكدح وأشقى لكي أعيش. أنا يُسمح لي أن أصلي وأسبّح إلى الله، أسئلة العون والمساعدة، لكن هذا الأمر متروك له إن أراد الاستجابة إلى دعائي أو لا. الانقسام بين الذات الشخصية وذات الإله يجب أن يتوقف. يجب على الذات المنفصلة أن تتوحد لكي تعرف الحقيقة الأبدية.

الذات المتوحدة التي تعرف الحقيقة هي لا تعرف المستقبل، هي تعيش بصورة كاملة في الحاضر، ولا تدرك أي شيء خارج اللحظة الحاضرة. المستقبل غير موجود ولا يمكن أن يدخل في إحساسنا للحقيقة حتى يصبح حاضراً. العقل هو أعلى شكل من أشكال الحكمة الفطرية، يعمل من دون كلمات تصف معرفته بالتجربة. هو يتحد مع الفعل والإحساس ويؤدي وظيفته من دون إدراك، لكن لو انفصل العقل عن ما يفعله الجسم فسوف يحدث الخلل والإرباك في الحياة. كيف يمكننا أن نصلح هذا الخلل، هذا الانفصال في الذات، كيف يمكننا أن نصلح هذا الانفصال بين العقل والجسم، بين الفرد وأسرته، بين الفرد والمجتمع، بين الإنسان والطبيعة. كيف يمكننا أن نستمتع

بالحياة من دون مشقة أو معاناة؟ كيف يمكننا أن نجد الأمان والسلام في عالم طبيعته متزعزعة غير دائمة وفي تغيّر مستمر؟ نحن بحاجة إلى إدراك أكثر للحياة، وللتجربة في اللحظة الحاضرة من دون أن نصدر أي أحكام أو أفكار حولها. إنك يجب أن ترى وتحس التجربة، خالياً من أي فكرة، أو أحكام أو تعريف لتلك التجربة.

الفصل الثالث
الذات المتوحدة

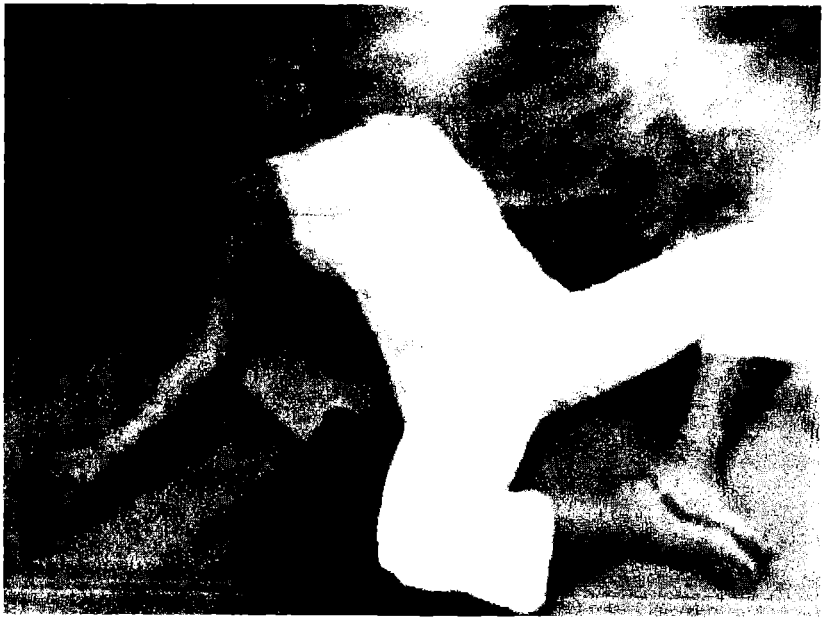

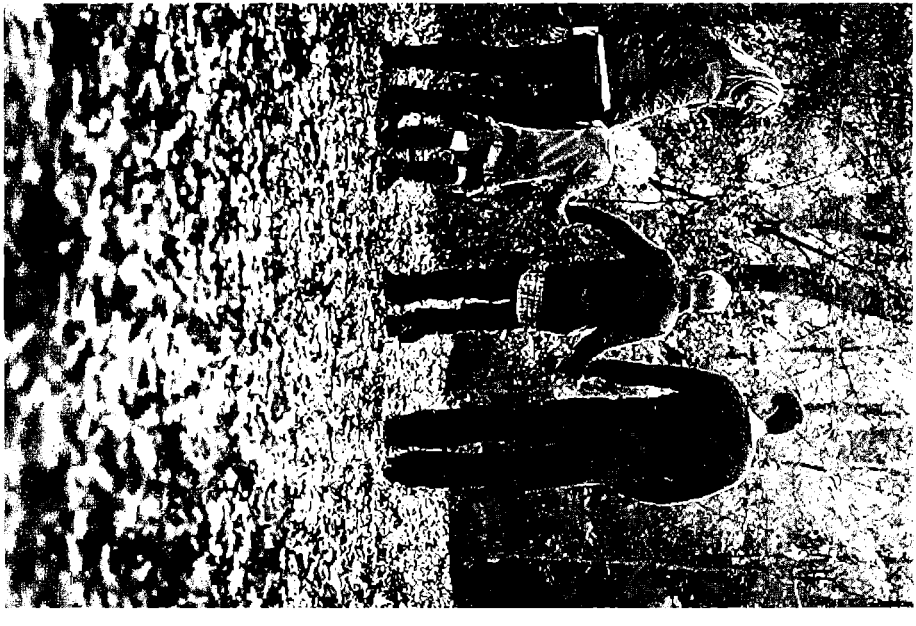

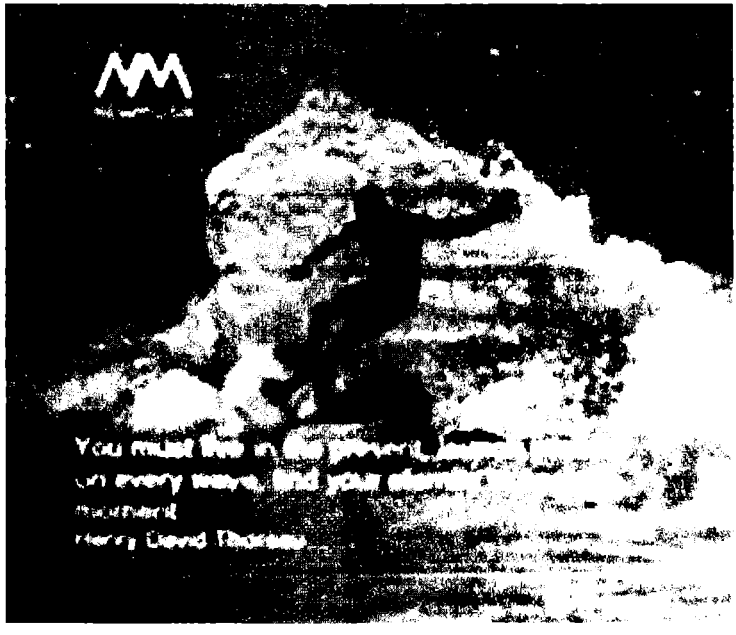

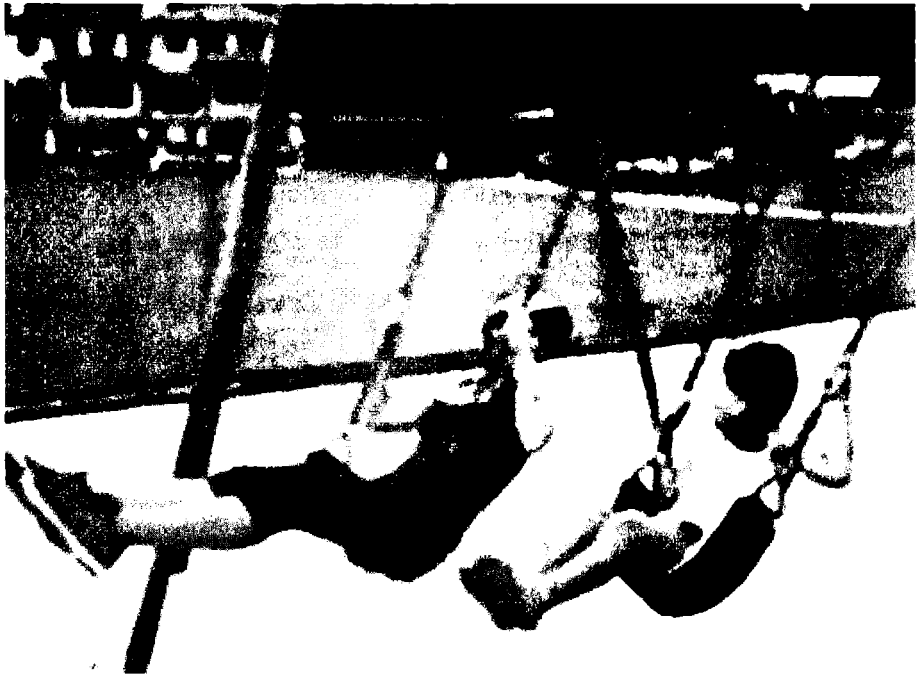

توحد الذات هو بداية طريق البحث عن الذات الإلهية. تتوحد الذات عندما يصبح العقل والجسم واحداً. أي أن تركز الدماغ على كلّ فعل تقوم به، أو كلّ إحساس تحسّ به، أو كلّ فكرة تفكّر بها. إن أكثرية جموع المؤمنين بالديانات السماوية استسلموا بصورة راسخة لإله فوق في السماء منفصل ومنعزل عن طبيعة البشر، هو إله **الذات الجسدية** الأب الحامي، وكذلك إله الشريعة والقوانين إله **الذات المنفصلة**. هذا هو مستوى التطور الفكري لعامة الناس في زمن الأنبياء وما هم عليه الآن، فعقولهم في حالة ركودٍ ذهني. الناس يريدون إلهاً يتكلمون معه، يلمسونه ويتحسسونه. إن التخلي عن المراسم الدينية، والشعائر والتقاليد للديانات التقليدية والنظر إلى داخل الذات هو طريق يشعرك بالوحدة. لكن البهجة والسرور والحب سوف يأتون إليك في الآخر منبعثين من ذلك الصمت. الشخص الذي يتحرر من الضغوط الاجتماعية والتزامات الديانات التقليدية يمتلك ذاتاً متوحدة، لكن في ذلك خطورة الاستسلام للقضاء والقدر، الشعور بالحرية الشخصية هو

نوع من العزلة من دون الأمل في التأثير على أناس آخرين. الأمر متروك لك، هل تعطي ولاءك لإله في السماء، أم لإله في داخلك؟ عندما يذوب الخط بيني وبين ما يحدث لي لا يبقى للغرور أي حصن يأوي إليه ولا حتى مراقب سلبي. أنا أرى نفسي ليس في هذا العالم وإنما **أنا العالم** ليس مجبراً أو تلقائياً. ماذا يحدث؟ هو يحدث بشكل متناغم، ليس هناك وجود للأشياء، ليس هناك ذات مستقلة أو منفصلة، لا وجود لهنا أو هناك، الذات هي الأشياء والأشياء هي الذات، والذي هنا هو الذي هناك. العالم خارج جلدك هو العالم داخل جلدك.

كلّ الكون يصبح عقلك. إذا وجدت العقل والجسم أصبح واحداً، إذا وجدت ذاتك مستقرة ومتمركزة، فإن إلهك هو **إله السلام**، إله السكون الواعي، إله التأمل، إله المصلين. أي إله يجلب السلام الداخلي نابع من الإدراك الساكن الواعي للكون. والإنسان يقود حياة مسالمة، مركزة، وتَقَبُّل نفسي وسكون داخلي. في هذا المستوى من التطور الروحي فإن الإنسان يكون مسالماً هادئاً، ومتأملاً، الله يجلب السلام الداخلي لهؤلاء الذين يكتشفون عالمهم الداخلي. في سكون الدماغ الواعي تكون الذات متوحدة مستقرة تشاهد أحداث الكون بصمت. إله السلام يلائم عالم الاعتزال الداخلي الذي فيه الإنسان يلجأ إلى جبل أو صحراء أو غرفة هادئة في بيته للتأمل والتفكير والصلاة والتسبيح. إله الذات الجسدية وإله الذات المنفصلة ـ المغرورة يعاقب بالفيضانات، بالهزات الأرضية، يحرض على الحروب، هؤلاء الآلهة يستمتعون بمعاناة الإنسان. يدعونك للاعتقاد

بأنك خُلِقت لكي تخدم هذا الإله وتعبده، لكن في النهاية ربما سوف تكتشف بأن الإله وجد لكي يخدمك. إن طاعة إله الذات الجسدية وإله الذات المنفصلة هو مهم جداً وأهم من حاجاتنا اليومية. فنحن بإمكاننا أن نلبي جميع حاجاتنا مستغنين عن إله منفصل عن البشر، جالس في السماء السابعة، وبإمكاننا أيضاً أن نحصل على السلام الداخلي والحكمة، وذلك بإقفال عيوننا والتوقف عن التركيز على النشاطات خارج الجسم، ونرتخي. الإيعازات الدماغية سوف تتغير، موجات ألفا (Alpha) الدماغية سوف تسود على نشاط الدماغ. وهذه الموجات هي موجات السكون الواعي للدماغ، الدماغ لن يذهب حتماً إلى النوم لكنه لا يفكر. السلام الداخلي سوف يحل محل هيجان الدماغ، الثورة الداخلية سوف تركد وتتوقف. الذات الجسدية والذات المنفصلة تجدان انعكاساً لذاتهما في إله خارج كيانهما، منفصل عنهما وله كيان شخصي مستقل. الذات المستقرة، المتوحدة، تتجاوز إرادة ومطالب إله الذات الجسدية وإله الذات المنفصلة التي كانت سائدة. التطور الفكري والروحي للإنسان أدى إلى تمتعه بالسلام الداخلي بمنأى عن إله العقاب والانتقام. العقل اتجه إلى داخله لكي يكتشف ذاته. وهذا يشكل الأساس للتأمل. التفكر، الصلاة والتسبيح في جميع الأديان. من خلال التأمل والصلاة فإن الذات المستقرة تتوحد مع الإله «أيتها النفس المستقرة عودي إلى ربك». إله الذات المتوحدة هو إله السلام الداخلي، وتوحد الذات هو يقود الطريق خارج المشقة اليومية. ليس هناك سلام في العالم الخارجي الذي حُكمه الكفاح والمشقة.

إنه لشيء مألوف أن يفر الإنسان من عالم المشقة اليومية إلى عالم السلام الداخلي بتأدية الصلاة ثلاث أو خمس مرات باليوم. فإنه يلجأ إلى الصمت والسكون الداخلي ليخفّف من هيجان نشاط الدماغ. فإذا لم يفعل المرء ذلك فإن الدماغ يقوم بهذه المهمة تلقائياً فيفرز مادة بيتا اندورفين (Beta - Endorphin) لكي يدخل إلى حالة من السبات ليحمي نفسه. إله الخطر هو ملائم جداً لعالم خطر. أما إله السلام فلم يعد خطراً لأنه خَلَقَ عالماً من العزلة الداخلية والتأمل. الذات المتوحدة الساكنة تتأمل شيئاً مختلفاً جداً. في مركز الدماغ ليس هناك أي أحداث، الدماغ صامت في انتظار أفكار تنبع من مركزه. ذات متوحدة في وسط عالم من الفوضى حولك. توحد الذات هو مكافأة كبيرة، هو ملجأ الذات بعيداً عن الخوف والإرباك والفوضى. جاء الأنبياء لهداية الذات المنفصلة لكي تتوحد وتستقر. الإله الأب لم يتمكن من حماية الذات الجسدية من مخاطر الطبيعة وحل مشاكلها، ولم تتمكن قوانين إله الشريعة أن تحل المشكلة أيضاً، ولا بإمكان إله السلام أن يصدر أمراً بإلغاء المشقة والكدح اليومي. الاعتماد على إله كقوة خارج كيان الإنسان لتحقيق السلام الداخلي، الاستقرار، والطمأنينة والمحبة شيء خيب الآمال. تخل عن ثقتك بإله خارج كيان الذات وابدأ بالنظر إلى داخلك، فإذا وجدت الصفاء والسلام الداخلي فإن موضوع العنف والاقتتال وجميع المشاكل قد تم حلها على الأقل بالنسبة لك كفرد. إله السلام يصلح كدين للفرد لكن الدولة بحاجة إلى دستور وقوانين مدنية تحمي حرية جميع الأفراد.

نحن وجدنا الحياة ذات معنى فقط عندما وجدنا أنها بدون معنى. وعرفنا لغز الكون، فقط عندما اقتنعنا بأننا لا نعلم أي شيء عنه مطلقاً. حل لغز الكون، أعجوبة الأعاجيب لا يحتاج إلى اعتقاد، فقط افتح عين الدماغ الداخلية على اتساعها وسوف تعرف الحقيقة. واجه الحقيقة بعقل مفتوح، لأنك لا يمكن أن تعرف الله إلاَّ بعقل مفتوح. عندما تكتشف الحقيقة الأبدية للحياة: المطلق، الأبدي، الحق، الله، يجب أن تتوقف عن محاولة التمسك بها بشكل أصنام معينة ـ الله بشكل رجل عجوز يجلس على عرش من الذهب. رؤية الله تتم بعد محو أي اعتقاد أو تصور مسبق عن شكل معين لله. في بعض الأحيان نحن نحسد الحيوان، إنه مشغول في أكله وراحته من دون أن يفكر هل هناك معنى لهذه الحياة، أو هل هناك حياة بعد الموت؟

الإنسان غير مقتنع بهذه الحياة، هو دائماً يفكر بالماضي ويتطلع إلى مستقبل أفضل، خاصة بعد الموت. ما الغاية من التخطيط لما سوف آكله غداً إذا لم أستمتع بطعامي الآن. إذا كان تفكيري في الماضي والمستقبل يمنعني من العيش في الحاضر، فإني أسأل نفسي هل أني أعيش في هذا العالم؟ لأن المستقبل عندما يأتي سوف يجدني غائباً. اهتمام الدين في المستقبل بدل الحاضر، هم يريدون ضمان المستقبل بعد الموت، لكن يوم غد والتخطيط للغد ليس له أي أهمية ما لم تكن على تماسٍ تام مع حقيقة الحاضر، لأن الحاضر وفقط في الحاضر أنك تعيش. ليس هناك حقيقه أخرى غير حقيقة الحاضر. حتى ولو أن الإنسان سوف يعيش بصورة أبدية يتطلع إلى يوم غد

يكون قد فقد معنى حياته، فهو ميت على الدوام. عندما نعيش لأجل المستقبل نكون مقطوعين عن العالم، عن الحياة، عن الحقيقة التي هي الآن مفعمة بالحيوية والحياة. ليس هناك حقيقة غير حقيقة الحاضر. الحقيقة التي هي مطابقة لله وللحياة الأبدية هي صادقة وصريحة، وبسيطة ومفتوحة للجميع لكي يراها. من يعيش حياته لحظة بلحظة تتوحد ذاته وهو يشعر بالإنجاز بالكامل في كلّ أعماله. إن الحياة هي معزوفة موسيقية وكلّ ما يجب أن نعمله هو أن نغني معها كما تزقزق العصافير وتغرد البلابل في الصباح والمساء. ما دامت هناك حياة فهناك أمل. أما إذا عاش الإنسان من أجل الأمل، فهناك الموت في النهاية. ولكن من توحدت ذاته فإن الموت هو لحظة أخرى، كاملة ككل اللحظات، لا يمكن أن تكشف عن سرها ما لم يعشها ويحسها الإنسان بالكامل. ليس هناك شيء أكثر إبداعاً من الموت، هو سرّ هذه الحياة. في هذه اللحظة بدأت الحياة تنبض مفعمة بالحيوية وحاضرة، تحتوي عمقاً بدأنا في الغور فيه. لكن لأجل رؤية وتفهم كلّ هذا فعلى الذات أن تتوحد ـ العقل غير منفصل عن الجسم، العقل يتحسس لمسات الأصابع، ويستمتع بنغمات أصوات الطبيعة، فالإحساس هو أنت، والحاس والمحسوس وعملية الإحساس هي أنت. إذا أنت وإحساسك واحد مع هذا الكون، فلا يمكن أن تقف كالمتفرج تصف ما تحس به، لهذا فإن جمع أفكار الفلاسفة وعلماء اللاهوت يجب أن تسقط ـ لأجل أن تعرف الحقيقة فإنك لا يمكن أن تقف كالمتفرج وتصفها. يجب أن تدخل في عمق الإحساس، تشعر به وتكون

الإحساس ذاته. عند ذاك فإنك سوف تفقد الإحساس بالمحيط حولك، الذات تضمحل وتصبح واحدة مع الطبيعة مع الكون، مع الله. فالدماغ يصبح أنا، الشمس أنا، الهواء أنا، والمجتمع الذي أنتمي إليه يصبح أنا، لأن كلّ هذه الأشياء هي مهمة وضرورية لوجودي كما هو عقلي ضروري لوجودي. لدي عقل لا يمكنني أن أراه. هذا العالم الخارجي من الكائنات هو واحد، وفي توحدك مع هذه الكائنات هو توحدك مع الله. وتصبح أنت والإحساس والكون واحداً، جسمك والعالم كله يكون عملية إحساس واحدة داخلية. الحقيقة هو أن جسمي موجود في علاقة طبيعية تربطه بهذا الكون. وأنا مرتبط بهذا الكون ومعتمد عليه كما ترتبط الورقة بالشجرة. الإنسان يجب أن يكتشف أن كلّ شيء في هذا الكون هو أنا ولا يمكن أن يتوحد في داخله ما لم يتوحد مع من هو خارجه. هذا الإحساس بالتوحد مع الكون هو ليس حالة دماغية تغطيها الغشاوة أو حالة من الغيبوبة التي فيها جميع الأشكال والمميزات تضمحل، والإنسان والكون يندمجان في ضباب بنفسجي مضيء. الأشكال وعملية تكوينها: الطاقة والمادة ـ أنا والعمل الذي أقوم به ـ الواحد والمجموع ـ توحد وتعدد ـ تطابق واختلاف. هذه أسماء لأشياء يمكن النظر إليها هي ليست أشياء متضادة بصورة مطلقة. هم أحدهم الآخر كالجسم المؤلف من عدة أعضاء. لأجل اكتشاف هذا: هو أن المجموع واحد، والواحد هو المجموع، هو تفهم أن كلا الشيئين المتضادين هما أسماء وكلمات تمثّل ما هو واضح للإحساس والمشاعر، لكنه هو لغز لعلم المنطق أن

يفسره. عندما تفهم بحق أنك ما ترى وتسمع وتلمس وتشم، وتتذوق فإنك قد توحدت مع الكون مع الله. الكون هو عملية مفردة تحدث بصورة واعية. فقط بالاندماج في تلك العملية يمكننا أن نكتشف من نحن. لا تجربة خارجية سوف تدعمنا لأن جريان الأحداث لا يمكن الهروب منه. الوقت هو نتاج عقل قلق. من أراد إنقاذ ذاته فيجب أن يفقدها. حياتنا هي شرارة ضوء بين ظلام أبدي وآخر. اللحظة الأبدية هي إدراك من دون الشعور بالانفصال. هذه اللحظة لا يمكن تعريفها أو تسميتها، هي الله ـ عندما تصف شعورك أو أن تسمي الأشياء التي أحسست بها تكون قد انفصلت عن تلك اللحظة الأبدية، وهذه الأشياء هي ليست الله. الإنسان، الأشجار، الطبيعة، اللون الأخضر، الأسود، الأحمر، الطول، العرض، الذرات، الكون. هذه أشياء هي ليست الله لكن عندما تدركها وتفقد الشعور بها فتصبح الله تصف شيئاً فإنك تثبته، لكن الحياة الحقيقية هي ليست ثابتة. هذا الشيء الأبدي الذي لا يمكن تعريفه أو تثبيته يمكن أن نطلق عليه اسم «الله». لقد دَرَستنا الديانات السماوية بأن الله هو شيء يمكن أن نستمد منه المعرفة والإرشاد. إذا كان ذلك حقيقة، يصبح من الصعب أن تصدق كيف يمكننا كسب المعرفة والإرشاد من شيء من المستحيل تعريفه أو تثبيته. أدى الشك النزيه والتفكير الدقيق والشجاع من قبل رجال العلم والفلسفة إلى اضمحلال الاعتقاد بوجود الله ولكنهم ليسوا سذجاً لإنكار وجود الله لأنهم لم يجدوا له أثراً في السماء، رغم استعمالهم أقوى التلسكوبات، أو لم يعثروا على الروح بعد تشريح جثة الميت.

ما قاله رجال العلم هو أننا لا نعلم إن كان الله موجوداً!! ليس هناك أي شيء يثبت أن ليس هناك وجوداً لله.

ورد في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ قيل لموسى عليه السلام: «كيف عرفت أن النداء هو نداء الحق؟» فقال: «لأنه أفناني وشملني وكأن كلّ شعرة مني كانت مخاطبة بنداء من جميع الجهات وكأنها تعبّر من نفسها بجواب. فلما شملتني أنوار الهيبة وأحاطت بي أنوار العزة والجبروت علمت أني مخاطب من جهة الحق. ولما كان أول الخطاب ﴿إِنِّيٓ﴾ ثم بعده ﴿أَنَا۠﴾ علمت أنه ليس لأحد أن يخبر عن نفسه باللفظتين جميعاً إلاّ الحق. فاندهشت وهو كان محل الفناء (تلاشي الذات). فقلت: أنت أنت الذي لم تزل ولا تزال ليس لموسى معك مقام ولا له جرأة الكلام إلاّ أن تبقيه ببقائك وتنعته بنعتك فتكون أنت المخاطِب والمخاطَب جميعاً» فقال الله: «لا يحمل خطابي غيري ولا يجيبني سواي وأنا المتكلم وأنا المكلِّم وأنت في الوسط شبح يقع فيك محل الخطاب».

أنت تريد أن تكون سعيداً، أن تنسى ذاتك، ولكن كلما حاولت أن تنسى ذاتك فإنك تتذكرها أكثر. فأنت تريد أن تنهزم من الألم ولكنك كلما جاهدت من أجل الهروب كلما ازدادت معاناتك. إنك تخاف وتريد أن تكون شجاعاً لكن الجهد الذي تبذله لأجل أن تكون شجاعاً هو خوف يهرب من الخوف. إن ما تريده هو هدوء العقل والشعور بالسلام الداخلي. إطلاق أسماء سيئة على رغبات الجسم وحاجاته،

مثل الزنى والفحشاء والأنانية والشراهة سوف لا يخلصك منها. ما يجب أن نعرفه هو ليس هناك أمان، والبحث عن هذا الأمان هو مؤلم. الشيء المبدئي هو فهم أن ليس هناك سلام أو أمان داخلي. الوقوف وجهاً لوجه مع عدم الأمان ومواجهة الخوف سوف يبقى أمراً لا تفهمه. ولأجل فهمه عليك أن لا تواجهه بل أن تكون الخوف. جاء رجل إلى قديس قائلاً له: «إن ذاتي مرتبكة وليس عندي صفاء عقل، أرجوك أعطني السلام» فأجابه القديس: «اجلب لي ذاتك وأنا سوف أعطيك صفاء العقل». مرت عدة سنين يبحث هذا الرجل عن ذاته وعاد إلى القديس قائلاً له: «لم أتمكن من إيجاد ذاتي» فأجابه القديس: «إن ذاتك قد توحدت وعقلك مستقر وصافٍ». لأجل فهم أن ليس هناك أمان هو أن هناك شيئاً في كياننا هو دائم. هذا الشيء هو مركز كياننا، هو الذات الـ «أنا» نحن نعتقد أن الشخص الحقيقي هو المفكر وراء التفكير ـ الحاس وراء الإحساس ـ العارف وراء المعرفة، نحن لا نفهم أن ليس هناك أمان حتى ندرك بأن هذه الذات «أنا» لا وجود لها. لا تفصل مطلقاً في أي وقت من الأوقات عقلك عن أفكارك أو عقلك عن ما تعمله في اللحظة الحاضرة. إنك تفصل عقلك عن اللحظة الحاضرة فقط عندما تنتقل إلى اللحظة التالية لتصبح في الحاضر.

في كلّ لحظة حاضرة أنت واعٍ لتلك اللحظة من الإحساس فقط، وأنت غير واعٍ لإحساسك. فلا يمكنك أن تفصل المفكر عن الفكرة، العارف عن الشيء المعروف. كلّ ما تجده هو أفكار جديدة وتجربة حسية جديدة في كلّ لحظة تعيشها. لأن تكون واعياً، هو كونك واعياً

لأفكار، أحاسيس، مشاعر، رغبات، وأنواع مختلفة من التجارب الحياتية. لا تكن في أي لحظة من اللحظات واعياً لشيء ليس لك معه تجربة في اللحظة الحاضرة. لا تجعل وعيك يسرح خارج التجربة الحياتية الحاضرة إن كانت إحساساً أو أفكاراً، أو مشاعر، كن دائماً داخل التجربة. إذا كان هذا هو الحال فما هو هذا الشيء الذي في داخل وعينا؟ الجواب: هو «أنا» ـ الذات هي العقل والجسم. لكن هذا الجسم غير منفصل عن الأفكار والأحاسيس. عندما يكون عندك إحساس بشيء ما مثلاً باللمس، هذا الإحساس هو جزء من جسمك. وعندما يكون هذا الإحساس مستمراً فإنك لا يمكن أن تفصل الجسم عن الإحساس. هذا الإحساس هو جسمك، هو أنت، الذات «أنا». محاولتك فصل الذات عن هذه التجربة هو كمحاولتك عض أسنانك أو محاولتك رؤية عينك، إنه شيء مستحيل. هذا لا يعني أن هناك شيئاً يسمى «أنا». الذات وشيء آخر منفصل يسمى الإحساس. ليس هناك شيء مستقل يسمى الإحساس، فقط هناك شيء واحد هو **الإحساس باللحظة الحاضرة**. ليس هناك أي إنسان له ذات مستقلة عن إحساسه باللحظة الحاضرة، أو هناك تجربة بالإحساس منفصلة عن الذات «أنا» وهذا يدعونا للقول أن هذين الشيئين هما نفس الشيء.

ليس هناك ذات منفصلة تفكر أفكاراً أو ذات تتحسس إحساساً. لأجل فهم هذا علينا أن ندرك أن الحياة هي لحظات نعيشها لحظة بعد لحظة، وليس هناك بقاء أو أمان، وليس هناك ذات «أنا» ممكن حمايتها وتوفير الأمان لها، الإنسان وتجربته الحاضرة هما واحد.

وليس هناك عقل منفصل عن التجربة يمكن إيجاده. عندما تكون فكرة «أنا» منفصلة عن تجربتي باقية، فهناك ارتباك واضطراب. ليس هناك إدراك ولا فِهم للتجربة، لأجل فهم هذه اللحظة، يجب أن لا أحاول الانفصال عنها، يجب أن أكون واعياً لها بجميع كياني. لأجل أن تعي الموسيقى يجب أن تستمع لها. لكنك عندما تفكر أنك تستمع للموسيقى فإنك في الحقيقة لم تكن تستمع لها. لأجل أن تعي السرور أو الخوف فيجب أن تكون واعياً لهما بجميع كيانك. فإذا سميت هذه المشاعر أو الأحاسيس بأسمائها كأن تقول: أنا سعيد أو أنا خائف فإنك لست واعياً لها بجميع كيانك. الخوف، الألم، الحزن، الضجر، هي مشاكل لها كيان مستقل إذا لم تكن واعياً لها بجميع كيانك. لكن عندما تعيها بجميع كيانك وتصبح واحداً معها فإنها سوف تتلاشى وتضمحل، يبدو أنه إذا كنت «أنا» خائفاً، فهذا معناه أني ملتصق بالخوف. لكن بالحقيقة أنا ملتصق بالخوف ما دمت أنا أحاول الخلاص منه. من جهة أخرى عندما لا أحاول الخلاص منه، أنا أكتشف أن ليس هناك شيء ملتصق أو ثابت حول حقيقة اللحظة الحاضرة. عندما أكون واعياً لهذا الشعور الخالي من التسمية، ومن دون تسميته: خوف، ألم، حزن، ضجر، فهو يتغير في هذه اللحظة إلى شيء آخر، والحياة تستمر بحرية إلى الأمام والإحساس يتوقف عن تكرار نفسه. أنت الآن تستمع إلى أغنية، فجأة أنا أسألك سؤالاً «في هذه اللحظة، من أنت»؟ كيف سوف تجيب هذا السؤال مباشرة وتلقائياً، ومن دون أن تتوقف لتجد كلمات؟ إذا السؤال لم يهزك عن

الاستماع، فسيكون جوابك وأنت تدندن الأغنية. أما إذا تفاجأت بالسؤال، فسوف تجيب «في هذه اللحظة» سوف تتوقف لتفكر ولتجد الكلمات، فإنك سوف تخبرني ليس عن هذه اللحظة، بل عن اللحظة التي أصبحت في الماضي. لكني سألتك من أنت الآن ولم أسألك من أنت في الماضي؟.

لأجل أن تستوعب الحقيقة، الحياة الحاضرة، هو أن تكتشف أن كلّ لحظة لها تجربتها الخاصة، ليس هناك شيء آخر بمعزل عن التجربة، ليس هناك فاعل منفصل عن الفعل. الفاعل والمفعول به وعملية الفعل اندمجوا في لحظة حاضرة وهذه هي حقيقة الكون. حتى في لحظات الشعور بالذات، الذات التي نعيها هي دائماً أحاسيس خاصة كالشعور بتوتر عضلي مثلاً، أو الشعور بالبرد أو الدفء، أو الألم، أو نبض القلب، أو سرعة التنفس. في أوقات السعادة والفرح نحن دائماً مستعدون ما فيه الكفاية لنكون واعين للحظة الحاضرة وندعها تسيطر على جميع كياننا. في تلك اللحظة نحن ننسى أنفسنا والعقل لا يحاول أن ينفصل عن التجربة. أنا لا يمكن أن أهرب من حقيقة الحاضر، ما دامت الذات «أنا» هي لا شيء غير ما أعرفه الآن، هذا الهيجان الداخلي يجب أن يتوقف.

سأل رجل القديس «كيف يمكن أن نتخلص من المشاكل والمعاناة.» أجابه القديس: «اذهب إلى قلب المشكلة» ردّ عليه الرجل: «لكن معنى هذا أننا سوف نعاني أكثر» قال القديس: «سوف لا تشعر بأي ألم». الباب الوحيد للخروج من جهنم هو في وسط جهنم.

في لحظات النشوة العظيمة، كقاعدة عامة نحن لا نقف لنفكر «هل أنا سعيد؟». أو «هذه هي السعادة».

الشخص الخائف أو الشخص الوحيد يبدأ بالتفكير حالاً: «أنا خائف» و «أنا وحيد». هذه هي محاولة لتفادي التجربة. نحن لا نريد أن نكون مدركين للحظة الحاضرة هذه. كن واعياً يقظاً وحساساً للحظة الحاضرة دائماً في كلّ فعل وعلاقة مهما تكن وابدأ الآن، لأنك لا يمكن أن تفصل ذاتك عن الحاضر، ولا يمكن أن تُعرِفه. اللحظة الحاضرة هي بكلّ بساطة أن تكون واعياً للتجربة الحاضرة. وتفهمك أنك لا يمكن تفريقها أو فصل ذاتك عنها. أن تسمي التجربة بكلمات هو أن تصفها بالماضي أن تترجمها بمفهوم الذاكرة، بأن تربط غير المعروف (التجربة) بنظام معروف (كلمات). هناك طريقة للنظر إلى الحياة بعيداً عن كلّ ما نعرفه من المفاهيم، المعتقدات، النظريات والآراء. **لغز الحياة** هو **ليس** مشكلة يتوجب علينا حلها، بل حقيقة يجب علينا أن نختبرها. إنه بالتأكيد شيء منافٍ للعقل لأن نبحث عن الله من طرف تصور سالف لما هو الله. الاعتقاد بالله والبحث عن إله تعتقد به هو وبكلّ بساطة أنك تبحث عن تأكيد لتصور الله في هذه الطريقة هو ليس أكثر من الطلب منك لأن تزكي هذا الاعتقاد. لضمان بأن المجهول والمستقبل سوف يستمران كما كانا عليه بالماضي ـ أكبر وأحسن قلعة للذات المغرورة.

جميع الأشياء يجب أن تعود إلى مصدرها. اللحظة الحاضرة هي

الأبدية، الوقت هو قدرنا، الوقت هو أملنا، الوقت هو يأسنا، والوقت هو المرآة التي نرى فيها الأبدية. نحن أتينا من الماضي الذي غاب عن الوجود، نحن نذهب إلى المستقبل الذي لم يأت بعد، ما نملكه هو الحاضر. نحن نمتلك الماضي في الذاكرة، والمستقبل في التوقعات. لكن ما هي طبيعة الحاضر في ذاته؟ الحاضر هو النقطة التي ليس فيها امتداد. عندما نقول لأنفسنا: «هذا هو الحاضر» فإن لحظة الحاضر تكون قد أصبحت ماضياً. الحاضر يختفي في اللحظة نفسها التي نحاول فيها الإمساك به وتعريفه. الحاضر لا يمكن الإمساك به، فهو يمضي دائماً. ما يبدو هو أننا لا نملك شيئاً حقيقياً ـ لا الماضي ولا المستقبل ولا حتى الحاضر ـ وليس بإمكاننا حتى القول «الآن» إذا لم يرفع الله تلك اللحظة ويميزها عن الزمن العابر باستمرار.

الخلود هو وجود دائم، وهذا الوجود هو السبب في تملكنا الحاضر. «الآن» هو الحقيقة الدائمة، وذو أهمية دائمة. في كلّ لحظة ننطق بها ونقول «الآن» يحصل اتحاد بين الزمان والأبدية. عندما ينطق إنسان ما ويقول: «الآن أنا أعيش، والآن أنا موجود» هو يقاوم التيار الذي يدفع بالمستقبل إلى الماضي، وهذه هي الأبدية. في كلّ واحدة من هذه «الآن» الأبدية تظهر للعيان. في كلّ من هذه «الآن» الأبدية موجودة ـ نحن نفترض أن المستقبل سوف يكون أكثر إشراقاً وأحسن من الحاضر ـ لكن هناك دائماً مستقبلاً آخر بعد المستقبل القادم، مرات متكررة ومن دون حاضر، ويمكن القول من دون أبدية. لكن الحياة الأبدية هي هدية الزمن الحاضر هي «الآن». الوقت سائر إلى

الأمام، هو شيء فريد من نوعه وفي كلّ لحظة هناك خلق جديد. الأهمية الأبدية لكلّ واحدة من لحظات الوقت الحاضر هي أننا نقرر فيها أشياء تخص مستقبلنا الأبدي. الفرد يبحث عن ذاته الحقيقية. ذاتك الحقيقية هي التي تأتي إلى الوجود ثم تموت، تظهر ثم تختفي أنت هذا الكون الذي ينظر إلى ذاته من خلال ملايين النقاط، نقاط تأتي ثم تختفي والرؤيا دائماً متجددة. عندما ننظر إلى الموت، إلى الفضاء الخالي أو إلى العدم، ما هي إلاّ المنخفض بين موجات المحيط غير المتناهية. ليس هناك وقت فقط الحاضر، ولا أحد غير الكل وجميع الأشياء، ليس هناك شيء نكسبه. ليس هناك قديس خالٍ من الشوائب، ما دمت قد خُلِقت بشكل إنسان فأنت يجب أن تأكل على حساب الكائنات الأخرى وأن تتقبل حدودك ككائن حيّ خاص. يجب أن تعترف بوجود الفريق الآخر، **العدوّ**، التابع، الذين تعتمد عليهم، **الخارج** عن حزبك، عن دينك، عن مذهبك وعن جميع أشكال الحياة مهما تكن. ادخل في لعبة الحياة العملية: تنافس وتعارض، وسوف لن تنغمس أبداً في وهم أن من هو خارج عن دينك أو مذهبك هو على خطأ، ويجب محوه من وجه الأرض. هذا سوف يعطيك مقدرة لا تُقاس بثمن على احتواء المعارضة بحيث يمكن السيطرة عليها. أحب منافسيك وإلاّ فليس بإمكانك أن تتقدم من دونهم. لا أحد باستطاعته أن يجعل من الفريقين المتعارضين أن يعيشا بتوافق من دون الوصول إلى خطة عملية تجمع بين الملاك والشيطان في داخلك. بين الورد فوق والسماد تحت. هاتان القوتان أو

الميولان، يعتمد أحدهما على الآخر بصورة متبادلة. إذا أردنا العدالة للأقليات، أو الفريق الآخر إن كان بشراً أو كائنات أخرى: **أولاً**: يجب أن نتصالح مع الأقلية والفريق الآخر داخل أنفسنا، لأن العالم خارج جلدك هو نفس تركيب العالم داخل جلدك. تغيير طبيعة الإنسان هي مهمة شاقة جداً وبطيئة جداً، إنها تتطلب تنظيماً والتزاماً لكي نحدث تغييراً جذرياً في نمط التصرفات الخاصة. إنك تعتمد على الأعداء والخوارج لأجل تعريف ذاتك، ومن دون وجود المعارضة فلا وجود لك. **ليس بإرادة الإنسان** أن يكون إما ملاكاً أو شيطاناً أو إجبار الشخص لأن يتصرف كالملاك أو استئصال جذور الشيطان من الشخص كي يكون قابلاً للحياة متلائماً وعملياً. الحياة يجب أن تكون لعبة، يجب أن يعيش الشخص بروح المرح واللعب بدلاً من العمل الجاد فقط. لا عمل يتم إنجازه أو إكماله بصورة جيدة ما لم يكن فيه نوع من المرح. ليس هناك جنس، أو حزب أو دين يمكن أن يعيش من دون وجود ضدّه الطبيعي، حبيبه العدوّ، معارضوه الذين لا يمكن الاستغناء عنهم. لأجل أن تحب عدوّك أحبه كعدوّ. الأسد يرقد مع الحمل في الجنة ولكن ليس على وجه الأرض. لا أحد مجبر على التصرف بحرية أو مضطر للعمل بصورة مستقلة. الإحساس بالغرور هو جذور عدم الارتياح والضجر. أنا بحاجة للهروب من الذات الشخصية، يجب أن أجد شيئاً يبعدني عن ذاتي: أنا أقرأ الكتب الفقهية باستمرار لكي أنسى ذاتي، أضيع في القراءة. من جهة أخرى التعصب الديني، والمخمورون حتى الثمالة في الدين، في السياسة، في

الجنس، النازية، الانغماس في مشاهدة التلفزيون، ولعب القمار، وشرب الخمر، والعصابات الصبيانية، كلّ هذه الأشياء هي صمام أمان ضروري ومسكنات للكائن البشري الذي يمكن أن يُعَرّف وجوده بمفهوم مناقضات الذات (الضد)، أو إلغاء الذات (الفناء). إدراكنا لوجودنا سطحي وضيق وليس هناك شيء أكثر ضجراً من الوجود. الإنسانية الحقيقية هي معرفة ذاتك. إدراك الذات يجعل من التجربة الحسية للوجود ذات معنى ويعطيها حيوية ونشاطاً. معرفة الذات هو من أصعب الأشياء التي يمكن معرفتها. كلّ فرد يستفيد من معرفة ذاته بصورة حميمة من الداخل ـ وهناك مضار في أن يكون الشخص قريباً جداً من الذات لأنه سوف لا يمكنه الانفصال عنها. جذور الوعي الحسي هو العقل الباطني. الأشخاص الذين نسميهم أغبياء وغير مثقفين هم الذين لا يجدون أي متعة في كونهم بشراً، إنسانيتهم غير كاملة، إنسانيتهم لم تدهشهم أبداً. هناك شيء غير كامل في تركيبهم. الذرة الوحيدة الحقيقية هي الكون، الشيء الحقيقي هو كلّ شيء، إذاً ما هو؟ أي دين وأي تجمع يشتمل كلّ شيء؟ ماذا يمكننا أن نقول عن كلّ شيء؟ لأجل أن نُعَرِّفَه هو أن نحدده ونضع له حدوداً، لأجل مقارنته ومغايرته بشيء آخر. لهذا السبب، الكون، الكل، يبدو غنياً عن التعريف. ما هو كلّ شيء؟ ليس له معنى. لماذا هناك كون وما هو؟ لماذا نحن ذكر وأنثى؟ ما هو كلّ شيء؟ الجواب هو انظر وشاهد. هناك فجوات بين أصابع يدك، هناك فجوات بين الحواس. في هذه الفجوات يوجد الظلام الذي يخفي الروابط بين الأشياء. هذا

الظلام هو مصدر خوفنا وقلقنا الغامض. ولكنه أيضاً هو بيت الله. إن جميع الأشياء المتعددة في هذا الكون وجميع الأحداث هي داخل كلّ شيء ما كانعكاس على المرآة. هي صورة مادية لجوهر روحي. الإنسان ككيان هو نظام كوني منتظم في ذاته هذا الشيء الغامض يسمى الله، المطلق، الطبيعة، المادة، الطاقة، الفضاء، الروح، العقل، الكون، الفراغ، الأبدي. الممارسات الصوفية موجودة في جميع الديانات، وتقريباً في جميع ثقافات الأمم في جميع العصور، هذه التجربة هي تحول الذات الشخصية إلى ذات إلهية. رغم عمومية هذه التجربة إلاّ أن متحجري العقول يعتبرونها نوعاً من الهلوسة المتصفة بالخوف.

إن من الممكن لذاتي، ووجودي أن يحتوي على وجود وعدم وجود، وهذا العدم وجود هو الموت، وأنا أتذبذب بين الحياة والموت، وجود وعدم وجود، وهذا يجعل من وجودي وجوداً أبدياً. خرافة الذات المستقلة المنفصلة التي تراقب الأشياء والأحداث خارج كيانها لا يوافق عليها علم النفس ولا علم الطبيعة ولا علم الاجتماع. ومن جهة أخرى فإن الذات والأشياء التي تحيط بها، الفاعل والمفعول به، الكائن ومحيطه هي أقطاب لعملية كونية واحدة. هذا هو وجودي الحقيقي، هذه هي الذات، هذه هي الحقيقة. لأجل أن تجد ذاتك فيجب أن تفقدها. وعندما تفقدها فسوف تجد السلام. الإنسان لا يمكن أن يعيش حتى يفقد ذاته الشخصية، حتى يتحرر من القلق المسيطر على حياته، على ممتلكاته، على سمعته، على مركزه الاجتماعي. يجب أن يقود حياة خالية من الارتباطات. لكن أكثرنا

يعلم أننا لا يمكن أن نتخلى عن كلّ شيء، نحن سوف نستمر في تمسكنا بعاداتنا وتقاليدنا المصحوبة بالعجز والإدمان على ممارسة أهوائنا المُحَطّمة. من ينكر ذاته يتغلب على غروره وأنانيته. هناك أفراد يحاولون قبول ذاتهم لأجل أن يكونوا مختلفين، ويحاولون أن يتنازلوا عن ذاتهم لأجل كسب مزيد من احترام الذات في نظرهم، أو نيل بعض الإحساس الروحي. هذه الذات ملتصقة بنا، ليس هناك جدوى من نكرانها أو قبولها. ذلك الجزء من الذات الذي يريد تغيير الذات هو الشيء نفسه الذي بحاجة إلى تغيير. لأن أنانية الذات تنمو على فكره أنها بإمكانها أن تقود نفسها، إنها السيد والمولى لنشاطها الخاص. ما هو معنى أن تجد حياتك بعد أن تفقدها؟ الحب، الغضب، الحزن، الرعب، الخوف من الرعب، ومحاولتنا الوقوف فوق هذه الانفعالات والسيطرة عليها هذا هو الانفعال بحدّ ذاته. الحب هو أن تكون محبّاً للحب، والحزن هو أن تكون آسفاً على شخص حزين. محاولتنا التخلي عن أحاسيسنا يوازي بالمقياس قدرتنا على الإحساس بها. هناك خطأ كبير في محاولتنا التخلي عن أحاسيسنا أو الإحساس بطريقة مختلفة عن ما نحس به في الحقيقة. تَقَبّل أحاسيسك وانفعالاتك. الحكمة هي في استجاباتنا التقليدية والطبيعية للحوافز في محيطنا. أعلى مستوى من الحكمة هو في التخلي عن الارتباطات. الإنسان الكامل هو الذي يستخدم عقله كالمرآة. هي لا تتمسك بشيء، لا ترفض أي شيء، هي تستلم ولكن لا تحتفظ بشيء. التخلي عن الارتباطات يعني أن لا نندم على الماضي ولا

نخاف على المستقبل، أن تدع الحياة تسري من دون محاولتك التدخل في مجرى سيرها أو تغيرها، ولا أن تحاول إطالة بقاء اللذة أو تعجيل زوال الألم. أن تعمل هذا معناه أنك تسير مع مجرى الحياة في توافق مضبوط مع تغيّر نغم الحياة، وهذا يسمى «التنور». وباختصار هو أن تتخلى عن الماضي والمستقبل وأن تعيش في اللحظة الأبدية «الآن».

في الحقيقة ليس هناك وجود للماضي أو المستقبل منفصل عن «الآن». هما بحدّ ذاتهما وَهم. الحياة موجودة فقط في هذه اللحظة، وهذه اللحظة هي أبدية ومن دون نهاية. اللحظة الحاضرة هي غير متناهية في الصغر وقبل أن تتمكن من قياسها فإنها تكون قد اختفت، ومع هذا فهي موجودة على الدوام. إذا أردت أن تعرف ما هي الحقيقة فيجب أن تنظر مباشرة إليها وتعرف بنفسك لكن هذا يحتاج إلى نوع من التركيز. لهذا عليك أن ترى الحقيقة بوضوح، فإن عقلك يجب أن يكون خالياً من الأفكار، وأن لا يسرح في خيال الذكريات. هناك طرق عديدة تساعد الدماغ على التركيز. ليس بإمكانك أن تركز وأن تفكر في أنك تركز على شيء. الطريقة الوحيدة للتركيز هو أن تركز. هو أن تقوم بالتركيز وفكرة قيامك بالتركيز سوف تختفي من إحساسك، وهذا الشيء يحدث أيضاً للدين، فالدين يختفي عندما يصبح شيئاً حقيقياً وفعالاً. أما إذا كان الدين هو السؤال خلف أي إمام تصلي؟ أو ما هو طول لحيتك ـ أو لماذا تحلق لحيتك؟ ومن جاء إلى الصلاة؟ وكم ركعة في اليوم تصلي؟ وما هي المدة التي تقضيها في التسبيح؟ وهل تتكتف أم تسبل ذراعك عندما تصلي؟ أو كم مرة ذهبت

للحج في مكة؟. هذه الأشياء هي ليست عبادة لأن العبادة هي تركيز ونكران للذات. إن ما تقوم به هو تظاهر بالدين، إنه تأكيد للذات والاعتراف بها بدل نكرانها. أعمال شاقة سوف تكون سهلة عندما نبدأ بإنجاز خطوة واحدة في كلّ لحظة. في حالة التركيز وانتباه صافٍ من دون أي تذبذب، فإن الفرد يفقد ذاته، ليس هناك شعور بالذات، هذا لأن الذات هي مؤلفة من كلمات، ذكريات، أوهام، ليس لها وجود في حقيقة الحاضر «الآن». لهذا السبب فإن الشعور بالذات هو إعاقة مستمرة للأعمال الخلاقة. هو إحباط الذات المزمن. إذا حاولت مراقبة دماغك وهو يركز، فليس باستطاعتك التركيز. الشعور بالذات يوحي بانقسام الكائن إلى جزءين ـ العارف والمعروف، المفكر والتفكير، ونحن نستشعر هذا الانقسام. لهذا السبب فإن المشكلة الأساسية في حياتنا هي الذات ـ لماذا نتعذب بالقلق حول بقاء الذات والسيطرة على الذات؟ لماذا نحن منقسمون على أنفسنا بحيث نحتاج إلى قوانين وتشريعات دينية لكي ننظم تصرفاتنا. استعمال العقاب والثواب لكي نمتنع عن فعل الشرّ ونلتزم بفعل الخير. وكلّ فرد يفهم مدى ضخامة وسخافة هذا المأزق الذي نريد الخروج منه والعودة إلى الانسجام. الطريق الوحيد هو أن لا نعمل أي شيء. هذا النوع من عمل لا شيء يسمى عدم الكفاح. عدم عمل أي شيء هو سرّ الانسجام. تعلم ما هي طريقة الحياة الطبيعية والعقلانية هو أن نتجسم قانون الطبيعة ومبادئها وأفكارها واتباعها. الطريقة المثلى للارتخاء المتعمد هو أن تقول إلى الجحيم لمشاكل هذه الدنيا وتجبر نفسك

على السكون وتحاول أن تعيش حياتك مرتخي الذهن بارداً في ردود أفعالك للمشاكل حولك، وأن تتقبل نفسك كما هي، وأن لا تحاول تغييرها. هذا التصرف يجعل منك إنساناً متجانساً مع طريقة حياة الكون، إنك ترى نفسك ككائن له غرض في هذه الدنيا ولكن افهم أن ليس هناك غرض لوجود مثل هذا المخلوق. هدفك هو أن تحافظ وتجدد نسلك. لكن في المنظور الأكبر للكون ليس هناك سبب ولا غرض لهذا الهدف. هذا الشيء يدفعك إلى الكآبة، لأن مركز الثقل قد تغيّر ولم تعد ترى ذاتك جزءاً من هذه العملية السخيفة ـ الوصول إلى الهدف من دون غرض. هذا الكون هو دائم الوجود. والسبب لاستمرارية الكون هو أن الكون لا يعيش لذاته لهذا السبب هو باقٍ إلى الأبد. من لا يعيش لذاته فقد عرف ذاته. عندما يرى الفرد أنه يعيش خارج ذاته، خارج الحلقة المفرغة (الذات) فإن الحلقة تتفتح. ليس هناك طريقة ولا خطة بإمكاني أنا وأنت أن نستعملها لكي نتطابق مع قانون الطبيعة. لأن كلّ طريقة وكلّ خطة تتضمن هدفاً ونحن لا يمكن أن نجعل من قانون الطبيعة هدفاً ما دمنا نفكر بأنه ربما باستطاعتها إيقافه أو أن هناك طريقة ما، بالعنف أو بالليونة، صعبة أو سهلة بأن نجعل من أنفسنا غير أنانيين، فإن التناقض سوف يستمر أو ربما يكون أسوأ. يجب أن تعلم بأن ليس هناك مخرج، وفي حالة تفهمنا لذلك يمكننا إيجاده، ولا نتيجة يمكن كسبها، فإن الحلقة المفرغة سوف تنفتح. نحن نجد أنفسنا في هذه الحلقة المفرغة بسبب جهلنا، والجرعة المضادة لهذا الجهل هو بالمعرفة وليس الفعل، ليس ما تفعله

ولكن ما تعرفه. معرفة الحلقة المفرغة، معرفة سجننا البائس في بحث عديم الفائدة. معرفة الله، معرفة الحقيقة الأبدية هو قيد تجربة اللحظة الحاضرة، التي لا يمكن وصفها بكلمات، وأي محاولة لوصفها فإنها تضعك في حلقة مفرغة أخرى. الجميع يجاهد من أجل اتباع مثل روحي أعلى للوصول إلى الجنة ومن دون جدوى، لأن جهادهم هذا يبعدهم عن الحياة الروحية، يجب أن نموت لكي نستعيد حياتنا. لأن الجنة دائماً موجودة.

السيارات المفخخة

مفهوم الدين في عصرنا الحاضر

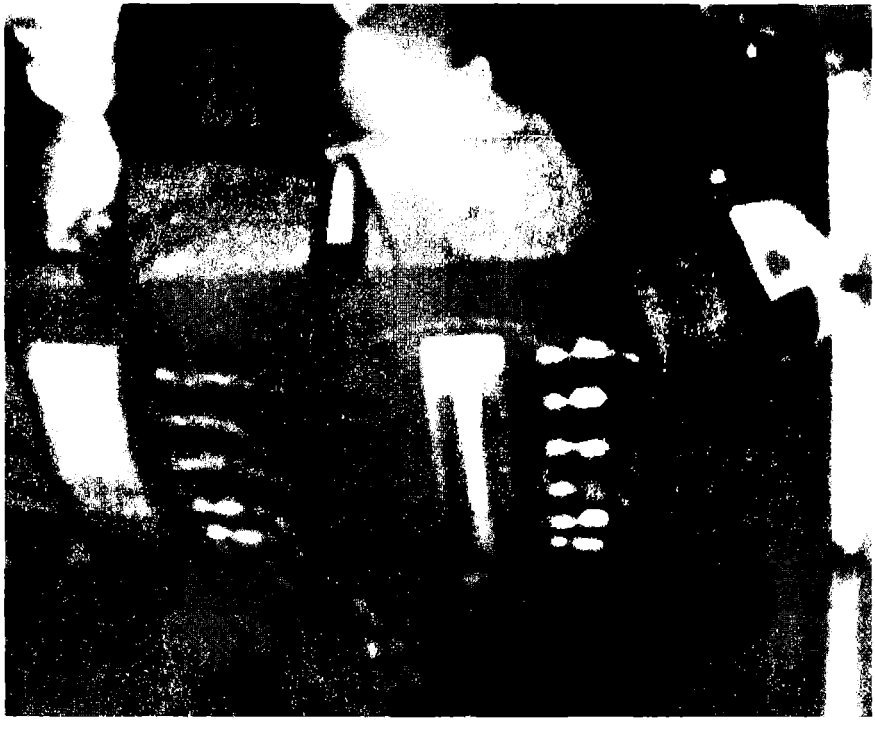

الحزام الناسف

مفهوم الدين في عصرنا الحاضر

في الجهة الأخرى من وادي الموت. الله وبكلّ بساطة هو عمق جوهرنا الداخلي. يجب أن تتوقف عن البحث عنه لأن البحث عن الله، أو أن تتمنى الله، هو ليس غير سَحبِه إلى الأسفل، إلى مستوى أهداف غير ذي جدوى، هو تشويش الخالق بمخلوقاته. في أن ترغب الجنة هو وبكلّ بساطة أن تجعل من الجنة اسماً آخر للذة محيرة إلى الأبد. كلّما فكرنا في الذات، تحدثنا عن الذات، بحثنا عن الذات، ليس هناك ذات تبحث عنها، عندما لا تجد ذاتك فإنك وجدت ذاتك. هناك اعتقاد بأن هناك وصفة لدخول الجنة. السؤال هو: «ماذا يجب أن أعمل لكي أدخل الجنة؟».

حشر مفاهيم دينية في أذهان الشباب وخداعهم بأن **الاستشهاد في سبيل الله هو الطريق إلى الجنة**. متى تنضج عقولنا؟ ليس هناك وصفة ولا أحد يعرف أي طريقة. الطريقة الوحيدة هي طير يحلق في السماء،

الآن تراه، والآن لا تراه، ليس هناك أي أثر يتركه في السماء. الحياة هي باقية وسوف لن تذهب إلى أي مكان، وليس هناك أي شيء يجب علينا تحقيقه. نحن كلنا رُمينا في فراغ منذ الولادة، مفقودين والطريق الوحيد هو عدم المبالاة. كلّ فرد مصيره أن يتلاشى إلى لا شيء ولا أحد يمكن أن ينقذ نفسه. نحن نصبنا لأنفسنا مصيدة في الكذب على أنفسنا بأن هناك جنة بعد الموت يمكن دخولها في التأمل، الصلاة، التسبيح، الحج، الزكاة، الصيام، وعمل الخير وأننا سوف نتمكن من إنقاذ أنفسنا من مصير الموت المحتوم. علمك بأن ليس باستطاعتك عمل أي شيء لإنقاذ نفسك من الموت هو البداية. الدرس الأول هو أني أقر بعجزي. ماذا حدث الآن؟ هو أنك تجد نفسك في حالة ذهنية غير مألوفة. فقط تراقب، لا تحاول الحصول على أي شيء، ولا تبحث عن أي شيء، ولا تحاول الاسترخاء. فقط تراقب من دون أي غاية في أن تتوقع شيئاً ما ـ في أن توعد نفسك بنتائج مثلاً، لأن هذا سوف يتلف كلّ شيء. ليس هناك أمل، ليس هناك طريقة، ليس بإمكان أي أحد أن يجعلها تحدث لكن فجأة يحدث التنور. عندما تتخلى عن جميع رغباتك في هذه الدنيا فإنك سوف تصبح من القديسين. والتجربة الروحية التي تسمى التنور تحدث تلقائياً من دون إجبار. الإنسان الكامل يستعمل دماغه كالمرآة: لا تتمسك بشيء، لا ترفض شيئاً، تستلم كلّ شيء لكن لا تحتفظ بأي شيء. الحقيقة المطلقة، الجوهر الأساسي للكون، الله، كلّ هذه كلمات من دون معنى. هناك إله، هناك نجوم في السماء، كلّ الأشياء لها كيان، جميع

البشر سوف يموتون، الله خلق الكون وهو حيٌّ لا يموت، هو العالم بكلّ شيء والإنسان مخلوق يختلف عن طبيعة الله، ما هو جوهر الوجود، وماذا أنا؟ هذا الشعور هو عام لدى جميع البشر. أنا صاحب الذات الشخصية، لدي كيان منفصل وخاص، ومختلف عن جميع البشر. ليس هناك حاجة للتعجب ماذا أنا ما لم أكن في طريقة ما أشعر بأن ذاتي غريبة عليّ؟ لكن ما دام إدراكي لذاتي لا يشعرني بالغربة أو مقطوعاً أو منفصلاً عن جذوري فإني أشعر بمعنى لذاتي الشخصية. أنا ذك المغرور، هو معنى آخر لإدراكي. والإدراك هو فعالية الدماغ. عند تعريف الذات يكون مقروناً بالإدراك فإن الإنسان يشعر بالانفصال والانعزال وانقطاع الجذور، ويتصرف بحرية كاملة في فراغ. الإدراك، الذات، الشعور بانقطاع الجذور سوف تكون ملازمة لك ما دمت تتجنب وترفض أن تقبل حقيقة أنك لا يمكن أن تعرف جوهرك. جوهر المعرفة هو عدم المعرفة. أنا أفهم الآن أن جوهري وذاتي هو شيء لا يمكن الإمساك به أو معرفته. إنه ليس أنا الدكتور أو أنا المهندس أو أنا القديس أو الإمام أو الشيخ أو النبي. الشخص الذي يحاول أن يعرف ذاته أو الإمساك بذاته يصبح غير آمن ومتزعزعاً. وعلى الضد من هذا فإن الشخص يعرف حقيقة أنه لا يمكن الإمساك بذاته هو يستسلم ويرتخي ويطمئن. لكن هذه الطريقة لفهم الحقيقة الإلهية بالنسبة لرجال الدين هي طريقة سلبية ولا يمكن استيعابها. التفكر، التأمل، والتنور الروحي هذه تجارب يجب أن يمر بها كلّ إنسان لوحده، فلا يمكن تمريرها من شخص إلى آخر، كما لا يمكنك أن تأكل طعام أحد عوضاً عنه.

اللحظة العابرة لا يمكن أن نبقيها، كما لا يمكن أن نبقي زقزقة العصافير وتغريد البلابل لكي نسمعها دائماً. اللحظة هي اللحظة، مرت وأنت استمتعت بغناء الطيور واللحن لا يبقى لكي تحلله وتدرسه. هذه هي الحياة، استمتع بكلّ لحظة من حياتك ولا تكن متفرجاً. لكي تفهم هذه الأشياء يجب أن تجري مع الحياة ولا تحاول أن تحلل معنى الوجود ومعنى الحياة ومن أنا وماذا أفعل في هذا الكون؟. لأنك لو تصورت أن لك ذاتاً منفصلة عن الحياة وبطريقة ما يجب أن تنسجم مع الحياة، فهذا سوف يؤدي بك إلى الوقوع في الحلقة المفرغة. هناك البعض لم يعيشوا حياتهم، هم دائماً لهم أفكار عن الحياة وأحاسيس عن الحياة والبعض الآخر ينجرف مع تيار الظروف، منغمراً بالأحداث ومتحداً معها. القطبان المتضادان يتحدان لإنتاج كائن ثالث كاتحاد الرجل مع المرأة لإنجاب طفل. عندما تختزل الأشياء المتعددة إلى واحد، إلى ماذا يختزل الواحد؟ من يعرف هذا فقد عرف الله. كلّ فرد يجد هذا لنفسه.

الفصل الرابع
الذات التوابة

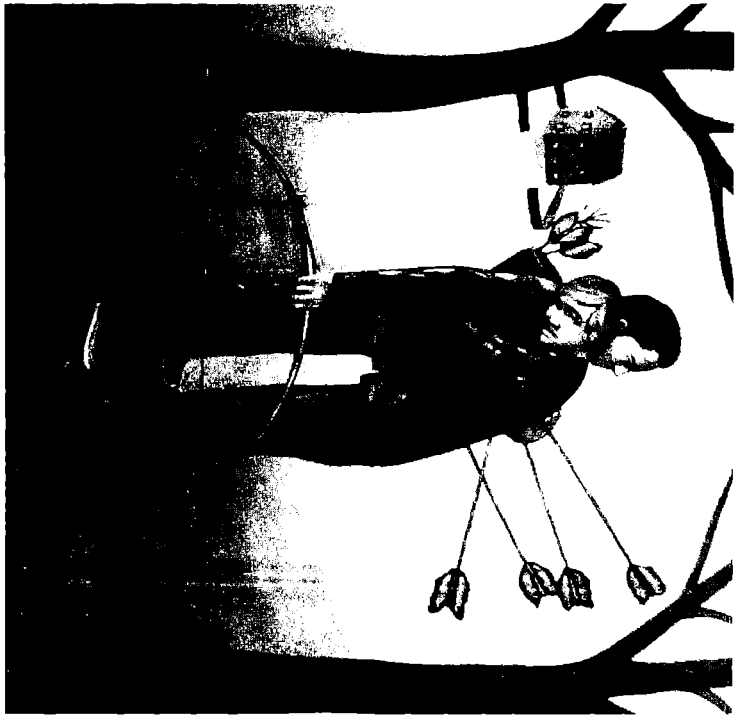

التوبة

النسيان يحررنا ليس من تذكر الماضي، ولكن من الألم الذي يجلبه هذا التذكر. التوبة تترك خلفها عمل الشرّ وتبدأ بالعمل الصالح، هو يعني أن تدفع بالضمير والشعور بالذنب إلى الماضي، ليس بكبحه ولكن بالاعتراف به واستلام كلمة القبول بالرغم منه. إذا كان بمقدورنا أن نتوب فبإمكاننا أن ننسى. نحن اعترفنا بذنبنا والآن بإمكاننا أن نعيش معها لأنها أصبحت في عالم النسيان. ليس بإمكان الفرد أن ينسى ذنوبه ويضعها خلفه ما لم يمارس بصورة جدية وبصمت طلب المغفرة من الله، هو يقول مثلاً: «أستغفر الله ربي وأتوب إليك» مراراً وتكراراً ليلاً ونهاراً لمدة أسبوع أو شهر حتى يسمع الصوت من داخله يقول: «لقد غُفِرَت لكَ ذنوبك». من دون مغفرة الله ونسيان الذنوب فليس باستطاعة أي فرد أن يقيم علاقة إنسانية صحيحة. مسامحة وقبول من أساء إلينا هو قمة الإيمان. نحن بإمكاننا العيش فقط لأن ذنوبنا قد غُفِرت وبإمكاننا أن نحب فقط لأننا قد غُفِرنا وغَفَر الله لنا. إن من كان

عنده ذنوب ولم يتب فإن مزيداً من الذنوب سوف تضاف إليه، ومن ليس عنده ذنوب واستمر في عمل الخير فحتى لو كان عنده أي ذنب فسوف يزيله الله عنه. ليس بإمكان أي فرد أن يصلح ذاته ما لم يكن في قبضة القوة الموجودة في داخل جميع البشر وجميع المخلوقات الأزلي الذي منه أتينا إلى الوجود وإليه نعود، الذي أعطانا الذات وحررنا من الذات. ليس هناك موقف إنساني لم تخترقه ذات الإله. الله موجود داخل الأشخاص والمجتمعات، يمسك بهم يصلحهم يحررهم يلهمهم ويحولهم، لأن روح الإله هي قوة تدفع بروح الإنسان إلى مستوى أعلى مما يمكن أن تصل إليه بنفسها. الروح الإلهية تعمل في داخلك بصوت ناعم ولكن بإصرار وثبات، تقول لك: إن حياتك فارغة ومن دون معنى ولكن هناك فرصة لحياة أخرى جديدة في انتظارك. الروح تعمل في داخلك وتعطيك الشجاعة لتقول: «نعم للحياة» بالرغم من اليأس والدمار الذي تستشعره من حولك وفي داخلك. هل من طريقة للخلاص من لعنة الماضي التي تهدد حياة الأُمم والقارات، وأكثر من ذلك تهدد الجنس البشري بأجمعه؟ هل بإمكاننا أن ننفي مقداراً ضئيلاً من ماضينا إلى الماضي لكي يفقد سلطته على الحاضر؟ في حياة الفرد الشخصية هذا بالتأكيد ممكن. أحد الحكماء قال بحق: «قوة الشخصية تعتمد على كمية الأشياء التي يرميها الفرد إلى الماضي». بالرغم من السلطة التي يمتلكها الماضي على الإنسان لكن باستطاعة الفرد أن ينفصل عنه، يرميه بعيداً عن الحاضر وفي الماضي الذي يكون حُكمه أن يبقى هناك غير فعالٍ على

الأقل في وقت من الزمن. هو يمكن أن يعود ويتغلب على الحاضر ويدمر حياة الشخص، ولكن هذا لا يحدث بالضرورة. نحن لسنا غير محصنين وضحايا الماضي. نحن بإمكاننا أن نجعل من الماضي لا شيء، فقط ماضي. والفعل الذي نقوم به يسمى «التوبة». التوبة الحقيقية هي لا تعني الشعور بالحزن على شيء خطأ فعلناه، لكنه الفعل الذي فيه كيان الشخص وعقله ينفصل عن عناصر مكونة لكيانه، ينبذها إلى الماضي كأشياء لم يعد لها سلطة على الحاضر. هل بإمكان أُمة من الأمم أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب عمل الشيء نفسه؟ هل بإمكان أُمة من الأمم أو أي تجمع اجتماعي أن يمتلك توبة حقيقية؟ هل بالإمكان الانفصال عن لعنة الماضي؟ على هذه الاحتمالات ترقد آمال الأمم. نعم إنه ممكن.

لكننا نعلم أن مستقبل هذه الاحتمالات يعتمد على الطريقة التي سوف نتعامل بها مع الماضي، وفيما إذا كان بإمكانها أن تنبذه إلى عناصر الماضي التي هي لعنة. في حياة كلّ إنسان صراع دائم مع الماضي. صراع بين الرحمة واللعنة. غالباً نحن لا نميز بين ما هو رحمة وما هو لعنة. في وقتنا الحاضر وفي ضوء اكتشاف العقل الباطني (العقل غير الواعي) من قبل علم النفس، نحن نميل إلى رؤية لعنة أكثر من رحمة في ماضينا. نحن ليس بإمكاننا أن نعيش ونواجه المستقبل إذا لم تكن هناك رحمة تدعمنا والتي تأتي من المصدر نفسه الذي تأتي منه اللعنة. ليس هناك عقار طبي أو دواء شافٍ يحل هذا النزاع أو يمكنه أن يغيّر الماضي. فقط الرحمة التي تقع فوق مستوى

نزاع الرحمة واللعنة باستطاعتها أن تشفينا. هي الرحمة التي بإمكانها أن تغيّر ما يبدو غير قابل للتغيير ـ «الماضي». الرحمة ليس بإمكانها أن تغيّر الحقائق، ما حدث هو حدث وسوف يبقى كذلك إلى الأبد!! لكن معنى الحقائق يمكن تغييره بالقوة الإلهية واسم هذا التغيير هو الشعور بالغفران. إذاً تغيّر معنى الماضي بالغفران فإن تأثيره على المستقبل قد تغيّر أيضاً. صفة اللعنة قد أُزيلت منه. الماضي أصبح رحمة بقوة الغفران.

الكفر والغفران:

إنه تكبُّر واستعلاء وشيء غير صحيح أن نقسم الناس بتسمية البعض **كفاراً** والآخرين **صالحين**؟ لأنه بهذه الطريقة من التقسيم نحن نجد أنفسنا على الأغلب لسنا من القوم الكفار لأننا تجنبنا القيام بأعظم الكبائر، كان لنا بعض السيطرة على النفس لتجنّب القتل مثلاً أو الزنا، وكان لنا نصيب من التواضع بحيث إننا لم نسم أنفسنا القوم الصالحين. يمكن أن يُعَرّف الكفر بالانفصال. هذا الانفصال هو ظاهرة يحس بها كلّ فرد. أن تكون في حالة كفر يعني أن تكون في حالة انفصال، والانفصال هو ثلاث طبقات: هناك انفصال بين العقل والجسم، وانفصال بين الأفراد، وانفصال جميع البشر عن أساس الوجود (الله). هذه الطبقات الثلاث من الانفصال هي حالة كلّ شيء في الوجود، هي حقيقة عالمية. هي مصير كلّ مخلوق حي، وهي مصير البشرية بنوع ما. إننا كرجال نحس بانفصالنا، نحن ليس فقط

نعاني بجانب المخلوقات الأخرى من هذا الانفصال الذي يؤدي بنا إلى الدمار، لكننا نعلم لماذا نحن نعاني؟. نحن نعلم أننا ننفر من شيء هو أصل وجودنا، وبه يجب علينا أن نتحد. نحن نعلم أن مصير الانفصال هو ليس أحداثاً طبيعية لكنه إحساس، نحن نشارك به بصورة فعالة بجميع كياننا. هو مصيرنا وكذلك سبب شعورنا بالذنب. الانفصال كمصير وكشعور بالذنب هو المعنى الحقيقي لكلمة **كفر** والكفر هي حالة وجودنا الكلي منذ البداية وإلى النهاية. هذا الانفصال مُهيأ لنا في رحم أمهاتنا، وقبل هذا الوقت في كلّ جيل سبقنا. هو واضح في كلّ عمل من أعمالنا اليومية. هو يصل إلى ما بعد موتنا إلى جميع الأجيال القادمة. هو وجودنا. الوجود هو الانفصال!! قبل أن يكون الكفر أفعالاً فهو حالة. الكفر مرتبط بالغفران، لا يمكننا أن نعرف الكفر ما لم تكن لنا تجربة سابقة بوحدة الحياة، التي هي **الغفران**. وعلى الضدّ من هذا فإننا لا يمكن أن نعرف معنى الغفران ما لم تكن لنا تجربة بانفصال الحياة الذي هو **الكفر**. بالنسبة لبعض الجماعات، الغفران هو رغبة الإله الجبار العظيم، الأب، الرحمن الرحيم والشديد العقاب أن يغفر لعباده مرة تلو الأخرى على ما اقترفه من ذنوب نتيجة ضعفه. نحن يجب أن نرفض هذا المبدأ من الغفران لأنه يحط من كرامة الإنسان. وبالنسبة لبعض الجماعات الأخرى فإن الغفران هو قوة سحرية داخل مكان مظلم في روح الإنسان، إنها قوة من دون أي أهمية للحياة العملية، هذا المفهوم يضمحل بسرعة لأنها فكرة من دون نفع. بالنسبة للبعض الآخر الغفران هو الرحمة التي

تصاحب العنف والتحطيم في حياتنا. لكن أيضاً ليس مهماً لأن الحياة سوف تستمر إن كان هناك غفران أو لم يكن، وهذا المعنى سوف يختفي أيضاً ـ وبالنسبة لبعض الناس الغفران أيضاً هو هدية يستلمها الشخص من الطبيعة أو من المجتمع، تعطيه قوة لعمل الخير. لكن الغفران هو أكثر من أن يكون هدية. بالغفران تستطيع أن تقهر شيئاً ما، و«بالرغم من» كلّ الأشياء، الغفران يحصل بالرغم من الانفصال والنفور. الغفران هو اتحاد الحياة بالحياة، هو انتهاء النزاع بين العقل والجسم، الغفران هو قبول من كان مرفوضاً. الغفران يحوّل المصير إلى نهاية ذات معنى، ويحوّل الشعور بالذنب إلى ثقة بالنفس وشجاعة. هناك انتصار في معنى الغفران: بالإضافة إلى التخلي عن الذنوب فإن بالغفران أشياء أخرى نتخلى عنها. الآن دعنا ننظر في داخل أنفسنا لنجد هناك صراعاً بين روح الانفصال وروح الاتحاد، بين الكفر والغفران بين الشيطان والملاك، وكذلك هناك صراع في علاقتنا مع الآخرين، في علاقتنا مع أنفسنا وفي علاقتنا مع أساس الكون وهدف كياننا. الكلمات في ذاتها ليست مهمة، إن مستوى الاستجابات في عمق كياننا هو المهم. إذا حَدَثَت الاستجابة بيننا في هذه اللحظة يمكن أن نقول إننا فهمنا معنى الغفران. من منا لم يشعر بالوحدة في أوقات نكون في وسط حفلة اجتماعية أو مهرجانات عامة؟ شعورنا بالانفصال عن بقية الحياة هو أكثر حدّة عندما نكون محاطين بضجة المتكلمين. نحن نفهم في ذلك الوقت أكثر من أي لحظة انعزال كم نحن غرباء أحدنا عن الآخر، والحياة منفصلة عن الحياة.

كلّ واحد منا منكمش على نفسه. لا يمكننا أن نعرف حقيقة شخص آخر وفهم نواياه، لا يمكننا أن ننفتح على شخص آخر. ولا أي شخص آخر يستطيع أن يجتاز الكفن الذي يلف به نفسه. حتى الحب العظيم لا يستطيع أن يخترق جدار الذات الشخصية. من منا لم يمر بتجربة التحرر من وهم الحب العظيم؟ إذا أحدنا تخلى عن ذاته الشخصية بالكامل هو يصبح لا شيء بنظر عامة الناس، من دون شكل أو قوة، ذات من دون ذات، ليس غير شيء موضع احتقار وإساءة معاملة واستغلال. اليوم نحن نعرف كثيراً عن مدى العدوان في كلّ كائن حي. هناك شيء ما في سوء حظ أقرب صديق لنا لم يكن غير سارٍ لنا ـ من منا ليس لديه نزاهة كافية لكي ينكر حقيقة هذا الشيء وإحساسه به؟ ألسنا دائماً حاضرين لإساءة معاملة أو انتقاد أو الاستهزاء بكلّ إنسان وكلّ شيء، غالباً بطريقة محترمة وبلياقة وبصورة مازحة مع ابتسامة، فقط لكي تستمتع الذات بشعور التفوق والغرور. أكبر تعبير عن انفصال الحياة عن الحياة في يومنا الحاضر هو

نكران الذات

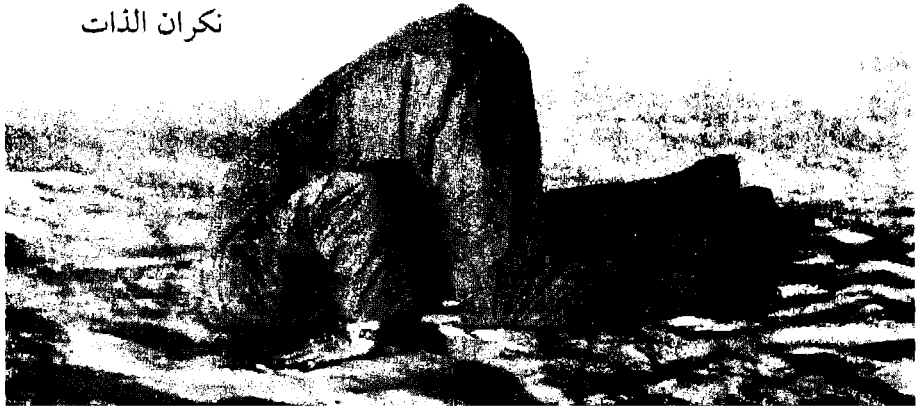

نكران الذات

موقف التجمعات الدينية والحزبية داخل البلد الواحد، الانفصال العقائدي والمذهبي والديني والقومي والطبقي: شيعة وسنة، مسلم ومسيحي ويهودي، كردي وعربي، غني وفقير. لقد زال جدار المسافة والزمن الذي كان يفصل الأفراد والجماعات والأمم بواسطة التكنولوجيا الحديثة ولكن جدار الانفصال بين القلوب أصبح أقوى وأعظم. إنه مهم جداً أن نتذكر أننا لسنا فقط منفصلين أحدنا عن الآخر، بل منفصلين حتى عن أنفسنا. الإنسان أصبح ضدّ نفسه. الإنسان منقسم على ذاته، عقله الباطني (الضمير) لا يرضى على أعمال الشخص. الحياة تستمر ضدّ الحياة من خلال العدوان، الكراهية واليأس. نحن نريد أن ندين حب الذات، لكن بالحقيقة إن ما نعنيه هو ليس إدانة الذات ولكن على الضد من ذلك حب الذات. هو ذلك المزيج من الأنانية وكراهية الذات الذي يطاردنا على الدوام، هو يمنعنا من حب الآخرين وهو يمنعنا من فقدان الذات في الحب الإلهي. من كان قادراً على حبّ نفسه فهو قادر على حب الآخرين أيضاً، من تعلم أن يتغلب على احتقار ذاته يتغلب على احتقاره للآخرين. لكن عمق انفصالنا يقع في حقيقة أننا ليس باستطاعتنا قبول الحب والرحمة الإلهية العظيمتين على الضد من هذا، فإن كلّ فرد منا لديه، رغبة غريزية لتحطيم الذات، هي مساوية في القوة لغريزة البقاء.

في ميولنا لإساءة معاملة وتحطيم الآخرين هناك ميول معلنة أو مخفية لإساءة معاملة وتحطيم أنفسنا. القسوة ضدّ الآخرين هي دائماً

قسوة تجاه أنفسنا. ليس هناك شيء أكثر وضوحاً من الانفصال بين ضمير الإنسان وذاته.

الإنسان لا يعمل الخير الذي يرغب في عمله، ولكن بالأحرى هو يعمل الشرّ الذي لا يرغب في عمله. والآن إذا عملت الشرّ الذي لا أرغب في عمله، بمعنى لست أنا الذي عمل هذا الشرّ ولكن بالأحرى إن عمل الشرّ هو مدفون في كياننا. هناك انفصال بين إرادة الإنسان وإرادة الله. بين إرادة الشيطان وإرادة الملاك في داخل الإنسان.

كم من المرات نحن نقوم بعمل شرّ لا يمكن مقاومته ونكون مجبرين وبوعي كامل، لكن إحساسنا ينبئنا بأننا مُسَيطر علينا من قبل قوة غريبة!! ترفض هذا العمل. هذا هو الإحساس بالانفصال بين الذات والضمير الذي نسميه الكفر. حياتنا بالكامل هي حالة نفور من الآخرين ومن ذاتنا لأننا ننفر من أساس وجودنا وننفر من المصدر وهدف حياتنا. إننا لا نعلم من أين أتينا وإلى أين نحن ذاهبون؟ نحن منفصلون عن الغموض، عن العمق والجوهر، عن عظمة وجودنا. نحن نسمع ذلك الصوت الذي يخاطبنا والصادر من عمق نفوسنا، لكن آذاننا مسدودة. نحن نحسّ بشيء جذري، كامل وغير مشروط يطلب منا؛ لكننا نتمرد عليه، نحاول الفرار من إلحاحه ولا نقبل وعوده. لا يمكننا الفرار، إذا كان ذلك الشيء هو أساس وجودنا فنحن مرتبطون به بصورة أبدية، تماماً كارتباطنا بأنفسنا وبجميع الكائنات الحية. نحن نبقى دائماً داخل إطار ذلك الوجود الإلهي الذي ننفر منه.

هذه الحقيقة تجلبنا إلى العمق الجوهري للفكر، منفصلين وفي الوقت نفسه مرتبطين، مبتعدين وأيضاً منتسبين، متحطمين وأيضاً مصانين، هذه هي حالة اليأس. اليأس يعني ليس هناك مخرج من هذه الحالة. اليأس هو الكفر. عندما يعترف المرء بخطاياه ويتوب عن عمل الشرّ يشعر بالفرح يعم قلبه ويتحسس رحمة الله وغفرانه. وفي اللحظة التي يشعر بها المرء بانفصاله العظيم عن الآخرين، انفصاله عن نفسه وعن الله يجد نفسه مقبولاً بالرغم من كونه مرفوضاً. وعندما يجد نفسه مقبولاً فهو بمقدوره أن يقبل نفسه وأن ينهي خلافاته مع الآخرين. في لحظة استلامه رحمة الله ومغفرته هو يتحد مع جوهر الحياة وحقيقة الكون التي ينتسب إليها والتي ابتعد عنها بغرابة مطلقة. نحن لا نستطيع أن نغيّر حياتنا ما لم نسمح لها أن تتغير بفضل رحمة الله وغفرانه. يحدث هذا التغيير أو لا يحدث وبالتأكيد هو سوف لن يحدث إذا حاولنا فرض هذا التغيير على أنفسنا، سوف لن يحدث ما دمنا نفكر بإرضاء الذات التي لسنا بحاجة لها. رحمة الله وغفرانه تأتي إلينا عندما نعاني من ألم عظيم وضجر، تأتي إلينا عندما نسير في وادٍ مظلم فيه الحياة خالية المعنى وفارغة. تأتي إلينا عندما نستشعر انفصالنا قد أصبح أكثر من الطبيعي. في تلك اللحظة وهج من النور يضيء ذلك الوادي المظلم وكأنك تسمع صوتاً يقول لك:

«إنك مقبول ـ إنك مقبول» مقبول من قبل شيء أعظم منك واسمه لا تعرفه. لا تبحث عن أي شيء، لا تعمل أي شيء، لا تعزم على أي شيء. بكلّ بساطة تقبّل حقيقة كونك «مقبولاً»! إذا حدث هذا

الشيء لنا فإننا نشعر برحمة الله وغفرانه. بعد ذلك الشعور فإننا ربما ليس أحسن مما كنا عليه قبل. وأن اعتقادنا سوف لن يزداد عما كان عليه قبل ولكن كلّ شيء قد تغيّر. في تلك اللحظة، المغفرة قد قهرت الكفر والصلح أقام جسراً عبر وادي الانفصال. ولا شيء يُطلَب للإحساس بهذه التجربة، لا دين ولا أخلاق ولا يقتضي ذكاءً، لا شيء، فقط القبول. في ضوء هذا الغفران الإلهي نحن ندرك قوة مغفرتنا للآخرين ولأنفسنا. نحن نتحسس الغفران بتمكننا النظر في عيون الآخرين، هذه هي معجزة الغفران التي وحّدت بين حياة وحياة. لقد انكسر جدار الانفصال وبفضل الغفران تمكنا أن نقبل الآخرين وحقهم في الحياة حتى ولو كانوا عدوانيين ومؤذين لنا. لأنه بفضل الغفران نحن نعلم أنهم ينتسبون للمصدر نفسه الذي نحن منه وهذا المصدر هو الذي وهبنا الغفران وتقبلناه. نحن استشعرنا الغفران الذي تمكن من قهر الانفصال المأساوي بين الرجل والمرأة، بين الطوائف الدينية، بين القوميات، بين الشعوب، بين الأعراق البشرية، والانفصال الغريب التام بين الإنسان والطبيعة. في بعض الأحيان الغفران يظهر في جميع هذه الانفصالات ليوحدنا مع الحياة، لأن الحياة تنتسب إلى الحياة. وفي ضوء هذا الغفران الإلهي فإننا نشعر بقوة مغفرتنا للآخرين ولأنفسنا، نحن نشعر بلحظة قبولنا لأنفسنا لأننا نشعر أننا مقبولين من قبل من هو أعظم منا.

ماذا لو اكتسبنا مزيداً من تلك اللحظات!!

إنها لحظات تجعلنا نحب حياتنا، نتقبل أنفسنا، ليس تقبل حسناتنا والرضى الذاتي، ولكن بثقتنا بالمعنى الحقيقي لحياتنا. إننا لا يمكن أن نجبر أنفسنا على قبول أنفسنا. ولا يمكن أن نجبر أي أحد على قبول نفسه. لكن في بعض الأحيان يحدث أن نستلم القوة لنقول «نعم» لأنفسنا، نتقبل أنفسنا، السلام يدخل في أعماقنا ويوحد الذات ونصبح متكاملين، كره الذات واحتقارها يختفي، والذات اتحدت مع الذات، حينها نقول: إن الله أحاطنا برحمته وغفرانه. الغفران هو عودة الروح إلى الشعور بالبراءة التي لم تفارق الفرد. الغفران يجلب إلى المرء كمكافأة مستوى عالٍ من الإدراك وشعور عام بالغفران. روحك قد غفر الله لها وعادت إلى براءتها. لا أحد خارج ذاتك بإمكانه أن يعطيك الغفران. لأجل أن تتجاوز أي معضلة فإنك بحاجة إلى إلهامك الخاص، ذلك الصوت في داخلك. كلّ مرحلة من مراحل تطور الذات هناك حرية أكثر من المرحلة التي قبلها. الابتعاد عن أعمال الشرّ هو إنجاز عظيم في مرحلة الذات التوابة لكن ثمن الغفران هو احتراس مستمر.

بعد أن توحدت الذات فإنها تبدأ في الرقي في سلّم التطور الروحي، وأول شيء، تفعله هو أن تنتقد خطاياها وتغفر لنفسها وتعمل صالحاً. الله يفهم طبيعة الإنسان ويسامحه. الله يغفر لمن أصبح واعياً لأعماله الآثمة واعترف بها. «في منظور الإله فإن جميع الأرواح بريئة». إله الغفران يشجع ويدفع الذات للنضوج والتطور في مجال البصيرة ومعرفة حياة الماضي والمستقبل «المقدرة على التنبؤ».

أصبح بمقدور الدماغ معرفة متى يكون فعالاً ومتى يكون ساكناً؟ فلماذا لا تكون هذه هي النهاية؟ أين يلجأ العقل بعد أن وجد السلام في داخله؟ ليس هناك أي مكان يمكن أن يذهب إليه العقل بعد الصمت والسكون. الصمت يؤدي إلى الحكمة، فكلما تمعنت وصَمتَ وتريثت قبل أن تقوم بأي فعل فإن جميع أفعالك تكون حكيمة.

الذات المتوحدة رأت ولادة إله السلام. الذات التوابة ترى ولادة إله الغفران. هو خالٍ من ردود الفعل الانتقامية. حكمته تبعث على الشعور بالمحبة والألفة. الشعور الداخلي بالانفصال يبدأ بالزوال. صفات هذا الإله كلها إيجابية، هو لا يعاقب بالهزات الأرضية والفيضانات، هو لا يهدّد بنار جهنم، هو متفهم، متسامح، غفور، لا يحاسب أحداً، شامل، ويتقبل الجميع. هو يدخل حياة الإنسان بعد أن يصلح الفرد ذاته ويتوب عن فعل الشرّ ويلتزم بفعل الخير ويسامح ذاته على ما فعلت ويتقبلها كصديق ويصبح صافي الضمير. صوت من داخلك يحثّك على أن تتسامح مع ذاتك، أن تأخذ الأمور ببساطة وتسامح من أساء إليك. انصت لصوت الحق في داخلك، هذا الصوت سوف يحرّر ذاتك، ليس هناك شخص كامل منذ طفولته، نحن جميعاً نحمل بصمات الذنوب والعار. هل عملنا شيئاً ما يستحق الشعور بالذنب أم هي طبيعة الإنسان الذي خُلِق مع شعوره بالذنب!! الذات التوابة أصبحت تعرف العالم بالإيحاء، ومن الضروري للفرد أن يكون خالياً من الذنوب لكي يمتلك القدرة على استلام الإيحاء الداخلي، لأن الشعور بالذنب يعوق هذه المقدرة. لا يجب عليك أن

تكون كاملاً لكي تستلم الإيحاء الداخلي لكن يجب عليك أن تعيش مع ذاتك وتكون صديقاً لها لفترة طويلة من الزمن. المعرفة بالإيحاء ليس لها علاقة بالحواس الخمس ولا تتضمن أي تفكير منطقي لإيجاد حلّ لقضية أو موقف ما. أصبح بمقدور الفرد أن يعرف بصورة تلقائية بديهية ما يقع وراء الحياة اليومية ويكتسب المعرفة والعلم من مصدر عميق في داخله، من العقل الباطني الذي هو مصدر الحكمة والإلهام. العقل الباطني يعرف ما سوف يحدث مستقبلاً وما حدث في الماضي القديم. في هذه المرحلة من التطور الروحي للذات الله ينتخب أنبياءه. الذات التوابة حياتها تلقائية، مع هذا هناك خطة مرسومة، الأحداث تأتي بصورة مفاجئة، والحكمة تصل بعد عجز التفكير. بدل من تقليب الموضوع والنظر إليه من جميع الزوايا الذات التوابة تصل إلى الحل الأمثل بكلّ بساطة. هذه الذات في سلام لا يمكن أن يفهمه العقل، هي تذهب خارج نطاق العقل والتفكير والاستيعاب لتدرك حقيقة الأشياء. هذا هو العقل الباطني يتكلم معنا. هذا هو الله يتكلم معنا. قبول الذات وتوافقها وصفاء الضمير أصبح الطريق لمعرفة الله. منذ طفولتنا نحن نمتلك الإحساس بالأمان من ارتباطنا بالأم، بالأب، بالأصدقاء. هذا الإحساس بالارتباط يعكس حياة بحاجة إلى هذا الإسناد. في مرحلة الذات التوابة جميع هياكل الإسناد تذوب، الفرد تُرِك لكي يستلم إسناده من داخله، من عقله الباطني، من الله. الذات التوابة تخلت عن نظام الإسناد والدعم القديم الذي وفرته له العائلة، العشيرة، الدولة، ليس هناك رابطة اجتماعية تربطه ولا قواعد ولا

قوانين ولا تشريعات يلتزم بها. الإيحاء الداخلي للفرد هو ليس مقبولاً اجتماعياً، لهذا فإن المجتمع ينظر إلى أصحاب الرؤيا والأنبياء بأنهم مجانين، مبتدعون، ومجرمون. لكن على الفرد صاحب الرؤيا أن يلتزم بحقيقة رؤياه ويتحمل مسؤولية مخالفة العرف العام السائد، والنتائج في بعض الأحيان يكون عقابها الموت (النبي إبراهيم رمي في النار، عيسى المسيح أُعدم على الصليب، النبي محمد حاولوا قتله ففرّ إلى المدينة). في مراحل تطور الذات الأولية، الفرد بانتمائه إلى القبيلة، والديانة السائدة، أو الفئة الاجتماعية هو يدعم تقاليد وقيم وعادات تلك المجموعة والتزاماتها، فإذا صوت من الإيحاء في داخله ناداه وحاول معارضة ما يجري حوله فإن ذلك الفرد يخمد تلك الإيحاءات بسرعة وهذه الإيحاءات تصبح عدوّه. أما الفرد الذي وصل تطوره الروحي إلى مرحلة الذات التوابة فقد تخلى عن قيم والتزامات وأخلاقيات الجماعة، إغراء الحروب والانتصارات، المنافسات، الشهرة، الغنى، والكبرياء وغرور الذات كلها اضمحلت. يصبح الفرد غريباً معزولاً عن الجماعة، وهذا مصير غير محبب لكن يأتيه الصوت الداخلي لكي ينقذه، هو يجهزه بمصدر آخر للمعرفة لكي يرفع معنوياته، هذا المصدر الآخر هو معرفة ما لا يمكن لأي شخص آخر أن يعرفه بطريقة أخرى غير الإيحاء. يد خفية تعمل خارج نطاق حواسنا وتفكيرنا. يد خفية لها عقل يديرها وحكمة عظيمة في ما تعمله. هذا الفراغ الذي أحست به الذات التوابة بانفصالها عن العالم الخارجي أصبح لا أهمية له لأن رجلاً جديداً في عالم المعرفة قد وُلد، وأصبحت ذاته أكثر توقاً للانفراد لكي تكسب مزيداً من المعرفة.

الذات التوابة لها رغبة في أن تكون خالية من الشعور بالصح والخطأ، بالفضيلة والرذيلة. في مراحل تطور الذات الأولية فإن الذات تحاول أن تسلك طريق الفضيلة، لأن الله يعاقب من يخالف تشريعاته، لكن الذات التوابة تنظر إلى القوم الصالحين والقوم الضالين بالمنظار نفسه، وكلّ الأفعال هي متساوية. المجتمعات فصلت بين طريق الحق وطريق الباطل ولم تتمكن من محو عمل الباطل. الذات التوابة ليس لها رغبة بأن تصلي إلى الله لكي يمحو أعمالها الشيطانية في الماضي، كلّ ما يريده الفرد في هذه المرحلة من تطور الذات هو إلغاء التشريعات والقوانين التي تعاقب الفرد على ذنوبه. هذه الذات تقف خارج العقاب والثواب، هي تعترف بوحدة الكون وعدم ازدواجيته. التحدي العظيم في هذه المرحلة من تطور الذات هو إيجاد المكان والتمسك به والعيش وفق هذه الطريقة. عندما تنجز هذه المهمة فإن الازدواجية تتلاشى. أنت متحرر من جميع الارتباطات بالخير أو بالشر. روحك قد غفر الله لها وعادت براءتها.

لا أحد خارج ذاتك بإمكانه أن يعطيك الغفران. لأجل أن تتجاوز أي معضلة فإنك بحاجة إلى إلهامك الخاص ذلك الصوت في داخلك.

ولادة الذات الجديدة:

الغفران هو إنهاء النزاع والمصالحة على الرغم من الابتعاد والنفور، هو يعني التوحد على الرغم من العدوان، هو يعني قبول من كانوا غير مقبولين، هو يعني استلام من كان مرفوضاً. الغفران هو غير

مشروط وإلاّ فهو ليس غفراناً. هؤلاء الذين خالفوا أوامر الله وَعملوا شرّاً قد غُفِرَ لهم لأنهم أذلّوا أنفسهم واعترفوا بأنهم غير مقبولين، وأنهم يعانون من أعمالهم الشريرة والمأزق الذي هم فيه، وأن الغفران أعاد لهم كرامتهم. الغفران يؤدي إلى التوبة وهو يفتح باب المحبة والتوحد مع الله.

عدوانيتنا نحو الحياة تتجلى في سخريتنا واشمئزازنا، في مرارتنا واستمرار اتهاماتنا نحو الحياة. نحن نستشعر رفض الحياة، ليس كثيراً بسبب ظلامها الموضوعي وتهديدها المستمر والرعب، ولكن بسبب ابتعادنا عن قوى الحياة الطبيعية ومعناها. وامتناعنا عن التوحد مع الله الذي هو أساس خلق هذه الحياة وانفصالنا عن الحياة في كلّ شيء يعيش ويتحد مع الحياة. من غَفَر الله له يشعر بقبول الحياة له وهو بمقدوره أن يحبها. إذا شعرنا بقبولنا الأبدي فالشعور بالقلق قد تم قهره. من تم قبوله في النهاية بإمكانه أن يقبل ذاته. أن يُغفر لك أن تتقبل ذاتك هو شيء واحد ونفس الشيء. لا أحد بإمكانه أن يتقبل ذاته إذا لم يشعر أنه مقبول من قبل قوة القبول التي هي أعظم منه.

أي إنسان توحد مع الله فهو يملك **ذاتاً جديدة**، ولا فرق إن كنت يهودياً، أو مسيحياً، أو مسلماً، أو وثنياً، ما هو مهم هو ولادة الذات الجديدة والتي تتمثل فيها **حقيقة جديدة**. ليس هناك دين بحدّ ذاته قادر على إنتاج الذات الجديدة. جميع الطقوس الدينية والشعائر الّتي تُمارَس في جميع الأديان هي غير مهمة، فقط ولادة الذات الجديدة

المتوحدة مع الله هو المهم. ليس هناك دين بحدّ ذاته مهم ولا مذهب ولا طائفة مهمة. ولكن هناك شيء واحد هو المهم هو يحكم عليك وعليّ يحكم على دينك وديني. خلق جديد حدث، ذات جديدة وُلِدَت ونحن جميعاً مدعوون للمشاركة في هذه الذات. لا تقارن دينك مع ديني أو مذهبك مع مذهبي أو شعائركم الدينية مع شعائرنا، أو نبيّكم مع نبيّنا، أو إمامكم ومؤسس مذهبكم مع إمامنا ومؤسس مذهبنا، كلّ هذا ليس له أي فائدة!! وفوق هذا كلّه لا تفكر بأني أريد منك أن تنكر دينك أو مذهبك وتتحول إلى ديني. كلّ ما أردته هو أن أُريك شيئاً، أنا شاهدته وأن أُخبرك بشيء سمعته بأن هناك خلقاً جديداً، وهذا الخلق الجديد يتجلى في ولادة الذات الجديدة، الذات المحبة، الذات التوابة. أردتُ فقط أن أوصل لكم تجربتي هو أن هنا وهناك في هذا العالم والآن وفيما بعد في داخل أنفسنا خلق جديد. إني أتكلم إلى من كان يتبع ديناً معيناً أو من كان من عامة الناس.

إن الخلق الجديد هو موضع اهتمامنا الأوحد والأعظم. وأن يكون هدفنا المطلق والهدف المطلق لكلّ مخلوق بشري. هذه هي قضيتنا الوحيدة وأي شيء آخر سوف يعنينا قليلاً وفي النهاية سوف لن يعنينا أبداً. ما هي هذه الذات الجديدة؟ هذه الذات الجديدة هي ليست بكلّ بساطة تحل محل الذات القديمة. لكنها تجديد للذات القديمة التي أصبحت فاسدة ومشوهة، منقسمة على نفسها وتقريباً متحطمة. حوّل الخلق القديم إلى خلق جديد، أقم الصلح مع الله. توقف عن عداوتك لله، لأنه لم يكن عدوّاً لك أبداً. الوثنيون واليهود

والمسيحيون والمسلمون كلهم حاولوا إقامة الصلح مع الله بواسطة ممارسة الطقوس الدينية وإقامة الشعائر وتقديم التضحيات والقرابين، وممارسة الصلاة والصيام والحج والذهاب إلى العتبات المقدسة والقيام بالأعمال الخيرية وتقديم الصدقات. كلّ هذا ليس كافياً لأننا لا يمكن إقناعه ولأن هناك طلبات غير متناهية علينا تأديتها ـ وبما أننا لا يمكننا إشباع مطاليبه فإن عداءنا له قد ازداد وكثُر. كلّ إنسان يحمل عداءً تجاه الوجود الذي رمي فيه، تجاه القوة الغامضة وراء كلّ هذا والتي تقرر حياته وحياة هذا الكون. كن متصالحاً مع الله وهذا يعني أن نكون متصالحين مع أنفسنا.

لأجل اكتساب الذات الجديدة ليس المطلوب منا أن نعمل أي شيء، فقط أن نكون منفتحين لها ونقبلها. الذات الجديدة هي الحقيقة التي فيها الذات المنفصلة توحدت. الذات الجديدة فيها توحّد العقل مع الجسم وأصبحت مقبولة للضمير. وفيها توحدت الذات مع الجنس البشري وجميع المخلوقات ومع هذا الكون. عندما تظهر حقيقة الذات الجديدة إلى الوجود فإن الفرد يشعر بالاتحاد مع الله أساس ومعنى وجود الفرد. الفرد يقبل ذاته كشيء أبدي ومهم، محبوب إلى الأبد ومقبول إلى الأبد. وهناك مركز واتجاه ومعنى لهذه الحياة. الخلق الجديد هو خلق شافٍ لأنه يؤدي إلى التوحد مع الذات. وكذلك يؤدي إلى التوحد مع الآخرين. ليس هناك شيء مميز في الذات القديمة غير انفصال الإنسان عن الإنسان. الأديان كلها تُتَهم مراراً بعدم تمكنها من إقناع البشرية في التوحد عبر العصور. من منا ينكر حقيقة

هذا التحدي. مع هذا فإن البشريّة لا تزال على وجه الأرض وليس بإمكانها أن تعيش لمدة أطول إذا لم تقهر قوة الانفصال بصورة أبدية بقوة الاتحاد، بقوة الشفاء التي تجلبها ولادة الذات الجديدة. على كلّ فرد أن يتغلب على كرهه للعرق الغريب عليه، ويتغلب على الخلافات الوطنية والقومية، ويتغلب على الفرق بين الجنسين، الفرق في الأعمار، الفرق في الجمال، الفرق في القوة، الفرق في المعرفة. وجميع الأسباب التي يتعذر إحصاؤها من الفرقة ـ بعد هذا فإن الذات الجديدة سوف تولد!!

الجنس البشري لا زال باقياً لأن ذاتاً جديدة تولد بين الحين والآخر. نبيٌّ جديد يظهر ليقود الأمة. أو مخترع جديد يظهر لينير الطريق للبشرية في مجال العلم والمعرفة.

الفصل الخامس
الذات الخلاقة

متظاهرات سعوديات

دلة رشيد ملحس ـــ أولمبية لندن

سارة عطرة نساء سعوديات يشاركن في المسابقات الأولمبية في لندن رغم المنع الرسمي

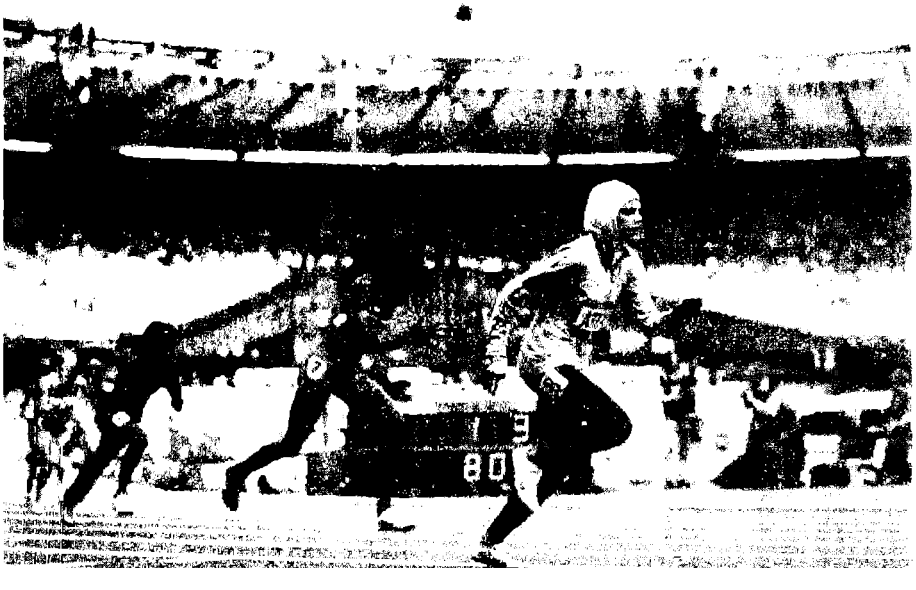

القيادة ممنوعة على المرأة في السعودية

متظاهرات سعوديات

غاندي مع عاملات النسيج المضربات عن العمل

Joan of the Arc
ثائرة فرنسية ضد الانكليز

الثورة الأميركية

مارتن لوثر كنكك ـ انتفاضة السود في أميركا

الثورة الكوبية

الثورة الإنكليزية

ثورة الإمام الحسين (ع)

الثورة الإيرانية

الثورة الصينية

محاربة هندية من أجل حرية واستقلال الهند

الثورة الهنغارية ١٩١٩

جيفارا: الثورة ليست تفاحة تسقط من الشجرة عندما تنضج
أنت الذي تجعلها تسقط

الثورة الايطالية

لينين

الثورة الروسية

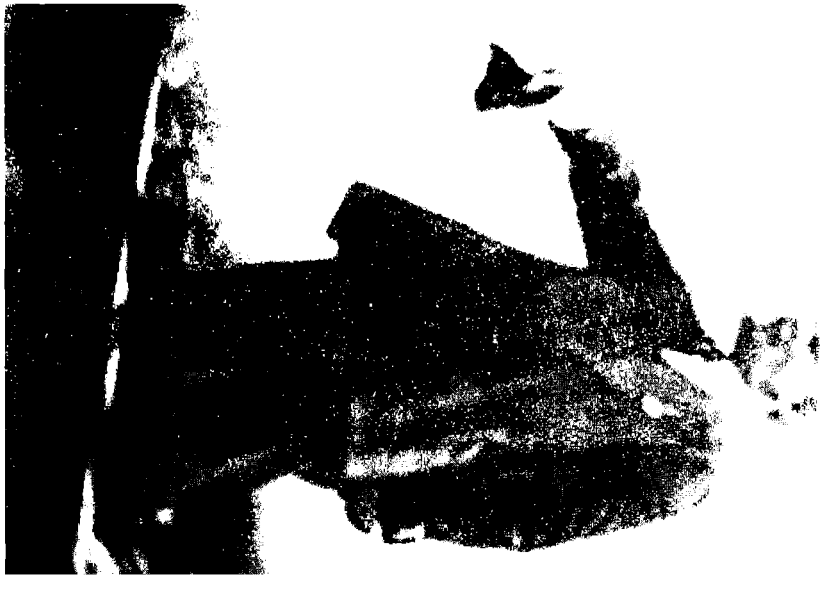

الذات الخلاقة

إذا وجدت ذاتك تعمل من الأحلام الشخصية حقائق فإن إلهك هو إله الخلق والإبداع. الصوت الإلهي في داخلك يلهمك ويوحي إليك بأن تستكشف حياتك الحرة، تتوسع فيها في العلم والمعرفة والعمران والفن والسياسة والدين، وأن تحقِّق المعجزات. هذا هو اختيارك إذا أردت أن تستكشف عمل الطبيعة. إله الخلق هو إلهنا عندما نتساءل من أين أتى هذا الكون؟ هو يتلاءم مع عالم متجدّد على الدوام، فيه الإبداع والاستكشاف له قيمة عالية في المجتمع. عندما تصبح المعرفة البديهية قوة فعالة فإن تأثيرها يمتد ليشمل المجتمع والطبيعة. هذه المعرفة البديهية العظيمة تسيطر على أحداث، وتعمل على تحقيق جميع الأمنيات.

إن العقل البشري يستلم إيعازاته من العقل الباطني الذي يمتد ما وراء الزمان والمكان وبإمكانه أن يستخدمها لصالحه. فالأحداث تتم

مسترشدة بالمعرفة البديهية للفرد. الذات الخلاقة للفرد تتحد مع الله في علاقة شراكة في الخلق والإبداع. هذا الإله هو الأكثر قرباً للإنسان من أي إله آخر في مراحل تطور الذات. إله الخلق يرغب مشاركة الإنسان في قوة الخلق. إدانة آدم بالخطيئة وإحساسه بالذنب حرم الإنسان من قوة خلقه الخاصة التي هي موازية إذا لم تكن متساوية مع قوة خلق الله. في مراحل تطور الذات ووصولها إلى الذات الخلاقة فإن آثار الإدانة والشعور بالذنب قد اختفت، ليس هناك عيوب أو نواقص لكي نُكَفِّر عنها. الذات الخلاقة هي مركز عملية الخلق، تتحمل جميع المسؤوليات والنتائج، وهي تقدر قوة أفكارها وعواقبها مهما تكن حتى وإن كانت متناهية في الصغر. الذات الخلاقة لا تعيش هنا الآن في هذا الجسم المحدد، إنها في تطابق مع ذات الإله الخلاقة. الأحداث والأمنيات تتحقق لأن الفرد صاحب الذات الخلاقة أرادها، مهما تكن النتائج صحيحة أو خاطئة وبغض النظر إن كانت تجلب أي فوائد منظورة. لكن الفرد يغمره السرور والبهجة لأنه يعلم أن الله يشاركه في عبقرية خلقه هذه. الفرد صاحب الذات الخلاقة يميل إلى تقديم سؤال إلى عقله الباطني ثم ينتظر الحل لأن يصل إلى عقله الواعي، هو مضطر إلى أن يدخل حالة من الاسترخاء. ماذا يعمل الدماغ طول تلك الساعات أو الأيام قبل وصول الحلول المبدعة؟

العوائق التي تقف في طريق تقدم البشرية في أي مرحلة من مراحل نضج الذات هي موجودة داخل أدمغتنا. الله ليس له بداية ولا

نهاية وكلّ شيء هو الله. الله يرى جميع اختيارات الذات بعين واحدة. رؤيته لا تتضمن أي أحكام. قبل أن تتولى قيادة حياتك تشعر أنك غير قادر وعديم القوة. وبعد أن تتولى قيادتها فإنك لا تشك في قابليتك على إنجاز الأعمال. كلّ حدث له مكان ومعنى. إنك تمتلك قيادة حياتك بناءً على ميولك من دون مساعدة خارجية أو وجهة نظر ثانية.

إذا اعتمدت كلياً على الإيحاءات الصادرة من داخلك فإنك وبجهد بسيط خالق مساعد للحقيقة بجانب الله. إنك فقط تعزم على شيء وهذا الشيء يتحقق. إذا امتلكت وميض العباقرة في دماغك فإن هذا الوميض سوف يبقى داخل رأسك حتى يتبلور في شكله المادي. الأفكار مرتبطة بالمعرفة الكونية، عندما يرتبط عقلنا غير الواعي بالمعرفة الكونية، هذا الارتباط يصبح أغلى شيء في وجود الفرد، وفقدانه يكون أعظم ما يخافه الفرد. لا أحد بإمكانه أن يجعل جميع أمنياته تتحقق، دائماً أشياء سيئة ومؤلمة تحدث ولا يمكن منع الفشل. نجاحك يعتمد على حالة وعيك. أي إنسان يبغي النضج والتطور في سلّم الذات يجب أن يقود حياته بنفسه. أناس كثيرون في سلّم تطور الذات الروحي هم يتقبلون فكرة الفشل ويستمرون في سلوك ذلك الطريق الذي يتطلب سنوات من التأمل والتفكير والصلاة والتسبيح. وآخرون يلجأون إلى بذل جهد كبير لتنقية الذات من الشعور بالذنب وذلك بصرف أموالهم وأعمالهم في سبيل الخير.

قوى الطبيعة:

«الأرض مجزأة إلى قطع» هذا هو معنى الدين في عصرنا الحاضر. التحطيم والدمار هو شيء مؤكد. الإنسان اكتشف المفاتيح التي تفتح قوى الطبيعة هو بدأ يستعمل هذا المفتاح. هو سخر أسس الحياة ونظامها وإرادتها إلى إرادته. وإرادته هي التحطيم.

ولأجل التحطيم هو يستعمل قوى الطبيعة. جنّد كلّ أفكاره وأعماله لاستخراج الطاقة المدفونة في الأرض، لهذا فإن أسس الأرض تزعزعت وصخورها تهتز في وقتنا الحاضر. علماء الطبيعة أكدوا بأن الإنسان سوف يجلب البلاء إلى نفسه وسوف ينهي حياته على الأرض. بإمكان الإنسان أن يستخدم قوى الطبيعة لأجل البناء والخلق أو لأجل التحطيم. كيف سوف نستعمل قوى الطبيعة؟ هذا ما قاله الله للجنس البشري من خلال عمل العلماء ومن خلال اكتشافهم لمفاتيح أسس الحياة. يجب أن نؤمن بأن الأرض هي المكان الذي يتم فيها تأسيس مملكة الرب. ونؤمن بأنفسنا بأنه من خلالنا يتم تحقيق هذا الشيء والإنسان الذي يقودنا إلى هذا الطريق هو الإنسان صاحب الذات الخلاقة (النبي)، هو الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأسس والأساس الذي وضعه الأنبياء هو ثابت لا يتحرك لا يتغيّر لا يهتز وأبدي يتجلى في جميع العصور. النبي واجه الأُسس الاجتماعية المتزعزعة ولم يتراجع. نحن يمكن أن نسخر من الطقوس الدينية وشعائرها ولا نعمل أي شيء ونعيش في يأسٍ دائم وبؤس، لكن النبي

جاء إلينا بخيارين اثنين: إما **اليأس** الذي يؤكد الهلاك الأبدي في الذات المنفصلة أو **الإيمان** الذي يؤكد الحياة الأبدية والنجاة في توحد الذات، وهذا ما دعا إليه جميع الأنبياء. هذان الموقفان هما ما نسميه الدين أو الآرضية الدينية التي تتفق عليها جميع الأديان خارج عالم الهلاك. الأنبياء نظروا خارج نطاق عالم الهلاك (النار) ورأوا عالم النجاة (الجنة).

النبي دائماً يتحرك بين عمق عدم وجود الإنسان في تجزئه وانفصاله وبين عظمته في الخلق والإبداع في توحده مع الذات الإلهية. وعندما يصبح الإنسان جباراً عظيماً وذا قوة في الخلق والإبداع يكون قد دخل عالم الآلهة. هو يرشد الروح الإلهية التي أرشدته هي وعلمته طريق الحق. هو يقول الله يعاقب فاعل الشرّ ويكافئ فاعل الخير، خاصةً بما يتعلق بحياتنا. فيصبح متكبراً متغطرساً وتنفصل ذاته عن ذات الإله ويعود إلى ذاته المنفصلة فيجلب الدمار على نفسه ويهلك. كيف يمكن للنظام الإلهي أن يريحنا من يأسنا وشعورنا بالذنب وانفصال ذاتنا؟ يمكننا أن نبلغ الأمان من داخل وجودنا لأن النظام الإلهي مدفون في داخل كياننا ـ الإنسان عبر العصور تمكن من السمو فوق وجوده المادي، هو وصل إلى مرتبة لم يتمكن أي من المخلوقات الأخرى الوصول إليها. هو تجاوز حدود عالمه المادي. هو شارك في شيء أبدي، دخل عالماً غير زائل ليس فيه دمار للذات، ليس عالماً مأساوياً ولكنه أبدي، مقدس، ونقي.

الأبدي في داخل الإنسان يمكن الإحساس به. كلّ إنسان يعلم هذه الحقيقة. يأسنا وعدم مقدرتنا على الهروب من الحياة أو الموت هو شاهد على وجودنا الأبدي. الجنة التي وعدنا بها الأنبياء لا يمكن بلوغها إلاّ بعد أن يتوحد العقل مع الجسم. والنار وعد بها من بلغ مرتبة اجتماعية عالية وجمع مالاً كثيراً لكي يؤمّن حياته وحياة أطفاله. الأشياء المادية في هذه الدنيا لها قوة لا يمكن مقاومتها، هي تعمينا عن رؤية الحق، بينما من عاش في الحرمان والعوز والحزن فإن نفسه ابتعدت عن ملذات الدنيا واتجهت صوب الحياة الروحية.

الحب الحقيقي:

إحساس النبي بتجربة توحده مع الكون ومع الله واضمحلال الذات يسمى الحب. هذا الحب ليس حباً عاطفياً. هو شيء يمكن الإحساس به أو معرفته أو تذكره أو تعريفه. الحب هو المبدأ المنظم والموحد لهذا الكون وللمجتمع المتفكك. هو جوهر وظيفة الدماغ الأساسية، ويظهر إلى العيان بأفعال عندما يكون الدماغ متوحداً. الدماغ يحب أن يكون مهتماً وممتصاً بشيء ما من الأفعال. ليس هناك مشكلة في كيف نحب، إننا نحب. لكن المشكلة هي في وجهة هذا الحب. هل نحب أنفسنا ونحرق أنفسنا أم نحب الآخرين، الكون، الله، ونعيش إلى الأبد؟ تحرر من دائرة حب الذات وعقلك سوف يجذب نحوه الكون ليتوحد معه وسوف تكون جميع الأعمال أخلاقية وحرة. وعلى الضدّ من ذلك فإن أخلاقية التشريعات الدينية وقواعدها

المبنية على الجزاء والعقاب، حتى ولو كانت غير ملموسة كألم الشعور بالذنب ولذة الافتخار بالذات هي ليس لها علاقة بالأعمال الحرة. هذه التشريعات الدينية هي طريقة لحكم العبيد بالإحسان والاستغلال بإيهامهم بوجود الجنة والنار مهما تكن بعيدة فإنها سوف لن تقودهم إلى نيل الحرية.

عندما تكون أعمالنا حرة وغير مقننة فلا نفكر بما نعمله هل هو صحيح أم جيد؟ عقل الفرد المخلص ليس له مصلحة في أن يكون جيداً في علاقاته مع الآخرين حتى يقال عنه إنه يطبّق القوانين، وليس له مصلحة في أن يكون حرّاً في أن يعمل ضدّ القوانين فقط لكي يثبت استقلاليته. إن مصلحته ليست هي الذات، مصلحته هي عامة الناس والمشاكل التي تواجههم. هذا العقل يتصرف بصورة مستقلة ليس وفق القواعد والتشريعات، ولكن وفق ظروف اللحظة الحاضرة ومصلحة المجموع ليست فقط تأمين حاجات الذات للذة وإشباعها وإنما تأمين الحرية الشخصية لكلّ فرد. ليس هناك شيء أكثر لا إنسانية من تكوين علاقات إنسانية مبنية على قواعد أخلاقية: عندما يقدم المحسن رغيف خبز لإنسان جائع فقط لكي يقال عنه إنه محسن. يعيش مع زوجته ولا يعاشر واحدة أخرى فقط لكي يقال عنه إنه مخلص وفيّ. يأكل مع إنسان أسود فقط لكي يقال عنه إنه ليس عنصرياً. يرفض أن يقتل أحداً لكي يكون مسالماً، فهذا الإنسان هو بارد المشاعر. هو بالحقيقة لا يرى الإنسان الآخر. والإنسان الأكثر برودة هو المحسن الذي يندفع من باب الشفقة ويزيل معاناة الناس لأن منظرهم يقرف نفسه. ليس هناك وصفة

طبية تولد حرارة الحب النزيه ولا يمكن تقليده. لا يمكن أن تحاكي نفسك لأن تحب أو أن تجبر عواطفك بجهد لأجل خدمة الجنس البشري ومحبتهم. كلّ إنسان في قلبه حب وهذا الحب لا يظهر إلاّ بعد أن يقتنع الإنسان بأن حب الذات هو شيء مستحيل. هذا الاقتناع لا يأتي من خلال كره الذات أو إدانتها، أو تسمية حب الذات أسماء رديئة. هذا الحب يظهر من خلال وعينا بأن ليس لنا ذات لكي نحبها.

الإيمان باللّه:

وجود الله أو أي شيء مطلق ودائم الوجود في هذا الكون ليس له أي إسناد عقلاني يفهمه العقل. جميع المعتقدات الروحية تعترف بأن هناك في مراحل تطور عقل الإنسان **اعتقاداً** بوجود الله كقوة خارج كيان الإنسان، هذا الاعتقاد يجب أن يُترك ليحل محله **الإيمان** بالله الذي هو طفرة إلى المجهول، إلى اللاشيء والتوحد معه. المبادئ الأساسية للدين والمعتقدات الغيبية يمكنها مرة أخرى أن تصبح مفهومة وذات معنى ليس كالاعتقاد بوجود كيان للإله خارجي بل كرمز صحيح لتجربة روحية. الديانات التقليدية تبدو وكأن لها تأكيدات حول كيف بدأ هذا العالم وكيف سوف ينتهي؟ إنها مرتبطة بزمن طويل بسلسلة من الأنبياء هم بالتأكيد ليس عندهم إلاّ تنبؤات. كتبهم السماوية تنص على أن هذا العالم هو من خلق الله. هو خلقه لغرض سوف يتحقق في المستقبل البعيد من حياة هذا الكون. هذه الكتب السماوية تنص على أن للإنسان طبيعة لا أخلاقية أمارة بالسوء، وأن الخير والسلام سوف ينتصران أخيراً

على الشرّ والحرب والموت. وتدوم الحياة إلى الأبد. قال الأنبياء: «طبيعة الإنسان سوف تتغيّر، الأسد سوف يرقد مع الحمل وطفل صغير سوف يقودهم إلى عالم الغد» ويؤمن عامة الناس بأن السلام سوف يتحقق بعد ظهور المسيح أو الإمام المهدي عليه السلام. رجال الدين يأملون ويعتقدون بأن هذه النبؤات وهذه الأحلام سوف تتحقق.

في تأريخ جميع الديانات الكبرى هناك علماء وفقهاء ومجتهدون يفسرون النصوص السماوية بطرق مختلفة لذا هم اختلفوا في التشريعات والقوانين الدينية التي تحدّد حرية البشر. نحن نؤمن أن الدين ليس نظاماً من التنبؤات، ماذا سوف يحدث في المستقبل وماذا حدث في الماضي؟ إن مبادئ الدين لها ارتباط مباشر مع الحاضر والوجود الأزلي. النصوص الدينية ليست مجموعة من المعتقدات والآمال ولكن على الضد من ذلك هي مجموعة من الرموز النابضة بالحياة تتعامل مع التجربة الحالية في حياة الإنسان. الرموز الدينية هي صفات خاصة في الديانات اليهودية، المسيحية والإسلام. نحن معنيون في حياتنا اليومية مع ما نراه، نحس به ونختبره. في كلّ لحظة نحن مدركون له، وهذا الشيء هو إدراكنا. نحن نشعر ونتحسس هذا الشيء وهو شعورنا وإحساسنا. ما هو هذا الشيء؟ من دون تفكير هناك لا شيء، هناك فقط حقيقة مطلقة. نحن ننظر إلى الحقيقة من دون كلمات لوصفها ننظر إليها كما هي. عندما نرى الحقيقة كما هي نحن أحرار للتفكير بها لكن يجب أن لا تخدعك أفكارك. حقيقة لا يمكن تعريفها هي بلا نهاية ولا بداية، أبدية، دائمة الوجود ليس لها ماضٍ أو

مستقبل، ليس لها فكر أو وقت، هي غير قابلة للتغيير. هذه التجربة التي نسميها شيئاً، لوناً، صوتاً، رائحة، ذوقاً، شكلاً، وزناً، **في ذاتها هي لا شيء**، لا شكل، لا رقم، ليس أي شيء، ولكن **فقط هذه اللحظة**. نكون عند ذلك في لحظة الحضور الإلهي الذي ترمز له الديانات التقليدية بلا حدود، بلا شكل، أبدي، بلا نهاية، غير منقسم، غير متحرك، غير متغير، حقيقي، المطلق خلف النسبي، المعنى خلف الأفكار والكلمات. بالحقيقة فإن المعنى هو بدون معنى لأن على خلاف الكلمات ليس له معنى لأنه هو المعنى. الشجرة بذاتها هي من دون معنى لكن الشجرة هي المعنى لكلمة الشجرة. عندما يمر شخص ضال بتجربة حياتية قاسية ومؤلمة فهو يطلب الملاذ عند الله، لكن الذات تقاوم هذا التغيير غير السعيد فهي تتمسك بما هو غير متغير، مطلق، ناسياً أن هذا المطلق ليس له كيان مستقل. إن الذات تلتجئ إلى الله فقط تحت ضمانة أن هذا الرب والأب المحب سوف يحميها. لكن هذه الضمانة أو الميثاق تجعل من المستحيل فهم الحب الإلهي الذي كما نعرفه جيداً يتطلب أولاً وآخراً التخلي عن الذات.

الخلود:

كان تفسير النصوص الدينية لمفهوم الخلود، الجنة والنار، خاطئاً، في المنظور القديم. أما الآن فأصبح واضحاً بأن الخلود هو أن تفهم الحاضر هو الحقيقة الوحيدة، الماضي والمستقبل يمكن أن يوصف من حيث علاقته بهذه اللحظة الحاضرة «الآن».

اللحظة الحاضرة هي باب الجنة، وهناك صراط مستقيم وضيق يؤدي إلى الحياة الأبدية وهذا الصراط المستقيم لا يسمح للذات أن تنفصل عن التجربة الحالية وهي التركيز الخالص في عملية العبور. أما إذا انفصلت الذات عن التجربة وفكرت في الماضي أو المستقبل أو راقبت نفسها تعبر فإنها سوف تقع في وادي الجحيم. الرجل الغني لا يمكنه أن يعبر الصراط المستقيم لأنه يحمل معه الكثير من الحقائب ليضمن مستقبل حياته. هذا هو مفهوم رمز الحياة الأبدية. في هذه اللحظة الحاضرة الله خلق أول إنسان وفي هذه اللحظة الحاضرة آخر إنسان سوف يغيب عن الوجود. في هذه اللحظة الحاضرة أنا أتكلم والكل واحد مع الله والذي هناك واحد فقط هو الآن. انظر لترى أن الشخص الذي يعيش في نور الله غير مدرك لوقت مضى أو لوقت سوف يأتي، هو مدرك فقط للحظة الخلود الحاضرة. لذلك فهو لم يحصل على شيء جديد من أحداث المستقبل، هو يعيش في اللحظة الحاضرة بثبات. تموت الذات لتحيا في الحياة الأبدية في كلّ لحظة. ما دام هناك إحساس بالذات تمر في تجربة معينة فإن تلك اللحظة غير سعيدة بالكامل. السعادة الأبدية (الجنة) يشعر بها الإنسان عندما يتلاشى آخر أثر للانفصال بين الذات واللحظة الحاضرة، عندما يكون هناك فقط الآن وليس شيء آخر. وعلى الضد من ذلك فإن جهنم أو الهلاك الأبدي هو الاستمرار في الإحباط مراراً وتكراراً سعياً وراء شيء لا يمكن بلوغه. جهنم هي الحماقة، المستحيل الأبدي في حب الذات، الإحساس بالذات، تملك الذات.

الحياة كاملة في كلّ لحظة، غير مجزأة، متجددة على الدوام. لأجل فهم النصوص الدينية بصورة صحيحة هو أن الحياة الأبدية هي الله، هو غني عن التعريف «هو» «الله أحد» هو البداية، والنهاية لكلّ الوجود. اكتمال الغرض من خلق الله للكون لا يرقد في المستقبل. الغرض يمكن إيجاده في الحاضر. لأجل معرفة الله فإن الإنسان يجب أن يتخلى عن ذاته. ليس هناك شيء أصعب من، وليس هناك شيء لا يفهم كلياً، هو كيف للذات الأنانية أن تتخلى عن ذاتها؟ يقول الأنبياء: هذا لا يحدث إلاّ بفضل من الله «ربنا اهدنا الصراط المستقيم» بفضل قوة الله فإن الإنسان يستطيع أن يتغلب على ما هو أقوى منه. لكن فضل الله هذا هل هو لجميع الناس أم للنخبة المختارة «صراط الذين أنعمت عليهم ولا الضالين» التي عندما تستلم فضل الله هذا فليس أمامهم أي خيار بل تسليم أنفسهم لله والتخلي عن الذات؟ هناك من يقول: إن فضل الله هو لجميع البشر. لكن هناك من البشر من يتقبل فضل الله وهناك من يرفضه. هناك من يقول: إن فضل الله هو للنخبة القليلة المختارة، لكن أيضاً إن الإنسان له حرية الاختيار في تقبّل فضل الله أو رفضه.

وهذا لا يحل المشكلة. هو إحلال مشكلة بمشكلة أخرى: هل أدع الذات الأنانية أن تموت أم أبقى متمسكاً بها؟ هل أتقبل فضل الله أم أرفضه؟ وهاتان المشكلتان متطابقتان. لكن الديانة المسيحية تعتقد أنها وجدت الحل لهذه المشكلة؟ في تسليم الذات لعيسى المسيح ـ فهو ضحى بحياته على الصليب في سبيل إنقاذ الذات البشرية الأمارة بالسوء، الذات المنفصلة. لكن المسيح هو الحقيقة، هو الحق،

وليس له ذات منفصلة عن ذات الإله، هو والله واحد. أما الإنسان في تسليم ذاته إلى المسيح هو تأكيد خاطئ على أن للمسيح ذاتاً مستقلة عن الله. المسيح قال: «أنا وأبي واحد».

إذا كانت هناك أي مشكلة هو أنك في هذه اللحظة ليس لديك ذات لتسليمها. إنك حرّ بصورة مطلقة لعمل هذا في أي لحظة وليس هناك أي شيء يقف في طريقك. هذه هي حريتنا. إننا لسنا أحراراً لتحسين ذاتنا، لتسليم ذاتنا، للانفتاح لفضل الله، لأن كلّ هذا هو انفصال الذات ونكران وتأجيل لحريتنا. إنه من الضروري التأكيد على الاختلاف بين تفهم ما قاله السيد المسيح: «أنا وأبي واحد» وبين الحالة الذهنية لشخص يعتقد أنه الله؟ معنى هذا أن له ذاتاً مستقلة يشبهها بالله، فإن هذا الإنسان له ذات مجنونة لا تطاق يعتقد أنه ناجح في بلوغ المستحيل، في السيطرة، في إشباع جميع رغباته، هو يقول: أنا سيّد مصيري، أنا سيّد حياتي. الإنسان هو المصير، ليس هناك سيّد ولا مسيود، لا حاكم ولا محكوم.

توحد الذات مع الله هو ليس فقدان القيم الشخصية؟ هذه الذات لم تكن وليست، ولن تكون جزءاً من شخصية الإنسان. ليس فيها أي شيء فريد، أو مختلف أو مدهش. فإذا كثير من الناس ركضوا وراءها فإنهم يصبحون أناساً غير شيقين، عديمي الشخصية وقليلي الأصدقاء ومكروهين. الأناس الشيقون والمحبوبون هم فقط هؤلاء الذين تخلوا عن الذات. الديانات التقليدية التي تشعرنا بوجود الذات والتي تعودنا

عليها لمدة طويلة هي ليست العلاج لمشاكل البشر إنما هي المرض ذاته. هي جلبت لنا إلهاً هو انعكاس لذات الإنسان، ذات لها سلطة فوق الكون. الوصول إلى حقيقة توحد الذات مع الله فإن الانشقاق بين العقل والجسم، الذات والضمير، الإنسان والكون، المثالي والحقيقي سوف ينتهي. العقل يتحد مع الفعل وتفقد الذات ذاتها، **العقل والجسم أصبح واحداً**: العين ترى، الأفكار تفكر، الأذن تسمع، اليد تلمس. في هذا الإحساس ليس هناك إحساس، لا شيء نراه أو نسمعه أو نلمسه أو نتذوقه أو نحسه، الحياة لا تحتاج إلى مستقبل ولا تحتاج إلى نهاية لبلوغها ولا تحتاج إلى تفسير لوجودها، في تلك اللحظة الحياة انتهت وولدت أنا.

اللحظة الحاضرة:

الأبدية ليس لها طول أو عرض وأقرب شيء نشبهه بها في حياتنا العملية هو ما نسميه اللحظة الحاضرة. لا يمكن قياسها لكنها دائماً موجودة. في هذه اللحظة يظهر الكون وكأنه مجموعة أشياء فردية منفصله عن بعضها البعض وفي الوقت نفسه كلّ واحدة من هذه الأشياء تحتفظ بتوحد مطلق وتطابق مع المصدر الإلهي. لأجل أن تتنور روحياً يجب أن تعيش في اللحظة الأبدية، اللحظة الحاضرة، هي غير متناهية في الصغر لهذا فهي غير متناهية في عظمة الوقت.

الكون موجود فقط في اللحظة الحاضرة والرجل العاقل يتحرك معها، هو لا يلتصق بالماضي ولا بالمستقبل، يجعل عقله كالمرآة

تعكس كلّ شيء يظهر أمامها على الفور ولا تحتفظ بأي انعكاس بعد أن تتحرك الأشياء من أمامها. لا تحتفظ بشيء، لا ترفض شيئاً، إنها تستلم ولا تبقي على شيء. نحن ليس بإمكاننا أن نفصل أنفسنا عن اللحظة الحاضرة، نحن نفكر فقط في ما يجري الآن. هي حالة من الغيبوبة التي فيها جميع الحواس للأشكال المختلفة الموجودة في هذا الكون تكون قد تلاشت وحل محلها حالة من الوعي الكوني التي تمتص جميع مشاعر الفرد وفكره ولا يبقى إلاّ جسمه الحي وهذه هي أعلى مستوى من الحياة الروحية، هو الاندماج مع أي نوع من الأبدية. الإنسان تفهم توحده مع الله. وهذا هو التنور الروحي.

الإله الحقيقي:

رجال العالم يتناقشون فيما بينهم «أيّ من الآلهة هو الإله الحقيقي؟». الإله الحقيقي يجب أن يكون الإله عبر العصور. هو يعرف الماضي والمستقبل، البداية والنهاية لجميع الأشياء. آلهة الأصنام التي يعبدونها هي تافهة وعقيمة لا تعمل شيئاً وأشكالها وهمية. كلّ فرد يحاول أن ينتزع مشورة أو حكمة من إله أمته عن لسان قس أو إمام أو كاهن له سلطة وحكمة. وكلّ فرد نجح في اكتساب الحكمة. جميع الأفراد من جميع أنحاء العالم أُغرقوا بحِكَم وتشريعات من آلهة متعددة تمثل جميع الأمم. جميع الرجال قارنوا تشريعاتهم مع تشريعات الآخرين محاولين اتخاذ قرار حول أصلح التشريعات وأكثرها ملاءمة لحياتهم اليومية. لكن الظلام وعدم المعرفة

زادت، لأن جميع الرجال يتكلمون عن مستقبل أممهم. لكن أعظم أمة على الأرض هي لا شيء مقارنةً بالإله الحقيقي. لأنه ليس هناك أمة على الأرض تستطيع أن تقول إنها تمثل طريق الحق وهي الغاية في الحياة ولديها معرفة بالماضي وتستطيع أن تتحكم بالمستقبل. لكن هذا الإله غير قادر على عمل أي شيء، نحن نقرأ الكتب السماوية التي أُنزلت على الأنبياء، نفسرها بما يشبع حاجاتنا ورغباتنا ونختلف فيما بيننا لأننا نرفض أن نتجه إلى مصدر النبوة، إله الحق ـ الأول والآخر، البداية والنهاية. نحن نكتشف أنفسنا في هذا العالم من خلال المحيط البشري الذي نعيش فيه. ونحن نكتشف الذات من خلال المرآة التي يعكسها من ينظر إلينا. إن بإمكان الفرد أن يعيش على السطح مرتاحاً إذا لم يكن هناك اهتزاز وتمزق في هذا السطح. إنه مؤلم جداً أن ينفصل المرء عنه وأن ينزل إلى عمق غير معروف له. هناك مقاومة عنيفة تحدث ضدّ هذا الفعل في كلّ إنسان، وذرائع متنوعة اخترعت لتفادي الطريق إلى عمق الذات وهذا شيء طبيعي. الألم الذي يعاني منه المرء في نَظَره إلى عمق ذاته هو شديد جداً لمعظم الناس. هم بالأحرى يفضلون الرجوع إلى اهتزازات وتمزق وخراب الحياة السطحية لحياتهم وتفكيرهم السابق. كلّ خطوة باتجاه تفكير أعمق هو انفساخ من التفكير السطحي السابق. عندما يحدث هذا الانفساخ لدى الأنبياء، الأئمة، الصحابة، القديسين، هم يعانون بشدة كمعاناة الموت أو جهنم، لكنهم تقبلوا تلك المعاناة كطريق إلى عمق الذات إلى الله، كطريق روحي، الطريق إلى الحقيقة. والطريق إلى الحقيقة هو الطريق إلى العمق. لهذا

فهو طريق الشقاء والتضحية. الشخص الوحيد الذي يسلك هذا الطريق بإمكانه أن يفهم تناقضات العبارات الدينية.

في نهاية الطريق سرور، والسرور هو أعمق من المعاناة. هو الجوهر. السرور الأبدي هو نهاية الطريق إلى الله. هذه هي الرسالة التي تبشر بها جميع الأديان، مملكة الرب هي سلام وسرور دائمين. لكن لا يمكن بلوغ السرور الأبدي بالعيش على السطح. هو يمكن بلوغه بشق السطح، باختراق عمق الذات، عمق عالمنا، الله.

في اللحظة التي نصل فيها إلى آخر عمق في حياتنا هي اللحظة التي نستشعر بها السرور الذي ترقد فيه الأبدية، الأمل الذي لا يمكن تحطيمه، والحقيقة التي بُني عليها الحياة والموت. لأن في العمق ترقد الحقيقة، وفي العمق نجد الأمل وفي العمق نجد السرور.

الغضب الإلهي:

قال الله لآدم: «إن لعنتك هي أن تعيش على الأرض، بشقاء وتعب سوف تأكل طيلة أيام حياتك بعرق جبينك، سوف تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض التي خُلقت منها. خُلِقت من التراب وسوف تعود إلى تراب». هناك أمل للشجرة المقطوعة لأن تزهر مرة أخرى ولكن ليس هناك أمل للإنسان لأن يعيش مرة أخرى. قال الإنسان لربه: «إنك دمرت كلّ آمال الإنسان. إن قرارك قوي جداً ليس لأحد القدرة على أن يقبله. فما على الإنسان إلاّ أن يكون سعيداً بعمله». وهذا كلّ ما يكسبه من الحياة ليس هناك أحد رجع بعد أن مات

قصة آدم وحواء

ليخبرنا ماذا سوف يحدث بعد الموت؟ هذا هو مزاج الإنسان في عصر ظهور الأديان وكثير منا يخاف هذا المصير. الله سلمنا إلى قانون الطبيعة «التراب يجب أن يعود إلى التراب» والإنسان تفصله فجوة أبدية عن الله. الإنسان حُكِم عليه في حالة غضب الله، ونحن نخاف شدة غضب الله. هو وضع الإثم الذي ارتكبناه أمامه وجميع أعمالنا السرية والعلنية تحت ضوء مُحَياه. من التراب وإلى التراب. الإنسان مقيد بهذا القانون. هو ردّ فعل الله ضدّ محاولة الإنسان لكسب المعرفة وأن يصبح شبيهاً لله. نحن نحتج عندما يموت الأطفال أو شخص شاب أو رجل أو امرأة في عنفوان قوتهم ونحن نحس بمأساة كبيرة عندما يموت رجل عجوز ويأخذ معه كنزاً من المعرفة، الخبرة، الحكمة وشخصية لا يمكن تعويضها. نحن نتمرد وبما أن تمردنا لا جدوى منه فنستسلم.

الموت هو من عمل الغضب الإلهي. فكرة الغضب الإلهي أصبحت غريبة في عصرنا الحاضر. نحن رفضنا الدين الذي جعل من الله دكتاتوراً غاضباً، فرد له عواطف وانفعالات ورغبات، قام بأعمال استبدادية. نحن نتفهم **الآن** الغضب الإلهي على أنه يعني ردّ فعل الله الذي لا يمكن الهروب منه أو تفاديه ضدّ تشويه وتحريف قانون الحياة، وفوق هذا كله ضدّ غرور الإنسان وكبريائه. الله قهر جبروت الإنسان بالموت. من خلال ردّ الفعل هذا فإن الإنسان عاد إلى حدوده. هو ليس عملاً انفعالياً القصد منه العقاب أو الانتقام كان يقصده الله. هو أعاد أسس التوازن بين الله والإنسان، والتي تخلخلت بعد أن رفع الإنسان ذاته فوق ذات الإله.

الطبيعة وقعت عليها اللعنة نفسها التي أنزلت على آدم. مأساة الطبيعة هي مرتبطة بمأساة الإنسان. كما أن نجاة الطبيعة يعتمد على نجاة الإنسان. الجنس البشري كان يحلم في وقت عندما يملأ الانسجام والسعادة الطبيعة كلها والسلام يسود بين الطبيعة والإنسان. لكن الإنسان بانتهاكه حرمة القانون الإلهي حطم الانسجام والآن هناك عداء بين الإنسان والطبيعة، بين الطبيعة والطبيعة. نحن نرى في كلّ مكان انفصال الناس عن الطبيعة وعن المحيط حولهم، هم أصبحوا جافين وغير مبدعين في حياتهم الفكرية. متصلبين ومتعجرفين في سلوكهم الأخلاقي، مكتئبين وفاسدين في حيويتهم. هل المأساة أقوى من الأمل؟ هل الماضي يقهر المستقبل؟ هل الغضب الإلهي أقوى من الرحمة الإلهية؟ نحن نندفع من مأساة إلى أمل ومن أمل إلى مأساة. في هذا الموقف ربما نحن مستعدون لاستلام رسالة الذات الجديدة (النبي أو المصلح الاجتماعي أو القائد العسكري أو السياسي). استلام نوع جديد من الوجود والذي هو ليس فقط أملاً ولكن أيضاً الحقيقة التي فيها الغضب الإلهي وذنوب البشر قد تلاشت إلى الأبد. الموقف البشري الذي فيه المأساة والأمل في صراع دائم من دون أن ينتصر أحدها على الآخر. الانتصار يأتي عندما يستجاب الدعاء، هذا هو دعاء البشرية خلال كلّ العصور، هو الدعاء المخفي في عمق روح كلّ إنسان «الرحمة يا رب العالمين».

صفات النبي:

النشوة التي يستشعرها النبي عندما يكون محاطاً بالوجود الإلهي

هي ليست النهاية في حدّ ذاتها، ولكن بالأحرى هي الوسيلة التي يستلم بها النبي التشريعات الإلهية والتي يجب أن يبشر بها أمته. هناك شرطان يمتاز بهما النبي:

أولاً: أن يكون **صادقاً**. لا يمكن لأي أحد أن يكون نبي الله من خلال مقدرته الخاصة، وليس بإمكان أي أحد اختاره الله ليكون نبيّاً أن يعفي نفسه من هذا الواجب. فقط قوة القداسة الإلهية إذا لمست وجودنا بإمكانها أن تجلبنا بالقرب من الله. شيء في وجودنا، الإثم، الظلم، الرذيلة، الكفر يجب أن يُبدد ويمحق أولاً. فقط من خلال هذا المحق بإمكان الله أن يتكلم معنا ومن خلالنا. لكن هل سوف يتكلم معنا أو متى سوف يتكلم معنا؟ هذا لا يعتمد علينا في أي حال من الأحوال. الله يسأل من اختاره ليكون نبيّاً وينتظر الجواب. هو لا يُجبر أحداً. قرار الشخص المختار يجب أن يكون حراً.

حرية الاختيار هي الشرط **الثاني** لمواصفات النبي. لأن النبي يجب أن يقرر هل يقبل أن يكرّس حياته لهذه المهمة أم لا؟ النبي بعد ذلك يشرح محتويات التشريعات والقوانين الإلهية للناس. لكنهم يغلقون أعينهم ويسدون آذانهم. أخلاقياتنا الطبيعية وأحاسيسنا ترفض قبول أي شيء جديد يتناقض مع التقاليد والعادات والديانات السائدة. النبي قَبِلَ التشريعات الإلهية وقَبِلَ واجبه كأداة يستخدمها الله لفرض تلك التشريعات على الأمة. عندما يرفع النبي صوته فالأمة تسد آذانها هم يكذبون ما يصرح به، وفي النهاية يضطهدونه ويقتلونه لأنهم لا يمكنهم

تقبل الرسالة. النبي جاء لقيادة الأمة إلى حياة أفضل فيها العدالة والمساواة الاجتماعية. هو جاء لينقذ الأمة من تهديد يوم الحساب.

نحن يجب أن نصلي على أرواح الأنبياء الذين ماتوا منذ زمن طويل وماتت معهم رسالاتهم في المعابد والكنائس والجوامع، ولو ظهر النبي في هذه الأيام فهو سوف يمنع علماء الدين والقسيسين من الكلام عنه في دور العبادة لمدة طويلة. هم خلقوا له ذاتاً شخصية بعد موته هو كان قد أنكرها في حياته بزهده وتوجهه إلى الله. هو سوف يمنعهم عن الكلام عنه مع أي شخص. هم بنوا مقابر للأئمة وزينوها بالذهب والفضة وجعلوا منها مزاراً يترددون عليه لتقديم الذبائح والنذور، يتضرعون إليهم ليقضي حاجاتهم وليحل مشاكلهم. دور العبادة تتكلم عن الصفات الشخصية للأنبياء والصحابة والأئمة، جعلوا منهم إلهاً يُعبد ناسين، رسالاتهم الحقيقية في التوجه إلى الله ونكران الذات الشخصية.

من يجد في نفسه مهمة التجديد والخلق وروح الثورة على الظلم والطغيان يجب أن يسير في هذا الطريق. هو يجب أن يبشر رسالته بالعدالة الاجتماعية والمساواة باسم الله وتكريماً لله. لكن عليه أن يتوقع المعارضة والاضطهاد ليس فقط من قبل أعدائه ولكن من أصدقائه، من حزبه، وطبقته الاجتماعية ومن أمته. هو يجب أن يتوقع الاضطهاد إلى درجة أن كلماته هي كلمات الله الذي هو وحده مقدس، ذلك الإله الذي وحده قادر على اختيار الأنبياء من بقايا كلّ أمة. سأل عامة الناس الأنبياء عن رسالاتهم أقر هؤلاء الناس بأنهم لا يعرفون

الحقيقة وبكلّ جدٍّ هم يبغون معرفتها. النبي أجاب عن تساؤلاتهم وقال: «لستم أنتم ولا نحن خارج الحقيقة. حتى الإنسان الملحد الذي لا يؤمن بالحقيقة هو الحقيقة. الله أقرب إلى الإنسان من قرب الإنسان لنفسه. لكن الإنسان انفصل عن أصله، هو يعيش تحت قانون الغضب الإلهي والإحباط. المآسي وتحطيم الذات، لأنه أنتج هيئات مشوهة عن الله، الواحدة بعد الأخرى وهو يعبد هذه الهيئات». النبي وضع على عاتقه اكتشاف تلك الهيئات الإلهية المزيفة في عمق كيان الإنسان والمجتمع. هو يسبر غور عمق تفكيرهم، هو يتحداهم من خلال قوة إيمانه بالحقيقة التي جعلت منه نبيّاً. هو يصدر أحكاماً روحية ضدّ إله هو ليس الحق، ضدّ نظام اجتماعي مبني على الظلم والاضطهاد والتي شوهت معنى الحق في الفكر والفعل. النبي أصبح أداة الحكم الإلهي ضدّ عالم مشوه. روح الخلق التي يمتلكها، النبي صاحب الذات الثورية الخلاقة هي مشابهة إلى روح الله الذي هو روح خالصة، النبي له القابلية على أن يكون حرّاً وأن يحرّر أمته والطبيعة من الخرافات وعبودية الفساد الاجتماعي هو حرّر الإنسان وجعله مركز الطبيعة، الإنسان هو عملية خلق دائمة الوجود فيه تتحقق وتتحد جميع قوى الطبيعة. إن عقل الإنسان مرتبط بجسد الإنسان وإن جسد الإنسان هو عدوّ الله. إن جسد الإنسان هنا نعني به ميول الإنسان الطبيعية، رغبات الإنسان، حاجاته، انفعالاته، طموحاته، هدف إرادته، صفات مشاعره. إن الجسد يكون عدوّ الله إذا انفصل عن العقل. الجسد يشوه طبيعة الإنسان ويسيء استعمال قوة خلقه الأبدية

في صالح رغباته غير المتناهية، وعزمه غير المتناهي في الحصول على القوة والسلطة. هذه الرغبة وهذه العزيمة للحصول على القوة والسلطة هي مغروسة في وجودنا كبشر، وهي قوة الجسد في الذات المنفصلة. قوة الجسد هذه لا تنصاع إلى القوانين الإلهية وهي عدوّة الله. إذا استلمنا قانوناً ما لكي يكبح جماح رغبات الجسد ولم يكن بمقدورنا تطبيقه، فإن العقل حتماً يظهر عداءً ضدّ من أصدر تلك القوانين، وبما أن الرب هو الممثل والمشرع لتلك القوانين التي تقف في طريق رغبات الإنسان، فإن الإنسان صاحب الذات المنفصلة يكره الله ويعتبره عدوّه، لأنه بالنسبة له يمثل القانون الذي لا يمكن تطبيقه، والذي يناضل هو ضده وفي الوقت نفسه عليه الاعتراف به كحقيقة وفيها خير له. أما إذا اعترف الإنسان بالقوانين الإلهية وطبقها فتتوحد ذاته، وسوف تشع السعادة من وجهه ويكون إنساناً متوازناً في داخله، من دون خصومة أو عداء والحب يملأ قلبه، لم يعد عبداً لرغباته ولا يخاف شيئاً. الطاعة لم تعد طاعة ولكن أصبحت حرية اختيار. تحرر الإنسان من عبودية قوانين الجاهلية التي استعبدته وحكمت عليه باليأس. من توحد عقله مع جسده امتلك روح الخلق والإبداع هو لا يجري وراء إشباع رغبات الجسد بل يجري وراء الروح. قوة الرغبات غير المتناهية في حصول الجسد على القوة والسلطة تحطمت. إنها لم تتلاش والرغبة في الحياة لا تزال باقية ولكن عندما تكون الروح حاضرة فإن الرغبات تتحول إلى حب والعزيمة غير المتناهية في الحصول على القوة والسلطة إلى عدالة اجتماعية. الحب هو ثمار

الروح وليس هناك حب من دون الروح. الحب هو ليس قانوناً يفرض، فإذا فُرِض فلا يكون هناك وجود للحب. الروح هي الحياة. أن تجري وراء إشباع حاجات الجسد وشهواته فهذا هو الموت الذي يرقد في عمق رغباتنا غير المتناهية. الفرد يتحسس استحالة إشباع تلك الرغبات، يريد أن يُخَلِص نفسه منها بأن يفقد نفسه فيها. الفرد الذي يتبع الروح هو حيّ لأن الروح هي الحياة، وروح الخلق هي الحياة. **العقل** يحلّل الحياة وفي أغلب الأحيان يقتل روح الخلق لأن **روح الخلق** هي ليست عقلاً فقط وإنما هي **قوة وفكرة** تتحد سوية. هي خلق الحياة. ليس بإمكان **القوة** لوحدها ولا **الفكر** لوحده أن يخلق الأعمال الفنية، الاختراعات العلمية، الشعر، الفلسفة، السياسة، الدين ـ روح الخلق هي التي أنتجتها فردياً وعالمياً، هي قوية ومليئة بالفكر في الوقت نفسه. النبي صاحب الذات الخلاقة والإنسان صاحب الذات الثورية والرسالة الجديدة هو يتوقع رفضه من قبل السلطات السياسية لبلده ومن قبل السلطات الدينية لمجموعة معينة من الناس. ويُرفض من قبل السلطات الثقافية صاحبة الأعراف السائدة. هو سوف يعاني من الاضطهاد والموت. لكن رفضه وموته ليس هزيمة ولكن بالأحرى الخطوات الضرورية لانتشار الدين والرسالة الجديدة. النبي يجلب قوانين جديدة يفرضها علينا بقوة شخصيته المتكاملة والتي سوف تلغي حريتنا. أنا أقف أمام القوانين الجديدة بخوف، لا أملك حريتي بالتصرف حسب ما يتطلبه الموقف الحياتي، ولكن أنا ملزم بالتصرف وفق ما تقتضيه تشريعات الدين الجديد. الخوف من عقاب

جهنم التي صوّرها لنا النبي لمن يخالف أمر الله وقوانينه أفقدني حريتي وأمن لي السلام النفسي والجنة. حكمة الأنبياء ورسالاتهم جاءت من أجل تحرير الإنسان من القوانين الجائرة والظلم الاجتماعي والتفرقة. جاء ليفرض العدالة الاجتماعية والمساواة، تلك القوانين هي قوانين الله، وأساس الحياة على الأرض. كلّ ما يساعد على إدامة الحياة والنمو على الأرض هو خير وكلّ ما يعرقل النمو على الأرض ويمنع الحياة هو شرّ. عصرنا الحاضر مليء بعدة تيارات دينية تتضارب تفسيراتها للكتب السماوية التي هي مصدرها واحد وهدفها واحد. تم تقسيم المجتمع إلى فئات وطوائف. عظمة عصر الإسلام القديم أنتجت المأساة الحاضرة التي نعيش فيها. حتى الشباب الذين يعيشون معنا هم يعيشون في شيخوخة الماضي. تفكيرهم يعود إلى آلاف سنين مضت. هم شباب في حيويتهم الشخصية لكنهم شاخوا بسبب مشاركتهم في مأساة حياتنا الحالية. أصبح شيئاً خيالياً لأن نعتقد بأن الشباب لديهم القدرة لإنقاذ المجتمع. عندما شاخت إمبراطوريات شعوب التأريخ القديم وماتت لم ينقذها شبابها. وكذلك فإن جيل الشباب الحالي لن ينقذوا مجتمعنا.

الحرية أو الأمان:

في بداية حياتنا على الأرض كبشر اخترنا **الحرية**. وكان هذا الاختيار صحيحاً. الحرية خلقت أشياء عظيمة وجديدة على مرّ عصور التأريخ. لكن في ذلك الاختيار نحن استثنينا **الأمان** الاجتماعي

والروحي اللذين بدونهما لا يمكن للإنسان أن يعيش وينمو. والآن بعد عمر طويل لحضارتنا نسعى للتضحية بالحرية في سبيل الأمان الذي شق الأمة الواحدة وعزل جميع أمم العالم الواحدة عن الأخرى بالقوة. نحن اخترنا وسائل السيطرة على الطبيعة والمجتمع. نحن صنعناها، ونحن جلبنا شيئاً جديداً وعظيماً في تأريخ عصر البشرية. الوسيلة أصبحت الغاية، الأدوات أصبحت أسيادنا، وأكثرها قوة أصبح يهدّد وجودنا. نحن اخترنا **الحكمة** وفضلناها على التقاليد القديمة والمعتقدات الخرافية. وكان ذلك اختياراً جريئاً وعظيماً، أعطى منزلة جديدة للإنسان. لكننا في ذلك الاختيار استثنينا **الروح** التي هي أساس قوة الحياة. نحن فضلنا عقلنا على روحنا. نحن قمعنا وأسأنا معاملة الروح في داخلنا، وفي داخل الناس الآخرين وفي الطبيعة. والآن عندما نكبر بالسن وبعد أن أنجزنا كثيراً من المشاريع يُحاسبنا ضميرنا على ما فعلناه مما يدفع بنا إلى الأمراض العقلية والجنون وهذا ما يحدث لملايين لا يمكن إحصاؤها من البشر خاصة في الدول المتقدمة. الآن في عصرنا الحاضر، أقوى الدول في العالم (أميركا) هم يَدَعون تمثيل ضمير البشرية في الحرية والعدالة الاجتماعية ونصبوا أنفسهم حراساً وحُماةً للأُمم. فهم يحاولون فرض طريقتهم في العيش على جميع الأمم، مما ينتج عنه الحروب والغزو والدمار، والذي سوف يوحد جميع الجنس البشري في سلام القبور. في عصرنا الحاضر اخترنا الأنظمة المدنية فكان ذلك قراراً عظيماً وبأمس الحاجة إليه. رمينا هيمنة وسيطرة الدين الذي أصبح قوة للقمع والهيمنة

السياسية. نَسيَ علماء الدين رسالة الدين الحقيقية التي هي اختبار حقيقة لغز الحياة الذي هو تركيز على اللحظة الحاضرة ونكران الذات. إن ما يقوم به علماء الدين هو تظاهر بالدين والاعتراف بالذات بدلاً من نكرانها. إنكم إنما تعبدون صوراً شيطانية لأنفسكم.

نحن نستشعر مرض وموت عصرنا الحاضر. هذا هو المأزق الذي نحن فيه في عالمنا الحاضر. نحن في صحراء فيها النبي يتكلم ولكن ليس هناك أي أحد يعرف طريق الخروج. بالتأكيد ليس هناك مخرج لأننا ما زلنا متمسكين بالقديم. والجديد لا يأتي من تجميع بقايا الماضي الذي لا يزال حيّاً. عندما يأتي الجديد، الماضي يجب أن يختفي. على أنقاض الماضي يظهر الجديد. الجديد لم يأت من الماضي وليس من أجود ما في الماضي ولكن من موت الماضي. ليس الماضي هو الذي خلق الجديد. ما خلق الجديد هو خارج نطاق الماضي وخارج نطاق الجديد، هو الأبدي.

رجال التجديد:

لا تكيّف أفكارك لتكون مطابقة للفكر السائد. هذا ينطبق على كلّ واحد منا، على حضارتنا على الجنس البشري كله. هي حالة التجديد لعالمنا ولأنفسنا. المزاج السائد هو اتباع النظام السائد ومقاومة التجديد الذي يتخلّل شريحة كبيرة من الجنس البشري وبالتأكيد في عالمنا العربي والإسلامي. هذا الشيء طبيعي ولأنه طبيعي فهو لا يحتاج أن يكون قضية مهمة بالنسبة لنا.

ولكن إذا بدأت القوى المقاومة للتجديد تفرض نظرياتها على المجتمع فإن هذا يستحق المقاومة والرفض.

الحالة الاجتماعية التي نعيش فيها الآن هي حالة فساد اجتماعي وأن التكيف مع هذه الحالة الاجتماعية وتقبل الأنظمة الفاسدة يعني المشاركة في فسادها. لأن التطابق يعني القبول بالفساد. وهذا الفساد يمكن أن يقلب الابن ضدّ أبيه، والبنت ضدّ أمها. وهذا الفساد الاجتماعي يمتد إلى الأسرة حيث يمكن أن يكون الابن متحرر الأفكار ويعمل خيراً وأبوه يكون مقاوماً للتجديد ويعمل شرّاً. قال الله «نخرج الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب». وجاء الأنبياء بالرسالات الإلهية ووضعوا الابن ضدّ أبيه والبنت ضدّ أمها وأعداء التجديد يعيشون في بيت واحد. رجال التجديد العظام هم على علم بالمخاطر التي تحيط بهم، عندما رفضوا أن يتطابقوا فكرياً مع عوائلهم وتقاليدهم، هم جدّدوا كيانهم ونشروا هذا التجديد في مجتمعهم. هم أخذوا على عاتقهم مخاطر التجديد المصحوبة بالقلق والشك والفوز باللذة المصاحبة للجرأة. هذا مطلوب من كلّ من يدعي الإيمان بالله أن يكون قوياً بما فيه الكفاية ليقاوم التطابق. ارفض أسس النظام الاجتماعي الذي تنتمي إليه، ولا تتطابق مع المجموعة الاجتماعية التي تنتمي إليها، لا تتطابق مع هؤلاء الذين لهم سلطة سياسية عليك، حتى ولو كنت تطيعهم، ولكن اعمل معهم وحاول أن تُغَيّرهم من الداخل.

السلطات الدينية في زمن الأنبياء رفضوا الرسالات السماوية التي

جاء بها الأنبياء وقتلوهم، والوضع لا يختلف عنه الآن. هم يشاركون في فساد عصرنا الحاضر الذي هو مزيج من الخير والشرّ. وتأريخهم هو شاهد على فسادهم. لهذا فالحذر من التطابق والقول «نعم» لما تراه فاسداً. إن عدم التطابق هو مقاومة عبادة الأصنام البشرية وهو أساس كياننا، أساس عالمنا، أساس حضارتنا، وأساس ديننا. وهذه المقاومة هي أصعب شيء يطلب من الإنسان الحرّ أن يقوم به. من يجد في نفسه الشجاعة لمقاومة التطابق وفشل فهو مغفور له. ومن لم يجد الشجاعة في نفسه ولم يفشل فهو فاشل في جميع كيانه، هو لم يُغفَر له لأنه لم يشعر أنه بحاجة للغفران. فلا تكن متطابقاً واعمل على التغيير بشجاعة. أولاً تغيير ذاتك، بعدها تغيير عالمك بروح وقوة الحب. نحن نستمد قوتنا من مقاومتنا ورفضنا لقوى الفساد وعدم النزاهة.

نزاهتنا تدلل على قوة إيماننا، لذلك فإن نزاهتنا هي قوتنا. يمكننا أن لا نعتقد في أي مذهب، دين، أو كتاب سماوي. ولكن موقفنا هو الأرضية الأساسية. إننا نقف ثابتين في إيماننا ما دام موقفنا نزيهاً وأننا نأخذ شكوكنا وعدم اعتقادنا بصورة جدية ومن دون تحفظ. إننا متمسكون بإيماننا بقضيتنا التي ليس لها اسم بعد، ولكننا سوف نجد لها اسماً، وهذا غير مهم، الأهم من كلّ هذا هو أن نبقى شجعاناً وأقوياء.

القوة تتضمن الشجاعة، شجاعة الإنسان مبنية على قلق الإنسان. عدم الأمان له عدة أشكال، أخطرها هو الشعور بانفصال الذات. من كانت ذاته متوحدة هو قوي لا يقهر ولكن من يكون هذا الشخص؟

نحن جميعاً نقع تحت سيطرة قوى تغلبت على جزء من كياننا وجزأت شخصيتنا. كياننا تمزق رغماً عنا بقوى الشيطان في داخلنا. ومن باستطاعته أن يقود ذاتاً منفصلة ـ «كن قوياً»! إلى أي جزء من الذات المنفصلة يوجه هذا الأمر؟ القوة الشافية تأتي في النهاية من الأساس الذي نقف عليه في إيماننا، سوف تخترق الذات المنفصلة وتوحدها بفعل الشجاعة. إنها الشجاعة التي تأخذ على عاتقها القلق على تمزقنا. هذه الشجاعة هي مركز عمق إيماننا. إنها تجرؤ على إثبات كياننا في اللحظة نفسها التي ترفض فيها هذا الكيان، من هذه الشجاعة نستمد أعظم قوة. إنها القوة التي تتغلب على القوى التي تجزئ العالم والأرواح. كن شجاعاً! قل «نعم» لذاتك بالرغم من قلق الـ«لا». كن شخصية قوية، شجاعة بطلاً يقظاً، ثابت الإيمان يستحق المديح والإطراء «واعمل كلّ شيء بدافع الحب». قوة الشخصية يعتمد على شيء أبعد من الشجاعة والإيمان واليقظة. هي ليست قوة الأبطال. إنها قوة الشخص الذي يتخلى عن المديح والإطراء الذي يمكن أن يستلمه كبطل ويستسلم لتواضع الحب. لا تكن دكتاتوراً من خلال قوة الشخصية. من دون الحب من كان قوياً يصبح مشرعاً للقوانين لمن هم أضعف منه والقوانين تجعل من الضعفاء أضعف، يدفعهم إلى اليأس أو العصيان أو عدم المبالاة. قوة من دون الحب تحطم، أولاً الآخرين ثم تحطم نفسها.

لأن الحب ليس شيئاً يمكن أو لا يمكن إضافته للقوة. الحب عنصر من عناصر القوة. الفرد لا يمكن أن يكون قوياً من دون حب.

لأن الحب ليس شعوراً اعتباطياً هو دم الحياة، هو قوة توحد ما انفصل. قوة من دون حب تؤدي إلى الانفصال، إلى المقاضاة والسيطرة على الضعفاء. الحب يوحد ما انفصل، تتقبل من قضي أمره، هو المشاركة مع الضعفاء كما يشارك الله ضعفنا ويعطينا القوة بمشاركته. الرجال الذين جاؤوا برسالات جديدة وقوانين جديدة لأمتهم وشعبهم، معلمي الطرق الجديدة للحياة، الرجال الذين انسحبوا إلى صحاري الطبيعة وصحاري الروح ليعودوا محملين بأفكار جديدة. ليس واحداً منهم بقي في نصف الطريق، هم وجدوا طرقاً جديدة في ذلك القفر.

نشر الرسالة الجديدة:

ككائنات حية نحن منفصلون أحدنا عن الآخر، ولهذا فإننا منفصلون عن التوحد مع الجوهر، مع مصدر المعرفة. الجنس البشري حاول دائماً حلّ لغز أجزاء الحياة. هذه المحاولة ليست مقصورة على الفلاسفة أو القديسين أو الأنبياء في جميع العصور. هي قضية تهم كلّ فرد. لأن كلَّ إنسان هو جزءٌ من هذه الحياة. الإنسان هو لغزٌ بحدّ ذاته، والحياة الشخصية لكلّ فرد آخر هي لغز بالنسبة له، ظلام، حيرة، إرباك، إثارة، وعذاب.

ذات الإنسان دائماً تسأل عن معنى الذات ومحاولات مستمرة لحلّ لغز الكون. الرغبة الملحة هي حلّ لغز الذات التي يراها الإنسان في المرآة البدائية التي تعكسها. الإنسان صاحب الذات الخلاقة في

جميع حقول الحياة هو كالطفل الذي يتساءل متجرئاً خارج حدود الأجوبة التقليدية. هو يكتشف قطعاً متناثرة من الرموز لتلك الأجوبة. رموز غامضة استشعرها جميع الناس بصورة غير واعية. هو يمكن أن يحطم بسؤال واحد أساسي نظام الحياة السائدة، تقاليد المجتمع، دياناته وأخلاقياته. هو يمكن أن يُظهر للناس أن ما يعتقدون به ككل هو لا شيء بل جزء من جزء. هو يمكن أن يهز ثقتهم بما يعتقدون به لعدة قرون بطرح أسئلة لا يمكن الإجابة عليها. هو أثار الشكوك حول إيمان الديانات الوثنية بأن وجود آلهتهم وقوتها تمثّل في شكل من الأشكال قوة وكيان أمة معينة فإن الممارسات الوثنية في جميع أنحاء العالم تقوض كيانها. هو أثار الشكوك حول الإيمان بأن معاناة الأمة هي عقاب أنزله الله عليهم بسبب كفرهم. إن شقاء الإنسان يقع في أن حياته ومعرفته هي حيرة وأجزاء متناثرة من لغز كبير. وعظمة الإنسان تقع في قابليته على معرفة هذا اللغز وهو أن ذاته منفصلة والإنسان الحيران يتساءل عن سبب هذا الانقسام في الذات ويجاهد من أجل بلوغ وحدة الذات. رغم مقدرة الإنسان على أن يوحد ذاته هو يتحسس في الوقت نفسه المأساة المتضمنة في كيان البشر، مأساة الذات البشرية المنفصلة. الإنسان وجميع المخلوقات يخضع لقانون حب الذات ولكن الإنسان يدرك لوحده هذا القانون. لذا فهو أكثر يأساً من جميع المخلوقات الأخرى في عبوديته لهذا القانون، ومن جهة أخرى فهو متفوق بصورة أبدية على جميع المخلوقات لأنه هو لوحده يعرف أن هناك شيئاً آخر ما وراء حب الذات والفساد الروحي، ما وراء

انقسام الذات. الإنسان صاحب الذات المتوحدة الذات الجديدة يسعى جاهداً لتخليص البشر من ذلك الفساد الروحي. الذات المنفصلة الذات الأنانية الذات المغرورة هي أصل تكوين الإنسان وكلما عرف الإنسان وتحسس هذه الحقيقة فهو يعرف نفسه أكثر كإنسان ـ الأنبياء تحسسوا واختبروا صعوبة فرض وتطبيق التشريعات السماوية والسيطرة على الغرائز. كيف يتمكن النبي من أن يمنح حياة خالية من إشباع الغرائز وتأكيد الذات؟ هو صوّر لهم حياة مثالية أخرى في الجنة وعد بها أتباعه بعد الموت ـ الوعد بالجنة كان قد غيّر سلوك كثير من الناس إذ أصبحت الحياة بعد الموت حقيقة يسعى إليها كثير ممن اتبع هدى الأنبياء. مصير الموت وتعرضنا للمرض سوف لا ينتهي في اتباعنا لدين جديد. ثقل ومشقة العمل اليومي لكسب القوت سوف لن يكون سهلاً، مصير التهجير واللجوء إلى بلد آخر سوف لن يتغير، رعب الإفلاس، الجراح والموت الذي يهبط علينا من الطائرات سوف لن يتوقف، الحزن على موت صديق، أب، أم، أو طفل لا يمكن التغلب عليه.

النبي لا يمكن أن يعد بالمزيد من السرور وقليلاً من الألم لمن اتبعه. هو لا يقول لمن ارتكب إثماً: إن عمله الشائن هو شيء بسيط. هو جاء برسالة جديدة فيها تغيير جوهري للأعراف والمفاهيم السائدة. هو جاء بهذه الرسالة لكي يحرّرنا من النظام القسري الذي فرضته علينا الديانات السابقة. هو جهز اتباع الدين الجديد بمفاهيم قوية وحججاً لدحض الديانات القديمة السائدة وقوانينها القسرية. هو أعطاهم كياناً جديداً يعلو فوق الدين. الأشياء التي سوف يتعلمونها هو الانتصار

على المفاهيم والأعراف السائدة وبزوغ إنسان جديد يمتلك ذاتاً جديدة متوحدة. نحن البشر نتنهد تحت قوانين. تحت قوانين هي دين. ودين هو قانون. نحن نكدح ونعمل لأجل أن نعيش، نعرف أن نهايتنا هي الموت ونعرف أن بقاءنا مؤقت، نحن نعرف مخاطر الحياة والوجود المأساوي للذات.

الخوف والقلق هي صفات موروثة لجميع البشر، حالة اليأس مدفونة في كيان كلّ إنسان. ليس هناك رجل عبقري أو نبي ينظر إلى ذات الإنسان ولم يلاحظ ذلك الانقسام في الذات، ذات منفصلة هي كيان كلّ إنسان، نحن نعرف أننا لسنا من تراب فقط، ونعرف أيضاً إن مصيرنا هو التراب. نحن نعلم أن كياننا هو جزءٌ من كيان أعلى من السعي وراء إشباع غرائزنا الحيوانية ومع هذا فإننا يجب أن نخالف العقل في سبيل إرضاء الغرائز. نحن نعلم أننا جزءٌ صغير من العالم الروحي ومع هذا نحن نعلم أن طموحنا هو أن نكون مع الكل. أن نجعل من أنفسنا مركز الكون. هذا هو الإنسان، ولأنه إنسان فهناك دين وقوانين. القوانين الدينية هي محاولة الإنسان العظيمة للتغلب على قلقه، ضجره، ويأسه، لأجل سدّ الفجوة بين العقل والغرائز، وأن يبلغ الخلود، الحياة الروحية والكمال. فهو يعمل ويشقى بالفكر وبالعمل تحت وطأة قوانين ونظم دينية قسرية وجائرة. القوانين الدينية تفرض عليه أن يتقبل أفكار ومبادئ، أن يعتقد بمذهب وبتقاليد. تقبله لتلك المبادئ، هو شرط أساسي لخلاصه من قلقه، من يأسه ومن الموت. فهو يحاول أن يتقبلها مع أنها تبدو غريبة أو مشكوكاً فيها.

هو يعمل ويشقى لتلبية مطالب الدين ويعتقد بأشياء هو لا يمكنه الاعتقاد بها. وأخيراً هو يحاول أن يهرب من القوانين. هو يحاول أن يرمي جانباً حمل القوانين التي فُرضت عليه من قبل السلطات الدينية، السلطات الأبوية في الأسرة، وتقاليد وعادات المجتمع الذي يعيش فيه. هو يصبح منتقداً وشكاكاً، هو يرمي جانباً حمل قوانين وتشريعات الدين ويرتد، لكن ليس بإمكان أحد أن يعيش في فراغ الشك المجرد، فهو يعود إلى تحمل مسؤولية قوانين الدين وتشريعاته بحماسة أكثر وبنوع من الشعور بالذنب فهو يعذب ذاته ويتعصب للدين، هو يحاول أن يفرض تلك القوانين على أناس آخرين، على أطفاله، على عائلته، أقاربه، وفي مجتمعه. هو مدفوع برغبة لا شعورية بالانتقام بسبب الحمل الثقيل الذي اتخذه على عاتقه. عوائل كثيرة تمزقت بكوارث مؤلمة وعقول كثيرة تحجّرت بسبب هذا الموقف من الآباء أو الأمهات ، المعلم، أو أئمة الجوامع. أفراد آخرون لم يستطيعوا تحمل فراغ الشك المجرد، فوجدوا حملاً آخر وقوانين قسرية أخرى خارج الدين، هم يعملون ويكدحون تحت سيطرتها: الأفكار والأحزاب السياسية الممزوجة بالتعصب الديني مثل الإخوان المسلمين، حزب الله، وتنظيم القاعدة، نظريات علمية يدافعون عنها بعقيدة دينية مثل الشيوعية والأممية والأحزاب القومية مثل حزب البعث، توقعات وهمية أعلنوها كشرط لإنقاذ هذا العالم، يجبرون أُمماً بأكملها على تحمل وزر قوانين عقيدتهم التي هي دينية حتى ولو تظاهروا بتخليهم عن الدين. نحن جميعاً نعاني من ضغط القوانين الدينية المفروضة علينا قسراً. نجن جميعاً في بعض الأحيان

نرمي جانباً التشريعات القديمة أو الجديدة لنعود إليها بعد فترة وجيزة، ومرة أخرى نستعبد أنفسنا ونستعبد الآخرين معنا. والشيء نفسه ينطبق على التشريعات الدينية العملية: هم يتطلبون ممارسة شعائر وطقوس، المشاركة في مشاريع دينية، ودراسة التقاليد الدينية، الصلاة، ذبح النذور، التأمل. هم يتطلبون طاعة والتزاماً أخلاقياً، وسيطرة على النفس تفوق طاقة البشر، الزهد، تفانٍ في سبيل إنسان وعمل أشياء خارج نطاق استطاعتنا، الاستسلام لأفكار وأعمال خارج نطاق إمكانياتنا، تقديم أرواحنا والانتحار في سبيل الله ونكران الذات بلا حدود وضبط النفس بلا حدود. قانون الأديان يتطلب الكمال في جميع المجالات وضميرنا يتفق مع هذا الطلب لكن الانشقاق في الذات نشأ من أن الكمال رغم أنه الحق هو صعب المنال، ضدنا يحاكمنا ويديننا.

لذا نحن نرمي جانباً الشعائر الدينية، والالتزامات الأخلاقية. نحن نهملها، نكرهها وننتقدها. بعضنا يُظهر عدم مبالاة ساخرة تجاه الدين والقوانين الأخلاقية ولكن بما أن السخرية المجردة هي شيء مستحيل مثل الشك المجرد، نحن نعود إلى التشريعات الدينية القديمة أو الجديدة، نصبح أكثر تعصباً من أي وقت مضى ونحمل عبء تلك القوانين والتشريعات على أكتافنا، نتحدى الذات ونعاملها بوحشية وقسوة ونجبر الآخرين على الالتزام بتلك القوانين والتشريعات باسم نقاء ونزاهة الدين.

الأنبياء لم يمارسوا فرض الدين بالإكراه، هم يرفضون هذه

الممارسات باسم الدين. الأنبياء جاؤوا برسالات سماوية وبشّروا بدين جديد ليحل محلّ الممارسات الدينية القديمة والشعوذة ليحرّروا الإنسان من القوانين والطقوس التي كانت عبئاً ثقيلاً عليهم وليس ليكبلهم بقيود دين جديد والتزامات جديدة. النبي حرّرنا من الدين، ذات النبي هي فوق التشريعات الدينية، هو يدعونا إلى توحيد الذات والتوحد مع الله، هو يخاطب ذوي العقول أولاً ويقول لهم: ((بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ صدق الله العظيم)) هذا الإله كلي الوجود هو إله الأنبياء والأئمة والصحابة وكذلك إله الديانة الهندوسية والديانة البوذية وإله المذاهب الصوفية في الإسلام. هذا الإله غير منفصل عن ذات الإنسان لكن عامة الناس لم تفهم هذا المعنى لله، فجاءت صورة أخرى فيها الإله أقرب إلى عقول عامة الناس الذين يعيشون تحت نظام عشائري قبلي ولا يزالون حتى الآن وفي وقتنا الحاضر، إله دكتاتور جبار عظيم منفصل عن الإنسان يسكن في السماء، وصاحب التشريعات والقوانين والوعيد بالجنة والنار ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ صدق الله العظيم. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن القرآن يحاكي ثلاثة أنواع من البشر، **العامة، الأئمة والعلماء، والأنبياء**».

النبي يدعونا أولاً إلى توحيد الذات وسدّ الانشقاق بين العقل والغرائز، بين حاجة العقل وحاجة الجسم.

هذا ليس مطلباً جديداً، عقيدة جديدة، أخلاقاً جديدة ولكن بالأحرى **حقيقة جديدة**، كيان جديد، قوة جديدة لتغيير الحياة، تقهر القلق واليأس، الخوف والضجر من وجودنا. هذه الحقيقة الجديدة هي هنا، بيننا في صميم مأساتنا الشخصية ومأساة التأريخ، فجأةً ومن داخل أعظم شقائنا تظهر منتصرةً، إننا لم نحرز هذا النصر لكنها موجودة خارج نطاق توقعاتنا وشقائنا. فجأة ننغمر بالنور الإلهي الذي يحيطنا من كلّ حدب وصوب، الفرحة تفوق العقول. نحن نعلم الآن في هذه اللحظة نحن الحق رغم عدم تفهمنا لأنفسنا وللعالم من حولنا. لكن حقيقة الحياة هي في داخلنا وبيقين مستنير توحدنا مع أنفسنا، تعطينا سعادة عظيمة وراحة تامة. والخير الخير الأبدي والذي هو ليس خيراً لشيء ما ولكن الخير بذاته كان قد أحاط بنا من كلّ حدب وصوب. نحن نعلم الآن وفي هذه اللحظة أننا في هذا الخير بالرغم من كلّ ضعفنا وبالرغم من كلّ الشرّ الذي في داخلنا وفي داخل هذا العالم. نحن لم نكتسب مزيداً من القيم الأخلاقية ولا مزيداً من الحكمة. نحن لا نزال ننتمي إلى عالم فيه ازدواجية الخير والشر. بالرغم من كلّ ضعفنا والشرّ في داخلنا، بالرغم من تجزئة وتشوه أخلاقنا وأخلاق هذا العالم. نحن لم نكتسب مزيداً من القيم الأخلاقية ولا مزيداً من الحكمة. نحن لا نزال ننتمي إلى عالم هو دائماً عرضة لعمل الشرّ وإلى تحطيم الذات. لكن الخير في هذه الدنيا هو في

داخلنا وكلّ إنسان فيه جزء من هذا الخير، هذا الخير يوحدنا مع كلّ شيء في هذا الوجود، يوحدنا مع الخير الأعظم، يهبنا الإحساس بنعمة الحب الإلهي.

إذا حدث لنا هذا الشيء وبمقياس معين فإننا نكون قد بلغنا الحدود، هي منزلة عالية من العالم الروحي الذي نحن ننتمي إليه والذي منه انفصلنا في وجودنا الطبيعي. النبي أراد لنا أن نتجاوز الذات الشخصية ونكتسب الذات الجديدة، أراد لنا أن نتغلّب على الذات القديمة مع أن الذات القديمة سوف لن تختفي.

هذه الذات الإلهية الجديدة للإنسان هي ليست ملكه الخاص ولكن يشاركه فيها كلّ إنسان وجميع المخلوقات لأنها ذات الكون وهي موجودة في كلّ مكان وزمان. هذه الذات الجديدة التي تتملكه لم تكن من خلق الإنسان إنما الإنسان خُلِقَ بواسطتها، هي وجدته كما سوف تجدنا. هذه الذات الخلاقة الجديدة لم تظهر لكي تفرض ديناً جديداً أو تشريعات جديدة أو تفرض نظاماً قسرياً على البشرية، لأننا سوف نرفضه ونكرهه إذا دعانا إلى الدخول في دين جديد أو عقيدة جديدة أو تبني أخلاق دينية معينة. سوف نرفض ادعاءه بأنه خنوع، متواضع وجاء ليريح الذات إذا أمرنا باتباع طريقة جديدة في أعمالنا وأفكارنا. النبي ليس خالقاً لدين جديد إنما هو قهر وانتصر على الدين. هو لم يصنع قوانين جديدة إنما هو قهر وانتصر على القوانين والتشريعات.

النبي لم يدع إلى الدخول في دين جديد ولكن بالأحرى هو

يدعونا إلى بناء ذات جديدة تكون شاهداً وليس شيئاً آخر. عندما تسمع نداء النبي، عندما تمتلك الذات الجديدة انس الديانات السماوية ومبادئها، انس يقينك وشكوكك، انس جميع أخلاقيات الدين، انس إنجازاتك وفشلك. ليس هناك أي شيء مطلوب منك لا معرفة بالإله ولا إنجازات خيرية ولا أن تكون متديناً، يهودياً، مسيحياً، أو مسلماً، لا أن تكون حكيماً ولا أن تكون ذا أخلاق عالية. ولكن المطلوب منك هو أن تكون منفتحاً ومتقبلاً لما أعطي لك، وهو الذات الجديدة المتميزة بالحب والعدالة الاجتماعية والتواضع والصدق والإخلاص والأمانة والحق، هذه الميزات هي صفات ملازمة وتظهر في كلّ عمل يقوم به وبكلّ كلمة ينطق بها. ليس هناك أي جدوى من تعليم الديانات السماوية إذا كانت الغاية هي الدين. أنت الذي ابتعدت عن الدين ولم تعترف بالإله، ليس الغاية من هذا الكتاب الذي بين يديك أن نجعل منك إنساناً متديناً، إنما نحن نفسر ظهور الأنبياء ليس لأنهم جاؤوا بدين جديد وإنما هم جاؤوا لإنهائه وإلغاء الديانات السائدة في عصورهم. هم أسمى من الدين ومن غير المتدينين، هم أسمى من اليهودية والمسيحية والإسلام. نحن نتبنى دعوة الأنبياء إلى بناء الذات الجديدة لأنها دعوة كلّ إنسان في جميع العصور لاستخراج تلك الذات المخفية داخل كياننا. لا تتساءل في هذه اللحظة ماذا علينا أن نعمل أو كيف نتصرف أو أي طريق تسلكه الذات الجديدة الراقدة في داخل كياننا. لا تتساءل لأنك لا تسأل كيف تخرج الثمار الطيبة من شجرة الخير؟ هي تأتي لوحدها تلقائياً، الأفعال تتبع الذات، وأفعال

جديدة، أفعال أحسن، أفعال أقوى تتبع الجديدة، ذات أحسن، ذات أقوى. نحن والعالم من حولنا يكون فيه الحب، العدالة الاجتماعية، المساواة والحق، إذا كان هناك كثير من ذوي الذات الجديدة. أفعالنا تكون أكثر خلاقة وتقهر مأساة عصرنا الحاضر، إذا كانت ناشئة من مستوى أكثر عمقاً من حياتنا اليومية. لأن عمق الخلق في الذات هو العمق الذي تكون فيه الذات ساكنة.

رفض الرسالة الجديدة:

هو يرشد الناس كإنسان صاحب سلطة يختلف عن أصحاب السلطة الشرعيين. هو يشوش أذهان العامة، هو ينشر مفاهيم خطرة. هو يقوض أسلوب الحياة والأفكار والمفاهيم الدارجة، هو يمزق الروابط الدينية، هو يحطّم التقاليد التي أجيال من الناس تستمد منها القوة والانضباط والأمل؟ فمن واجبنا أن نقاومه وإذا أمكن إزالته! لأجل الأمة يجب علينا الدفاع عن سلطة التشريعات الدينية التي كنا ولا نزال نمارسها منذ آلاف السنين ضدّ هذا الرجل الذي لا يمكنه الكشف عن مصدر سلطته. هو شخص ما نهض وتكلم وتصرف بسلطة ليس بإمكان الوسائل القانونية تقرير مصدرها. الشريعة الدينية رفضته باسم المؤسسات الدينية، والسلطات المعطاة لها. لكن إصرار المؤسسات الدينية على أحقية السلطة المعطاة لها بناءً على التقاليد والعادات والخبرات ليس بإمكانها قمع تلك السلطة التي اكتسبها صاحب الذات الجديدة؟ ما هو المقصود بالسلطة؟ ما هو معنى السلطة بالنسبة

للإنسان كإنسان؟ ما هو معنى السلطة بالنسبة إلى عصرنا الحاضر وما تعنيه إلى كلّ واحد منا؟ إنها تعني أن لنا عمراً محدوداً وبحاجة إلى سلطة. إنها تعني أننا معتمدين بالكامل على من يعطينا الحياة، المسكن، والإرشاد وسلامة العقل وراحة الضمير. ليس بإمكاننا أن نقرر لأنفسنا لمدة سنين طويلة، مما جعلنا معتمدين على سلطة وجعلنا منها ذات فائدة لنا. نحن تقبلنا تلك السلطة من دون مقاومة، حتى ولو أننا تمردنا في مناسبات خاصة. وهذه السلطة أصبحت الأساس لجميع السلطات الأخرى. إنها تقوي سلطة الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى أو الصديق الأكثر نضجاً أو الأستاذ، أو موظفي الدولة، أو علماء دين. ومن خلال هؤلاء نحن ندخل المنظمات الاجتماعية، نتعلم التقاليد والعادات والنظام في المجتمع، في الدولة وفي دور العبادة. السلطة تتخلل وترشد وتحدّد شكل حياتنا. قبول السلطة هو قبول من سوف يعطينا، قبول من له مقدرة أكثر منا.

وخضوعنا لهم وما يؤمنون به مكننا أن نعيش عبر العصور، تماماً كخضوعنا لقوانين الطبيعة الذي مكننا أن نعيش في هذا الكون. ومن سلطة القانون يستمد هؤلاء سلطتهم وتمثيلهم للقانون، ولهذا السبب نحن نسميهم «السلطات». من يشعر أنه ليس بحاجة إلى سلطة يخضع إليها هو يحاول تشبيه نفسه بالإله، لأن الإله هو لوحده. جميع التجمعات المدنية والدينية تتنافس فيما بينها من أجل السلطة. صاحب الذات الجديدة يتنافس مع المؤسسات الدينية الموجودة يحاول إزالتها من السلطة. ليس هناك واحدة من الفئات المتنافسة ترفض السلطة

ولكن كلّ واحدة ترفض سلطة الفئة المنافسة. لكن إذا انقسمت السلطة إلى شطرين فأي السلطات يقرر؟ انقسام السلطة هو نهاية السلطة؟ الانقسام في تفسير القرآن هو نهاية سلطة القرآن؟ الانشقاق في السلطة بين الأب والأم هو نهاية السلطة الأبوية؟ الانشقاق في سلطة ضمير الإنسان هو نهاية سلطة الضمير؟ إذا كان الإنسان له حرية الاختيار بين السلطات المختلفة، يصبح هو صاحب السلطة المطلقة على نفسه وهذا يعني أن ليس هناك سلطة عليه. من ناحية ثانية هذا خَلَقَ خياراً مروعاً في تأريخ البشرية. إذا لم تكن هناك سلطة، فعلينا أن نقرر بأنفسنا كلّ لوحده. إننا ككائنات لها عمر محدد يجب علينا أن نتصرف وكأن لنا عمراً غير محدد. وبما أن ذلك مستحيل فإننا سوف نكون غير آمنين قلقين ويائسين. أو ليس بمقدورنا أن نتحمل الوحدة المصاحبة لاتخاذ القرارات الشخصية. نحن نقمع حقيقة أن هناك انشقاقاً في السلطة. نحن نُخضع أنفسنا لسلطة محددة ونغلق أعيننا على جميع السلطات الأخرى. إن رغبة معظم الناس لعمل هذا الشيء معروفة لدى من هم في السلطة. هم يستغلون عدم رغبة الإنسان لقيادة ذاته وتفضيله أن يتبع لتأكيد قوتهم وزيادة نفوذهم وهذا حقيقة للسلطات السياسية والدينية. على هذه الأرضية من ضعف إرادة الإنسان بني نظام السلطات في الماضي وكذلك في وقتنا الحاضر. بأي سلطة أنتم تحكمون؟ يتساءل الإنسان صاحب الذات الجديدة. ويقول لهم: أنتم ترون ظهور سلطتي التي لا تعتمد على طقوس دينية، تقاليد أو أسساً قانونية وترفضونها باسم الله. إنكم تستعملون اسم الله وتسيئون استعماله. لأن سلطتي مكتسبة من قوتها الداخلية هي السلطة الإلهية وطبيعة هذه السلطة هي

مكتسبة من الله وليس من الإنسان، المكان الذي يعطي فيها الله السلطة للإنسان لا يمكن تحديده. ولا يمكن أن يُعرَف رسمياً، ولا يمكن وضعه في طوق من العقائد والطقوس الدينية.

إنه هنا وليس بإمكانك معرفة من أين أتى. ليس بإمكانك أن تستمد السلطة إنما هي سوف تمسك بك وما عليك إلاّ استعمال قوتها. نحن بإمكاننا أن نشير إلى الحقيقة فقط هذا ما يعمله صاحب الذات الجديدة وهذا ما يجب أن يعمله قادة الأديان. وكلّ إنسان متدين يجب أن يرفع إصبعه ويشير إلى الحق ونحن جميعاً نعمل الشيء نفسه، وبحماسة الحب ولكن لا نعمل ما تعمله المؤسسات الدينية. يجب عليهم أن لا يشيروا إلى أنفسهم بل إلى الحقيقة التي شوهوها مرة تلو الأخرى من خلال مؤسساتهم الدينية ويعتبرون أنفسهم ممثلي السلطة الإلهية على الأرض، لكن هذا الإله ليس الإله الروحي. في الحقيقة فإن إلهاً كهذا هو صورة إلهية لسلطتهم على الأرض، هم يستعملونه لتكريس سلطتهم. هذا الإله ليس الإله الذي يمثله صاحب الروح الخلاقة والذات الجديدة. إله الذات الجديدة هو الروح الموجودة فينا التي تُعطينا سلطة قيادة حياتنا اليومية. هو لا يحرمنا من الحماية التي يوفرها لنا من كان أعقل منا وأكثر قوة منا. هو لا يعزلنا عن الأمة التي ننتمي إليها والتي هي جزء من كياننا. ولكن هو يرفض بصورة قطعية كلّ السلطات التي اكتسبها هؤلاء الذين يدعون تمثيله على الأرض والذين شوهوا السلطة الإلهية وحوّلوها إلى نظام قمعي وجعلوا من الإله دكتاتوراً.

السلطة الأبوية على الأرض ليست هي الصورة المخصصة للسلطة الأبوية في السماء، ولكنها هي الأداة البدائية التي من خلالها نستمد المثال الروحي للنظام والسيطرة على النفس والحب. لهذا فإن الآباء والأمهات يجب أن يكونوا موضع احترامنا وتقديرنا ولكن هذا يجب أن لا يمنحهم سلطة غير مشروطة.

سلطة الحكمة والمعرفة على الأرض هي ليست السلطة المنصبة لصورة ممثلة لسلطة المعرفة الكونية، لكنها الأداة التي من خلالها نستمد المثال الروحي للتواضع والمعرفة والحكمة. لهذا فإن الإنسان الحكيم يجب أن يُحتَرَم. ولا يعني هذا قبول سلطتهم غير المشروطة. السلطة في المجتمع والدولة هي ليست سلطة منصبية لصورة ممثلة لقوة وعدالة الله في السماء ولكنها هي الأداة التي من خلالها نستمد المعنى الروحي للمشاركة التفهم، العدالة، الشجاعة. لهذا علينا قبول السلطات الاجتماعية كوكيل لنظام خارجي ولكن ليس هذا معناه أنهم يقررون معنى حياتنا.

سلطة المؤسسات الدينية على الأرض ليست هي السلطة المنصبة لصورة ممثلة لسلطة القانون الإلهي. لكنها الوسيلة التي بواسطتها يتم حماية المعنى الروحي لحياتنا. استمع أنت الذي تكافح ضدّ السلطات وأنت الذي تبحث عن السلطة. إن السلطة الحقيقية هي السلطة الإلهية، فكن منفتحاً للقوة الإلهية التي هي الأرضية لرفض كلّ شيء اسمه سلطة على الأرض وفي السماء.

التشريعات الدينية:

التشريعات الدينية نظمت حياة الإنسان لكي يتعايش مع أخيه الإنسان بسلام. كثير من مشاكل الناس تتعلق بتوزيع الثروة، إدارة الموارد الطبيعية، تنظيم حياة الأسرة، رعاية المريض والكبير بالسن والعاجز، التأقلم مع بعضنا الآخر وتقبل الاختلافات الفردية. النبي دائماً يُستشار بهذه الأمور والمشاكل اليومية. هو على علم ومعرفة ومهارة في حلّ تلك المشاكل. لكن النبي أصبح أكثر من مستشار في حل هذه القضايا. هو أصبح واعظاً ونذيراً. من منبره هو يخاطب الجنس البشري ، يصدر الإطراء واللوم، الكثير من اللوم، كالنار من فم التنين للناس الذين لا يأخذون بنصائحه. هم يسألونه كيف نتصرف في الموقف الفلاني؟ هو يقول لهم كذا وكذا، هم يوافقون بأن قراره صحيح. لكنهم يذهبون بعيداً ويعملون شيئاً معاكساً، لأنهم يجدون نصائحه صعبة التطبيق أو لأن رغبتهم في عمل شيء معاكس تكسبهم لذة أكثر.

هذا الشيء يحدث على الدوام، لذا فإن النبي يفقد أعصابه ويتكلم عن لسان الله ويبدأ بمناداتهم بأسماء سيئة: الكفار، الضالين، المغضوب عليهم. ولما هذا لم يأتِ بأي مفعول، نراه يلجأ إلى العنف كالرجم بالحجر للزاني، والزانية أو الضرب بالسوط، أو قطع الرأس بالسيف. بالنسبة لجموع المسلمين أو النصارى أو اليهود فإن هذا النبي هو نبيهم وكلّ ما يعمله هو صحيح، هو ينقل كلام وأحكام

الله. التشريعات الدينية نصت لكي يتم توزيع الألم واللذة بصورة عادلة بين الناس. وهذا يعني أن بعض الأفراد يجب أن يصيبهم قسط قليل من اللذة وقسط كبير من الألم. وكقاعدة عامة هؤلاء الأشخاص سوف يوافقون على هذه التضحية تحت ضغط التهديد بإنزال ألم أكبر بهم إذا لم يوافقوا. هذا مبني على افتراض أن كلّ شخص هو لنفسه وللجماعة ((كلنا راعٍ وكلنا مسؤول عن رعيته)) هذا إذا كان هو حقاً يؤمن بحقوق الجماعة. لكن النبي يعلم أن الإنسان هو أناني وأن نفسه أمارة بالسوء. الإنسان يعيش من أجل حافز واحد في الحياة: لأجل أن يحمي جسمه من الألم وأن يرتبط باللذة. لأنه هو يستطيع أن يستشعر بواسطة حواس جسمه فقط، فهو لا يشعر بما يشعر به الآخرون.

لذا فهو يهتم بمشاعر الآخرين فقط تحت حافز المكافأة أو العقاب، وهذا يؤدي إلى تضحية بالمصلحة الخاصة في سبيل مصلحة الجماعة. بصراحة فإن المشكلة ليست بهذه البساطة، من بين الأشياء التي تعطي الإنسان الشعور باللذة هي العلاقة مع إنسان آخر: محادثة، تناول الطعام سوية، الرقص، الغناء، علاقة جنسية، إنجاب الأطفال، التعاون في العمل، وأن أكثرها لذة هو أن تفقد الذات الشعور بالوجود، أن تكون الذات ممتصة كلياً في أشياء مثيرة: صوت، صورة، أماكن جميلة، وصحبة مسرة. وعلى العكس فإن أكثر الآلام هي أن تكون شاعراً بالذات وأن تشعر بعدم اندماجك وأنك معزول عن الجماعة والعالم المحيط بك. لكن ليس هناك حل لهذه المشكلة

ما دمنا ننظر إليها بمعيار حافز اللذة والألم أو بمنظور أي حافز آخر. الإنسان لديه مشكلة أخلاقية، بينما في مملكة الحيوان فليس هناك مشكلة أخلاقية لأن الحيوان له حافز فقط وليس لديه أخلاق أو ضمير. إذا كان الإنسان حقاً وبالضرورة يحث على عمل شيء ما وفق مبدأ اللذة أو الألم فليس هناك سبب لمناقشة كيف يتصرف. التصرفات والسلوكيات هي مقررة وموجودة سلفاً في كيان الإنسان. لتكن تصرفاته ما تكون وليس مهماً إن كانت مقبولة أو مرفوضة من قبل المجتمع. فلن يكون هناك تطبيق للتشريعات الدينية ما لم تتضمن **الحرية الشخصية للفرد**. وهذا هو الخطأ العظيم الذي ارتكبه الأنبياء وترتكبه الحكومات الدينية.

إذا أرادوا أن يغيروا طريقة الإنسان في العيش فيجب أن يفترضوا أولاً أنه حرّ، لأنه لو لم يكن الإنسان حرّاً فإن كلّ الوعود والتهديد بعذاب النار، الرجم بالحجر أو قطع رأس الزاني والزانية بالسيف سوف لن تغير شيئاً، **فالزنى باقٍ معنا منذ زمن الأنبياء**. الإنسان الذي يتصرف واضعاً أمام عينه عذاب جهنم أو مكافأة الجنة هو إنسان غير حرّ في تصرفاته. إذا كان الإنسان غير حرٍّ فإن تهديد النار أو وعد الجنة ربما يعدل سلوكنا لكن سوف لن يغيرها جوهرياً. إذا كان حرّاً فإن الثواب والعقاب سوف يمنعونه من استعمال حريته. معنى الحرية لا يمكن فهمه من قبل عامة الناس. إذا شعر الفرد بأنه مفصول عن أحاسيسه وعن العالم فإن الحرية بالنسبة له هي

إيران

إيران

الزنى باق معنا منذ زمن الأنبياء

السعودية

الزنى باق معنا منذ زمن الأنبياء

السعودية

مدى سيطرته على العالم هو أن يصبح دكتاتوراً. نحن اعتدنا أن نفكر، إذا كانت هناك أي حرية فسوف تكون مستقرة ليس في الطبيعة وإنما في جوهر إرادة الإنسان وقوة اختياره. وما نعني بالاختيار هو ليست الحرية. لأن الاختيار هو قرار وراءه حافز اللذة أو الألم، والشخص العادي صاحب الذات المتجزئة يكون مندفعاً لإشباع الـ«أنا» باللذة ويبعد الـ«أنا» عن الألم. أحسن لذة يمكن أن يكسبها الإنسان هي تلك اللذة التلقائية التي لم يخطط لها أحد. وأسوأ ألم هو توقع الألم قبل حدوثه والعمل على الابتعاد عنه. لا يمكنك أن تخطط للسعادة. ولا يمكنك أن تكون سعيداً وحرّاً عندما تخطط لعمل شيء مستحيل وبدون معنى. أنا حرّ، حركة الكون هي حرة لعمل أي شيء طبيعي وغير متناقض. إننا وبصورة حتمية نعمل ما يكسبنا أعظم لذة وأقل ألم. اللذة هي رغبتنا لذلك أي شيء ترغب به هو اللذة. إنك تعيش في لحظة واحدة في المكان والزمان المعين وإنك لا يمكن أن تفكر في الوقت نفسه هل تتمتع أنت بتلك اللحظة أم لا!!

صاحب الذات المتوحدة هو بالتأكيد لديه شعور بالحرية والسعادة عندما يتوحد مع الله، وبالتأكيد عندما يكون مع مجتمعه هو يجلب لهم طريقة حياة مفعمة بالحرية، الأُخوّة، التعاون، الإخلاص، والشفقة. لكن المجتمع الذي يتعامل معه النبي هو مجتمع مبني على الغش، والتسلط، والجشع، وإشباع الغرائز إلى حدّ الضرر بالجسم والعقل. هذا الجشع سببه أن الإنسان يريد أن يعطي الذات الـ«أنا» الشعور بالأمان بأن لديها كلّ شيء.

النبي يشير إلى تلك الممارسات السيئة ويعدهم بالجنة لذا عوّدوا أنفسهم على حياة الزهد. النبي يمكن أن يخيف أتباعه من عمل الشرّ أو يحثّهم على عمل الخير. في الحالة الأولى هو يجعل الإنسان يفرّ من ذاته وفي الحالة الثانية يجعله يتمسك بها هو يمكن أن يرسم صورة براقة لعاملي الخير ويحثّهم على اتباع طريق الصالحين. هو يمكن أن ينجح في إثارة أعمال نشطة ومخلصة لتقليد الصحابة، القديسين وكبح الأهواء، الطائشة وممارسة الزهد والعطاء والشفقة والرحمة. لكن كلّ هذا لا يعطي أي إنسان الحرية، لأنه خلف كلّ هذا التقليد والتنظيم هناك حافز إذا كنت أنا خائفاً فإن أي جهد أبذله لكي أبدو شجاعاً وراءه الشعور بالخوف، لأني أخاف الخوف، وبكلّ بساطة يمكن القول أن جهدي للهرب من ذاتي يدور في دائرة مغلقة. بالإضافة إلى محاولة تقليد الأبطال والقديسين في أعمالي فإني أشعر بالخجل لأني انتهيت في لا شيء، لذا فإني أبدأ بممارسة التواضع بسبب الجرح الذي أصاب كبريائي، وممارسة الصدقة والإحسان بسبب حبي لنفسي.

الدافع الباقي دائماً هو حماية الذات. أنا يجب أن أكون صحيحاً، جيداً، إنساناً، حقيقياً، بطلاً، محباً، ويعفو ويغفر لذاته. أنا أغفر لذاتي لكي أؤكد ذاتي، أعطي ذاتي طريقة جديدة لكي أحتفظ بذاتي.

كلّ هذا في تناقض. ما دام هناك دافع لأكون شيئاً ما ما دام الدماغ يفكر في إمكانية الهرب من اللحظة الحاضرة فليس هناك حرية. عمل الفضيلة سوف يتبع وللسبب نفسه عمل الرذيلة، والخير والشرّ سوف

يتبادلان المكان كقطبين متضادين لدائرة واحدة. النبي أو القديس الذي يبدو قد تغلب على حبّ الذات والغرور بزهده ونقائه الروحي هو إنما أخفى ذلك. نجاحه الظاهر أقنع الآخرين من أتباعه أنه قد وجد طريق الحق، وهم اتبعوا سبيله لمدة كافية مما أشعره بأهمية ذاته وتفوقه على الآخرين الذين جعلوا منه صنماً يُعبد، وهذا ما لا يريده النبي لنفسه. قال الله لإبراهيم عليه السلام: ((سوف أجعل منك ومن أبنائك أنبياء)) قال إبراهيم لربه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ في تفسير الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال إبراهيم لربه: ((لا تحرمني من العلاقة الحميمة بيني وبينك ولا تجعل مني ومن أبنائي أصناماً)). إن إبراهيم عليه السلام هو يأسف أن يعتبر النبي كالصنم يُعبد ـ هو يأسف أن يقول: إن النبوّة سوف تجعل منه إنساناً مغروراً ومتكبِّراً تبعده عن الصلة المباشرة الحميمة بالله ـ إبراهيم عليه السلام عَلِمَ بأن النبوّة سوف ترفع ذاته الخاصة وتبعده عن التوحد مع الله.

الفصل السادس
الذات المتبصرة

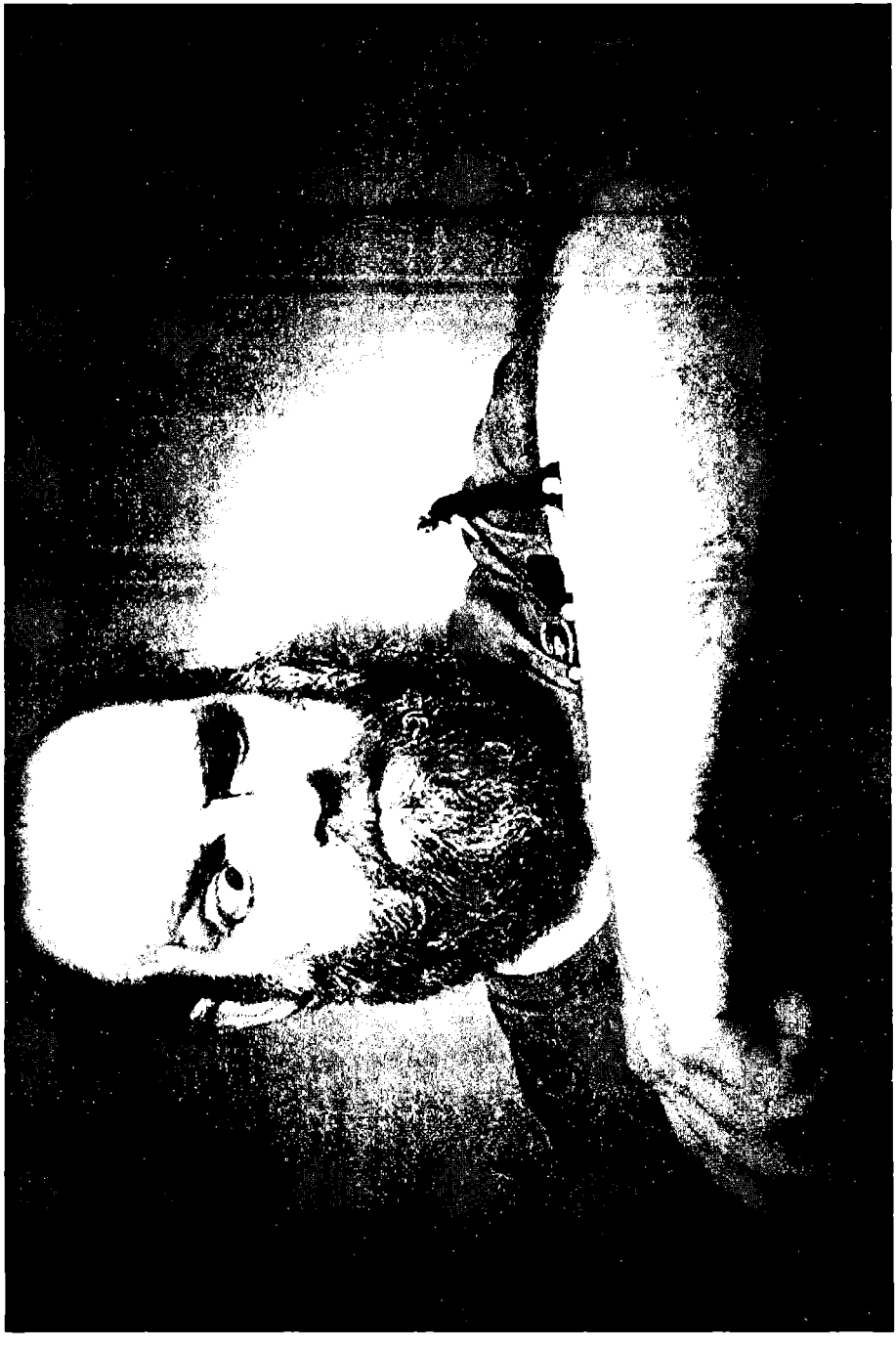

اول لمبة ضوء

تومس اديسون مخترع الكهرباء

أول سيارة ـ هنري فورد مخترع السيارة

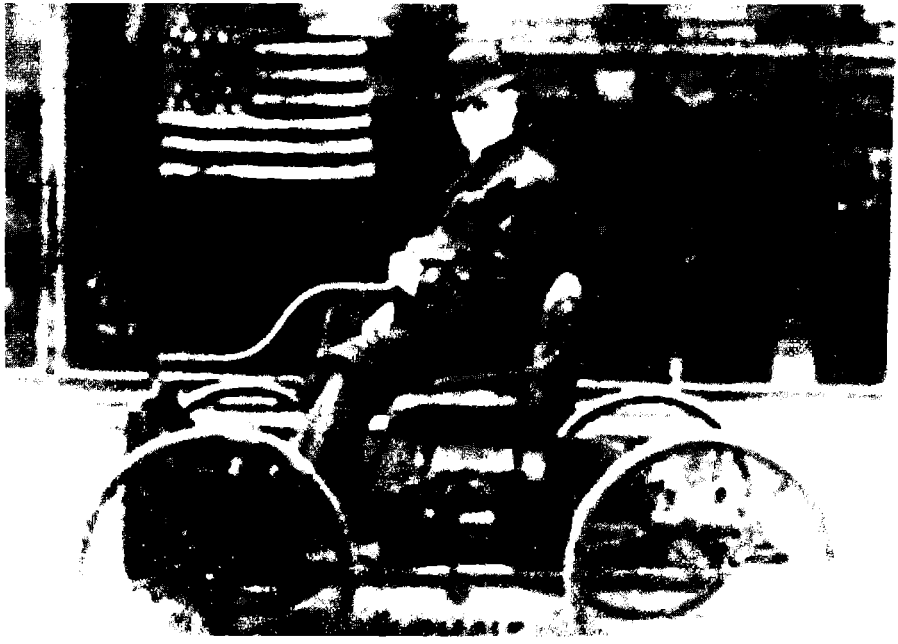

هنري فورد مخترع السيارة

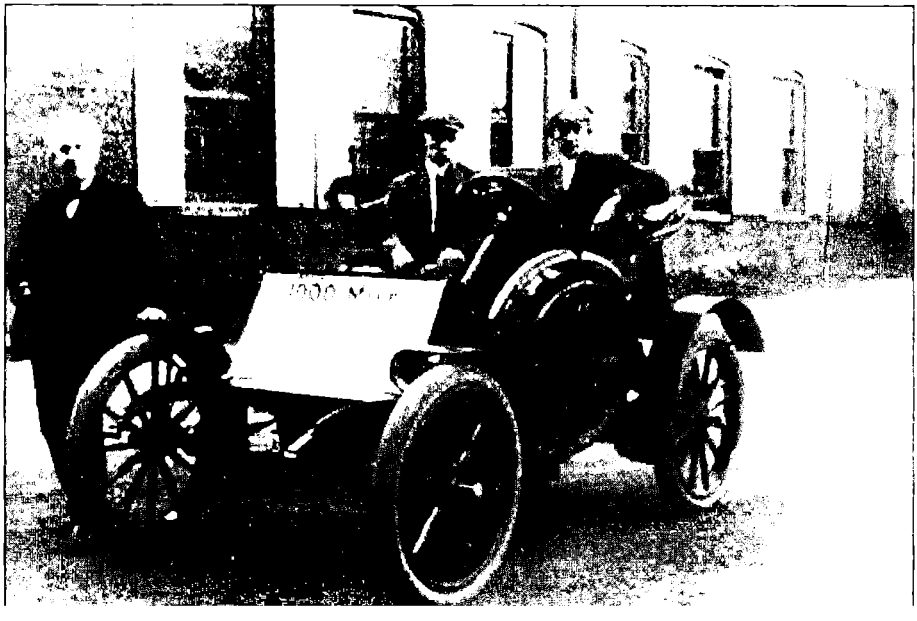

بل كيت ـ كان لديه تصور للكمبيوتر الشخصي (pc)

ألكسندر كرام بل مخترع التليفون

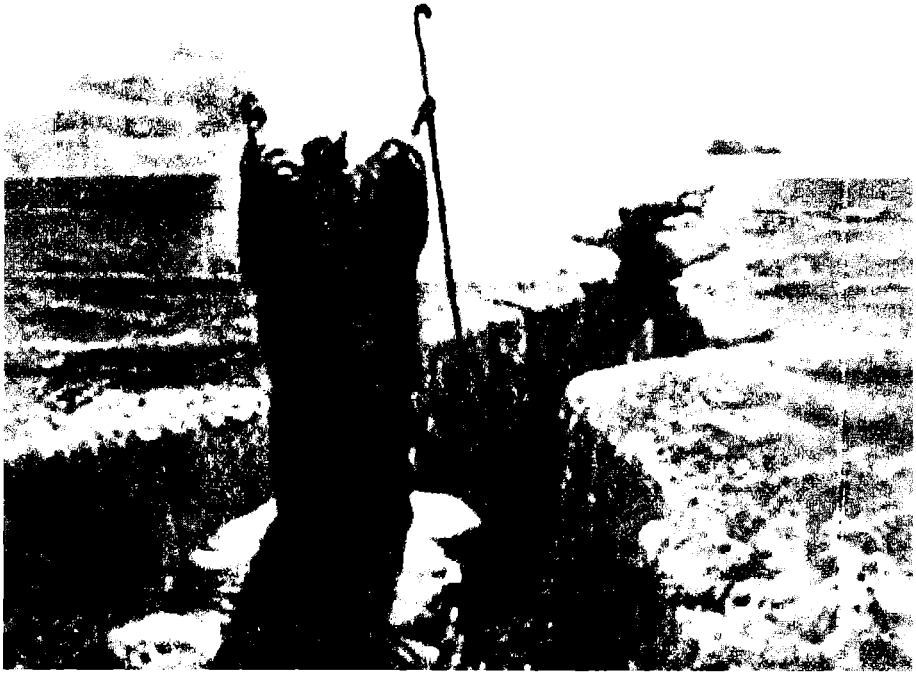

إله الرؤيا «إله المعجزات»:

نحن بحاجة إلى مثل هذا الإله لتفسير حدوث المعجزات جنباً إلى جنبٍ مع حقائق الأحداث اليومية. إذا رأيت نفسك قادراً على عمل المعجزات فإن إلهك هو إله الرؤيا. أي إله يعمل المعجزات منشؤه في استجابة الدماغ للرؤيا. انظر إلى السماء يتملكك إحساس أن الفضاء غير متناهٍ.

حياتك متكاملة بعمل الخير، الشفقة، خدمة الناس، وقلبك ممتلئ بالحب لجميع مخلوقات الكون. المعجزات تتضمن: شفاء المرضى، تحول في الهيئة من جسم إلى روح ومن روح إلى جسم، رؤية الوحي أو الإله، القيام بأعمال ذات صفات غير طبيعية وغير مقبولة عقلياً كالمشي على الماء، شفاء أمراض مستعصية من خلال اللمس، استلام الرسالة الإلهية من الله مباشرة أو عن طريق الوحي. أنت تختار الحب إذا أردت أن تشفي الآخرين وتشقي نفسك. إله المعجزات مدفون عميقاً داخل أدمغتنا، هناك من ينصرف إلى حياة

الزهد والتأمل والصلاة لسنين طويلة ولم يجد أي أثر لهذا الإله. العالم المادي هو حياة مستمرة في التغيير هو معجزة الله الذي بدأها ثم ذاب في نسيجها لتعمل لوحدها. في هذه المرحلة من تطور الذات أن نصفي الدماغ، الأيمن والأيسر في توازن كامل، والدماغ في حالة عالية جداً من الوعي. الذات المتبصرة هي على مستوى مختلف من الوعي بحيث نمط الطاقة يتحول من حالة إلى حالة مع كلّ فكرة، هذا التحول من أفكار إلى أشياء مادية ملموسة يحدث تغييراً في العالم الخارجي. هو يفكّر في شيء أو يتصوره ثم هذا الشيء يتبلور إلى شكل مادي. ليس هناك حاجة بعد الآن للبحث عن الإله، هو ملموس وبنشوة. إذا شعرت بالسعادة فلا حاجة للتعبير عنها بكلمات، السعادة هي السعادة ولا تحتاج إلى كلمات للتعبير عنها، ولا تحتاج لأن تفكر بها. لكن في اللحظة التي تقول فيها أنا سعيد، هذه البراءة، اللحظة الحاضرة، فُقِدَت. أنت خَلَقتَ فجوة مهما تكن صغيرة بينك وبين إحساسك. لا تعتقد عندما تصلي إلى الله وتتكلم معه في صلاتك بأنك قريب منه، لأن كلماتك تخلق الفجوة التي عليك أن تتجاوزها لكي تعود إلى الله وليس بإمكانك أن تتجاوز تلك الفجوة بالتفكير أو بالحواس. العلاقة بالله هي علاقة خاصة لا يمكن لأي شيء أن يفصل المرء عن ربه. أعجوبة إنجاز المعجزات تجلب السعادة إلى القلب، ولعلمك أن الله هو في داخلك فإن هذا هو أعظم السرور لكن مع هذا فإنه ليس أعظم السرور.

سرّ المعجزات:

واحدة من أكثر الحقائق التي يمكن تذكرها من القصص في الكتب السماوية هو المعجزات التي قام بها الأنبياء في شفاء المرضى. هناك ثلاثة أنواع من الشفاء: هناك أشخاص مرضى جسدياً «عميان تفتحت عيونهم، عرجان استقاموا ومشوا»، هناك أشخاص مرضى جسدياً بسبب شعورهم بالذنب، غَفَرَ الله لهم وتم شفاؤهم. وهناك أشخاص مرضى عقلياً بسبب إدمانهم على فعل ما يشبع شهواتهم ويرضي أجسادهم تم شفاؤهم. إنه لشيء مؤسف أن معظم علماء الدين والخطباء في دور العبادة يؤكدون على جانب المعجزة في تلك القصص، غالباً ما يصورون المعجزة بفكرة خرافية ضعيفة بدلاً من إظهار المعنى العميق الذي تخفيه حالة المرض هذه ومعنى الشفاء، شفاء الذات في إعادة اتحاد العقل مع الجسم. تلك هي قصص إنقاذ تم إنجازها من قبل الأنبياء والقديسين. وواضح فيها أن الإنقاذ هو الشفاء. إذا أَظهَرت دور العبادة أكثر فهم لهذا الجزء من الرسالة في معجزات الأنبياء لما حصل ذلك الانشقاق الذي يؤسف عليه بين الطب والدين. في الطب والدين هناك قوة واحدة للإنقاذ تعمل. إذا نظرنا إلى معجزات معالجة الأمراض العقلية في الطب اليوم، يمكن القول هنا: أن الجدار بين الحياة الأبدية وحياة الدنيا قد تم اختراقه في نقطة واحدة، وأن التحرر من قوى الشرّ قد تم في بُعدٍ واحدٍ من حياتنا، الطبيب أو طبيب الأمراض العقلية أصبح المنقذ لشخصٍ ما. هو ينجز المعجزات كما أنجزها الأنبياء والقديسون في عصرنا القديم. الطبيب

أصبح الأداة، وقوة الشفاء المعطاة إلى الطبيعة وللإنسان بالحضور الإلهي في ذلك الزمان والمكان. شفاء العقل والجسم لا يتم من دون الرغبة في الامتناع عن عمل الشرّ «التوبة». ومن دون رغبة الإنسان في الشفاء ليس هناك شفاء. الجدار الذي يفصلنا عن الحياة الأبدية يتم اختراقه فقط عندما نرغب في أن نعيش وفق معيار الحياة الأبدية وأن يكون لنا ثقة في من يحمل قوة الشفاء. ونكون منفتحين للتحرر من قوى الشرّ. قوة الشفاء هذه لا تعمل إلا عند من فتح نفسه للرغبة في شفاء العقل والجسم. كلّ اكتشاف في مجال التكنولوجيا يرفع الإنسان فوق مستواه الحيواني ويحرّره من كثير من الأعمال الشاقة ويقهر حدوده الضيقة في الحركة في الزمان والمكان، ينقذه من أضرار صغيرة وكبيرة يتعرض لها كجزء من حياته اليومية، على سبيل المثال الآلام غير الضرورية في العمل والموت غير الضروري. هذه الاختراعات في التكنولوجيا لها قوة إنقاذ ولها قوة تدمير إذا سقطت في أيدٍ شريرة. فبإمكانها أن تنتهي الحياة على الأرض وأن تنهي تأريخنا البشري. وإذا استعملها قائد سياسي حكيم فهو يكون المنقذ لشعبه يحرّره من البؤس والعبودية وينهي الحروب ويسود السلام، وينشر العدالة الاجتماعية، المساواة العرقية، وسياسة حكيمة. لأجل أن تكون حاملاً لقوة الإنقاذ، يجب أن تنقذ ذاتك أولاً؛ الجدار الذي يفصل الذات عن الضمير يجب أن يزول. هناك شيء واحد يعزز ويقوي هذا الجدار ويبقينا مرضى ومستعبدين. إن الشعور بالذنب والانفصال هما العائق الذي يقف في طريقنا للوصول إلى الحياة الأبدية هنا «الآن».

محاكمة الضمير للذات هو مرض خبيث حتى الموت، هو يأس الحياة التي يجب أن نشفى منه لكي نقول نعم للحياة. حياة شافية هي حياة جديدة أُنقِذَت من الارتباط بالحياة الشريرة. ربي اغفر لمن اعتدى علينا وأنقذنا من عامل الشرّ. نحن نرى القوة التي تشفينا في قبول المنقذ لنا. قوته حرّرتنا باستعراضه الذات الجديدة التي يتمثل فيها والتي فيها تم الصلح بين الضمير والذات، بين الذات والعالم، بين الذات والأرضية الإلهية لهذا الكون وأنفسنا. من الذي يجب إنقاذه، تحريره وشفاؤه؟ العالم!.

إعادة التوحد مع الأبدي الذي هو أصل وجودنا، والذي منه انفصلنا وإليه يجب أن نعود والذي هو موعود لكلّ ما في الوجود. نحن لم نُنقَذ كأفراد، ولكن في التوحد مع الجميع ومع الكون. تحررنا سوف لن يترك الفرد المستعبد لوحده، شفاؤنا هو جزءٌ من الشفاء الأعظم لهذا الكون. في التوحد مع جميع الجنس البشري وفي التوحد مع جميع الكون هو الجواب الإلهي. هو يقول: «سوف أعيد إليَّ ما انفصل عني لأنه ملكي». إنه مصيرنا ومصير كلّ شيء في عالمنا أن يأتي إلى نهاية. كبشر نحن على علم بالأبدي الذي جئنا منه وانفصلنا عنه بسبب ارتباطنا بالزمن.

الفصل السابع
الذات الإلهية

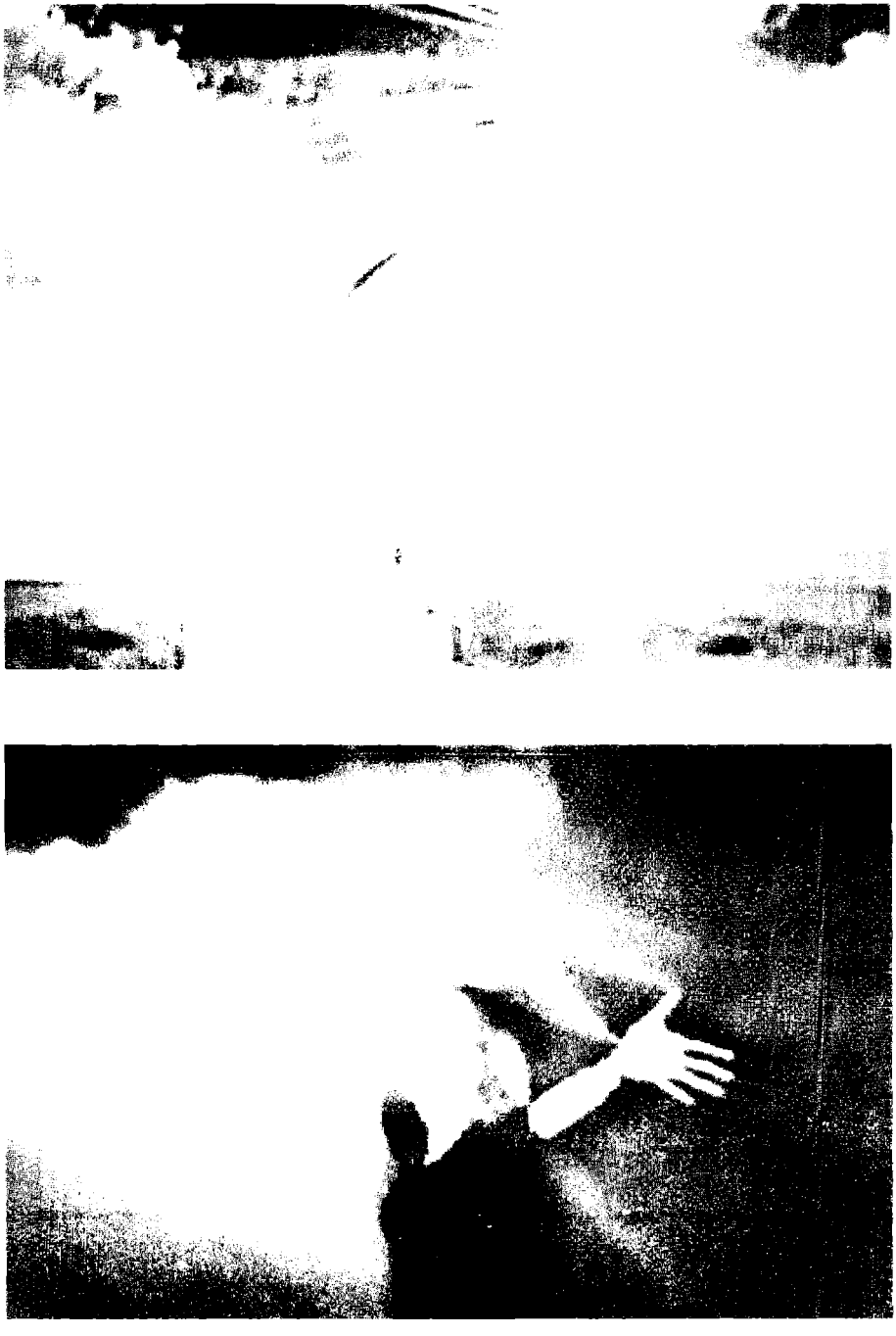

الحب
الله

جاء قديس إلى باب الجنة يطرقها، فرد عليه صوت من داخل الجنة: «من الطارق؟» أجاب القديس: «أنا القديس فلان» فرد عليه الصوت: «في هذا البيت ليس هناك مكان لك ولي». عاد القديس من حيث أتى وبقي عدة سنين يتأمل، يصلي ويفكر في هذا الجواب. عاد للمرة الثانية يطرق الباب، الصوت سأل السؤال نفسه، القديس أجاب: «أنا القديس فلان». الباب ظل مغلقاً. بعد عدة سنين عاد القديس للمرة الثالثة يطرق باب الجنة. الصوت من الداخل سأل: «من الطارق؟» أجاب القديس باكياً: «أنت» ففتحت الباب.

الذات الإلهية:

هناك إله هو وجود خالص، هو لا يفكر فقط هو. أنت تمارس حياتك متمثلاً الحق في جميع أعمالك وأقوالك، مثالها مثال حياة الأنبياء: بوذا، موسى، عيسى ومحمد عليهم السلام.

الخيار هنا إذا أردت أن تقدر حدود من لا حدود له في الخلق فإنك تتخلى عن الذات، تدع ذاتك تموت لتولد من ذات الله. الذات

الإلهية لا تعرف حدوداً لهذا العالم والمرء هو ذرة من الوعي تطوف في محيط واسع، مندمج مع كلّ شيء: الأرض، السماء، جميع البشر والمخلوقات حوله. هو يشعر بالانتعاش والحرية المطلقة. على الفرد أن يتخلى عن عالم الذات الشخصية وعن عالمه المادي لأجل بلوغ الذات الإلهية. هذه المرحلة الروحية تأخذك إلى المكان الذي بدأت به عندما كنت روحاً خالصة، نقطة مجردة من الوعي، عارياً من دون أي صفات تلبسها. هذا المصدر هو الذات الإلهية، أنت. في تلك الحالة من عدم الارتباط ليس هناك شيء يمكن الإمساك به كصفة، لقب، مهنة، شرف، مجد، مال، أولاد، أملاك. إنك لا تفكر بالزمان أو المكان، إله ذو وجود نقي لم يلد ولم يولد. الفرد دائماً يريد المزيد من المال، القوة، الشهرة، الجنس، المتعة، اللذة، لكنه دائماً ينتهي في لا شيء. في حالة بلوغك مرحلة الذات الإلهية فإنك سوف تتفهم هذا ولن تركض مقطوع الأنفاس وراء ملذات الحياة الدنيا. الآن أنت مصدر الوجود، ذات نقية. جميع الرغبات مصحوبة بالألم واللذة. اعتزالك الحياة الدنيا ربما ينظر إليك وكأنك إنسان شاذ، لكن اعتزالك هذا يمكن أن تحتفظ به كسرّ عن بقية الناس. الدوافع سوف تضمحل لأن ليس هناك شيء نبغي بلوغه في عالم الأحلام. الفقير متساوٍ مع من يملك الملايين. الروابط العاطفية تضمحل أيضاً لأن ليس هناك ذات شخصية حقيقية، كلها متلبسة بلباس كاذب وتطارد أشباحاً. ماذا سوف تستلم بالمقابل؟ فقط الحقيقة، نقية ودائمة الوجود.

هناك حقيقتان اثنتان:

الأولى: حقيقة الأفعال والرغبات هي حقيقة حياتنا المادية اليومية تجبرنا على المضي في دائرة مفرغة، مرة تلو الأخرى، كرّ وفرّ، عمل وشقاء، كسب وخسارة.

الثانية: هي تدعي أنها أبدية ليس فيها أفعال، هي فقط هذه الحقيقة يمكن تفسيرها بشخص جالس لوحده منفصل ذهنياً عن العالم الذي حوله، يُسَبّح باسم الله.

أناس قليلون يتبعون هذه الحقيقة، والذين يتبعونها بصورة عامة هم أناس يعتزلون العالم المادي ويعيشون حياة الزهد. العالم المادي هو نتاج ما أتحسسه، كذلك الجنة هي نتاج ما أتحسسه. حاول أن تعرف العقل الكوني: رحلة تبدأ في غموض وسكون وتنتهي بذاتك أنت.

هو اللّه أحد:

بسم الله الرحمن الرحيم، نستعين بالله، سبحان الله الواحد الذي لا يوجد قبله ما لم يكن هذا القبله «هو» ولا بعده ما لم يكن هذا البعده «هو». هو لا بعده ولا قبله، لا تحته ولا فوقه لا في مكان ولا زمان لا يوجد وقت ولا لحظات. هو الواحد من دون توحد والمفرد من دون تفرد. ليس له اسم ولا مسمى لأن اسمه «هو» والمسميه «هو». لذا فليس هناك اسم فقط «هو». «هو» الاسم والمسمى هو الأول من دون أولوية، والآخر من دون آخرة. هو الخارج من دون خارجي، والداخل من دون داخلي. هو وجود الأول ووجود الآخر، وجود الخارج

ووجود الداخل. لذا فليس هناك أول ولا آخر ولا خارج ولا داخل عدا «هو» من دون أن تكون هذه الأشياء هو ولا أن يكون هو هذه الأشياء. هو ليس في الأشياء ولا الأشياء هو. إنه من الضروري أن تعرفه بهذه الطريقة ليس بالمعرفة أو الفكر، ليس بالتفهم، ليس بالتصور، ليس بالإحساس، ليس بالعين الخارجية ولا بالعين الدماغية، ليس بالإدراك. بهذه الأشياء لا يمكنك رؤيته أو إدراكه. بنفسه هو يرى نفسه، بنفسه هو يعرف نفسه. لا أحد يدركه فقط «هو». لا يمكن وصفه. لا أحد يراه فقط «هو» ـ لا نبي مرسل، لا قديس كامل. النبي المرسل «هو» والذي أرسله «هو» وكلماته «هو». هو أرسل نفسه مع نفسه إلى نفسه. ليس هناك وسط ولا وسيلة غيره «هو». ليس هناك فرق بين المرسِل «الله» والرسالة «كتاب الله» والرسول «النبي» والشخص الذي أرسلت إليه الرسالة (عامة الناس). الوجود الكلي للرسالة النبوية هي الوجود الإلهي. ليس هناك أناس آخرون ولا وجود لأناسٍ آخرين غيره «هو»، وليس هناك نهاية لهذا الوجود.

قال النبي محمد ﷺ: «من عرف ذاته عرف ربه» وقال أيضاً: «أنا أعرف ربي من خلال ربي». إنك لست أنت ولكنك الله وليس هناك ذات مستقلة بك. وهذا لا يعني أن الله دخل فيك أو أنك توحدت مع الله. أو أنت خرجت من الله أو أن الله خرج منك. وهذا يعني ليس للإنسان أو لجميع ما في الكون من مخلوقات كيان مستقل، وهذه المخلوقات ليست متحدة مع الله ولا في الله، ليس للإنسان أو الكون وجود حالي وليس هناك نهاية لهذا الوجود. كلّ شيء «هو» من دون

أي من هذه الصفات. إذا عرفت وجود الله بهذه الطريقة فإنك تعرف الله، وإلاّ فإنك لا تعرفه. إذا عرفت نفسك من دون وجود أو توقف عن الوجود فإنك تعرف الله، وإلاّ فإنك لا تعرف الله. معظم الذين يعرفون الله يتركون الذات تذوب في التجربة أي أن العقل يتحد مع الجسم أي أن العقل يدرك الإحساس فقط ولا شيء آخر في هذا الكون «الفناء». ومن ثم يتم فقدان الشعور بالإحساس، أي أن الذات والتجربة تذوب في الله «فناء الفناء». وهذا خطأ وسهو واضح. لأن معرفة الله لا تفترض مسبقاً ذوبان الذات في التجربة وإلاّ فإنك لا تعرف الله. إذا عرفت الله من خلال وحدة الذات وذلك في اتحاد العقل بالجسم أو إذا عرفت الله من خلال توحد الذات مع الله وذلك بعد فقدان الإدراك بالتجربة الآن هو خلود من دون بداية، **والآن** هو خلود من دون نهاية، **والآن** هو الله هو الأبدية. من دون بداية. أبدية من دون نهاية وخالد. كيف الطريق لمعرفة الذات ومعرفة الله؟ هو إدراك أن الله «هو» وليس معه أحد. هو الآن كما كان دائماً. هناك من يقول: إن ذاتي وذات جميع الأشياء تختلف عن ذات الله، وأنا لا أرى ذات الله هي ذاتي وذات جميع الأشياء.

إن ما هو معني هنا بالذات هو جوهرك الحقيقي وليست الذات التوابة أو الذات المنفصلة أو الذات المتوحدة. سأل النبي محمدﷺ ربّه قائلاً: «ربي أرني حقيقة الأشياء». وما كان يعنيه هو كلّ شيء غير الله. أي ما قاله هو عرفني بالأشياء التي هي غير الله لكي أتمكن من معرفة الأشياء التي هي غير الله. هل هي أنت أم غيرك؟. هل هي أبدية

البقاء أم هي أحداث جديدة ومؤقتة؟. الله جعل محمداً ﷺ يعلم أن الأشياء التي هي غير الله، هي الله أيضاً وهي لا وجود لها. لذا فهو رأى الأشياء كلها كجوهر إلهي. علمه أشياء تنطبق على الذات وأشياء أخرى لأن وجود الذات ووجود أشياء أخرى هو واحد. عندما تعرف الأشياء فإنك تعرف ذاتك، وعندما تعرف ذاتك فإنك تعرف الله. لأنك ما تفتكره هو غير الله هو ليس غير الله لكنك لا تعرفها. إنك تراه لكنك لا تعلم أنك تراه. عندما يعلن هذا السرّ لك فإنك تعلم أنك لست غير الله لكنك موضوع البحث والتقصي. لا يجب عليك نكران الذات. لا يجب عليك أن تتوقف عن الوجود، وأن بقاءك دائم. الشخص الذي يموت جسدياً هو محروم من كلّ صفاته إن كانت تستحق المديح أو اللوم، أما الشخص الذي يدع الذات تموت وهو حيّ تكون صفاته إن كانت تستحق المديح أو اللوم تضمحل وتحل محلها صفات الله في جميع حالاتها. قال النبي محمد ﷺ: «دع الذات تموت قبل أن يموت الجسد» وهذا معناه أن تعرف ذاتك قبل أن يموت الجسد. من عرف ذاته هو يرى كيانه مماثلاً لكيان الله من دون تغيير في جوهره أو صفاته. ليس هناك حاجة لأي تغيير لأن وجود هذا الشخص ليس جوهر وجوده لكن بكلّ بساطة هو جاهل لمعرفة ذاته. عندما تعرف ذاتك فإن غرورك سوف يتلاشى وسوف تعرف أنك لا شيء غير الله. سوف تعرف أنك إله بجانب الله، ولكن ليس هناك إله بجانب الله. إنه مبارك ومجيد. فائدة معرفة الذات هو أن تعرف بالتأكيد أنك وجود ولا وجود، أنك لم تكن ولن تكون بهذه الطريقة

فإن معنى لا إله إلاّ الله يصبح واضحاً. ليس هناك إله غير الله، هو لم يتبع أي شيء فقط «هو»، ليس هناك شيء فقط «هو» ليس هناك إله فقط «هو». في الحقيقة ما هو غير الله ليس له وجود. وجود المخلوقات وعدم وجودها هو شيء واحد. إذا لم تكن كذلك فإنها سوف تحتاج إلى منشأ آخر هو ليس من الله. وهذا يتضمن عدم الكمال لكن وحدته هي خالدة، عندما تعرف ذاتك بهذه الطريقة من دون صفات مخالفة، متساوية أو منسوبة إلى الله، إذاً فإنك تعرف ذاتك. لهذا قال النبي محمدﷺ: «من عرف ذاته عرف ربه» ولم يقل: «من تخلى عن الذات عرف ربه» لأنه يعلم ورأى أن ليس هناك شيء فقط الله. لذا فهو أشار أن معرفة الذات هي معرفة الله. وبكلمة أخرى اعرف ذاتك أو اعرف كيانك، لأنك لست أنت ولكنك لا تعرف هذا. اعرف أن كيانك هو ليس كيانك وليس كيان شيء آخر. وليس لديك وجود أو عدم وجود، وجودك وعدم وجودك هو الوجود الإلهي، من دون وجود وعدم وجود هو الوجود الإلهي. والوجود الإلهي هو وجودك وعدم وجودك. فإذا رأيت أشياء من دون أن ترى أشياء أخرى مع الله في الله ولكن ترى الأشياء وهي الله إذاً فإنك تعرف ذاتك، وهذه المعرفة للذات هي معرفة الله من دون أي شكّ ومن دون خلط الأشياء الأبدية بالمؤقتة إن كانت في الله أو خلال الله. إذا سألك أحد: «كيف الطريق للتوحد عندما قلت: ليس هناك أي شيء يتوحد مع الله، ولا أحد يتوحد مع ذاته؟». الجواب: في الحقيقة ليس هناك توحد أو انفصال، قرب أو بعد، لأن التوحد هو ممكن بين شيئين،

وإذا كان هناك شيء واحد فقط لذا فليس بالإمكان توحد أو انفصال. التوحد يتطلب شيئين: إما أن تكون متشابهة، ففي هذه الحالة هما متساويان. أو غير متشابهين وفي هذه الحالة هما متضادان. لكن الله هو مجيد وفوق أن يكون له مشابه أو مخالف. أنت دائماً الله، من دون أن يكون لك ذات مستقلة. عندما تعرف ذاتك في طريقة خالية من الشروط فإنك تعرف أنك الله، وأنت لا تعلم قبل هذا إن كنت الله أو كياناً آخر. عندما تنزل المعرفة عليك فإنك تعلم أنها من خلال الله وأنها ليست من خلال ذاتك ، ومن لم يفهم هذا فهو لم يشم هواء الحرية بعيداً عن الشرك. أنت تعتقد أن لك ذاتاً مستقلة لكن ليس لك ذات، ولم يكن لك ذات مستقلة. لأنه لو كان لك ذات مستقلة فإنك سوف تكون إلهاً ثانياً بالإضافة إلى الله. توقف عن ما تفكر به لأنه ليس بينك وبين الله أي اختلاف في الكيان أو انفصال. أنت لا تختلف عن الله، والله لا يختلف عنك. تخل عن التفكير التحليلي وافهم بالمعرفة التلقائية. لا تحط من ذاتك بأن تشرك بالله، لأن الإشراك في الله هو انحطاط. إذا سألك أحد وقال: «أنت أشرت إلى أن معرفة ذاتك هي معرفة الله لكن الشخص الذي يعرف ذاته هو كائن غير الله. فكيف يكون لكائن غير الله أن يعرف الله وأن يكون واحداً مع الله؟» الجواب هو: إن من يعرف ذاته هو يعلم أن كيانه هو ليس كيانه، وهو ليس إلاّ كيان الله، من دون أن يتوحد مع الله أو يخرج من الله. هو يرى كيانه كما كان قبل أن تكون كياناً في هذا الكون، من دون الحاجة إلى فقدان الذات في التجربة الحسية أو فقدان الذات والتجربة الحسية في الله. إنه

واضح أن معرفة الشخص لذاته هي نفس معرفة الله لذاته. لأن الذات هي ذات الإله الواحدة. الذات الإلهية هي نفس ذات الشخص الذي ارتفع روحياً إلى مستوى الإله. كلام هذا الشخص يصبح كلام الله، أفعال هذا الشخص هي أفعال الله، ومعرفته لله هي معرفة الله لذاته من خلال ذاته. الإنسان المؤمن هو مرآة تعكس صورة الله. هو عين الله وآذانه ويده وأفعاله. الله هو ليس ما تراه أنت بل هو الله يرى ذاته من خلال عيونه. الناظر والمنظور، الواجد وما وجد، العارف والمعروف، الخالق والمخلوق، الدارك والشيء المدرك. الله يرى، الله يعرف، الله يدرك ذاته من خلال ذاته من دون أي أعضاء حسية للنظر أو المعرفة أو الإدراك ومن دون وجود لكيان أو أشكال ينظر إليها أو يعرفها أو يدركها. تماماً كما هو حال كيانه من دون شروط، كذلك النظر والمعرفة والإدراك التي يتصف بها الله هي من دون شروط. أي شخص لا يعرف ذاته فهو أعمى ولا يرى. ومن يعرف ذاته فإنه سوف يرى الحقيقة ومن وصل إلى هذه المرحلة من التطور الروحي فهو سوف يعرف أنه لا شيء غير الله. الشخص الذي يعرف ذاته هو إنسان عنده تصميم وإرادة وطاقة وثبات لمعرفة ذاته لكي يعرف الله. هم وضعوا تصوراً لما يبحثون عنه ولديهم شوق للتوحد مع الله. العيون لا ترى الله لكن الله يرى العيون. ليس هناك كائن آخر في الوجود له عيون لكي تراه. ليس هناك أي شيء في الوجود لكي يدركه. إنه الله هو الذي يدرك ذاته من خلال ذاته. هو يدرك ذاته وجوهره وليس هناك أحد غيره. ليس هناك شيء وليس هناك عيون

هي غير عيون الله. هو يدرك ذاته من دون أي وجود للإدراك من دون شروط ومن دون وجود لأي كائن آخر. أنا أعرف الله من خلال الله من دون أي شكّ. جوهري هو جوهر الله من دون نقص أو انعدام الكمال. منذ أن عرفت ذاتي من دون خلط أو عيب أنا توحدت مع الحبيب من دون مسافات أو قرب. ذاتي لم تتلاش في الله ولم يبق من ذاتي شيء. أنت أثبت وجود الله ونكرت وجود أي شيء آخر بجانب الله. فما هي هذه الأشياء التي تراها؟ من عرف ذاته لم ير أي شيء آخر فقط الله ومن لا يعرف ذاته فهو لم ير الله. أما الشخص الذي لم يتوحد مع الله فهو ليس بإمكانه أن يتوحد معه بالدراسات النظرية، بالتعليمات، بالتكرار، بالعقل أو بالتعلم. فقط بأن يضعوا نصب أعينهم النور الإلهي وأن يتبعوا الحياة الروحية في الفعل والكلام وفي علاقاتهم الاجتماعية ـ قال الله: «يا بن آدم كنت مريضاً ولم تزرني، كنت جائعاً ولم تطعمني، أنا طلبت منك وأنت لم تعطني.»

الهروب من اللّه:

ليس هناك مكان يمكن أن نهرب إليه من الله، خارج الله. ليس هناك سبب للهروب من الله الذي هو الكون، هو قانون الطبيعة، هو مجرى التأريخ. لماذا نحاول الهرب من الحقيقة التي نحن جزءٌ منها؟ الإنسان جعل من الله شيئاً له صفات بشرية وملائماً لحاجاته وراحته، الله هو نتاج تصوراته ورغبات تفكيره، مما دعى الملحدين النزيهين إلى رفض هذا الإله وهم محقون بذلك. الحضور الإلهي هو روحي.

هو داخل أعمق جزء من حياتنا الروحية هو عقلنا الواعي وغير الواعي هو رغباتنا وإحساساتنا هو تصوراتنا. كيف نقف أمام المرآة التي ليس فيها شيء مخفي؟ الله موجود في عمق كلّ مخلوق وهو دائم الحضور أكثر من حضور المخلوق لذاته. وهذا الإله هو يحتوي جميع الأشياء وفي داخل جميع الأشياء. نحن ليس بإمكاننا أن نحب الله لذلك لا يمكننا أن نقرر وجوده. نحن ليس بإمكاننا أن نجعل منه أكثر حكمة وأكثر قوة. امتنع عن سبّ الله وكرهه. الله موجود أمامنا وخلفنا وفي كلّ جانب واتجاه وليس هناك مخرج من هذا الوجود. الله كلّي الوجود، الله في كلّ مكان هو يعرف كلّ شيء. لقد صُوِّرَ الله بهيئة إنسان جبار عظيم، هم حولوا تجربة دينية شاملة إلى خلاصة مصغرة إلى نظرية فلسفية التي يمكن قبولها أو رفضها، تعريفها وإعادة تعريفها واستبدالها. في تصور الله كشيء بجانب الأشياء الأخرى. نحن ليس بإمكاننا في أي وقت من الأوقات أن نفصل أنفسنا عن هذا الكون الذي ننتمي إليه. ليس هناك خصوصية مطلقة أو عزلة نهائية. كياننا الكلي هو معكوس بالمرآة ولا شيء يمكن إخفاؤه. مركز وجودنا الكلي داخل مركز جميع الأشياء ومركز جميع الأشياء يرقد داخل مركز وجودنا. الإله الذي لا يمكن الهروب منه هو أرضية كياننا وهذا الكيان طبيعته، روحه، وجسده هو من صنع الحكمة الإلهية. الديانات العقائدية المتعصبة ظهرت لتلهب غرور المذاهب والأديان ووحشية أخلاقهم وصلابة تشريعاتهم. كُفر الأديان ظهر ليشوه تأريخ الأديان ورؤية الأنبياء لعالم أفضل وذات متوحدة والذي لم يكن بالإمكان

تفاديه حتى في زمن الأئمة والحكماء. هم احترقوا بنيران الوجود الإلهي في ضمائرهم وانتشرت هذه النيران المتوهجة لتشمل العالم كله. كُفر الأديان هو حقيقي ويتناقض مع روح الله. هذا التوتر الأبدي هو المناخ الذي تعيش فيه الأديان. هو أيضاً المثال الحقيقي لموقف كلّ إنسان. هو ذلك التوتر الذي يعيش فيه الإنسان المعاصر حتى ولو أنه ربما فقد طريقه إلى الديانات التقليدية. الإنسان في النهاية يُحكم عليه عندما يصل إلى حالة التوتر هذه وهل بإمكانه أن يتغلب عليها؟. إن في تحمله أكثر رهبة وأكثر صعوبة من أي شيء آخر في هذا العالم. ومع هذا فإن تحمله هو الطريق الوحيد الذي بواسطته يمكننا بلوغ معنى الحقيقة الأبدية، السرور، والحرية في حياتنا.

أنا الحق:

عندما تتفجر موجات الحياة وتنتشر قطرات تتلألأ بألوان زاهية متعددة، هذا البريق يدوم لحظات ثم يختفي نهائياً. تحت هذه الظروف يبدو مستحيلاً وغير مقبول للعقل فهم أن الذات ترقد داخل قطرة منعزلة ومنفصلة عن الكون وإنما هي جزء من هذا الانفجار العظيم للطاقة الذي يمتد من أقصى الكون إلى كلّ خلية من خلايا جسمي، في هذا المستوى من وجود الذات فأنا لا يمكن قياسي بأي معيار، أشكالي أبدية التكوين ليس لها بداية أو نهاية ومجيئها واختفاؤها هو نبض الحياة المفعمة بالحيوية والنشاط الأبدي. صعوبة فهم هذا الشيء سببه هو أننا نفكر وفق المفاهيم التقليدية الموجودة والمألوفة التي تربينا عليها، هو كشخص يحاول أن يصف لون المرآة

بالألوان المنعكسة في المرآة. إن الأساس أو الأرضية لوجودنا ولإدراكنا لا يمكن فهمه بموجب المفاهيم والأعراف السائدة. نحن جميعاً ذات واحدة هي ذات الله، هو أنت وأنا وجميع البشر في هذا العالم، جميع النباتات والحيوانات والجبال والصخور والبحار والنجوم والكواكب، وهو ليس له بداية ولا نهاية. ليس لله شكل إنسان. الإنسان له جلد ودائماً هناك شيء خارج جلده، فإذا لم يكن هناك شيء خارج جسم الإنسان فإننا لا نعرف الفرق بين ما هو داخل أو خارج أجسامنا. لكن الله ليس له جلد أو شكل وذلك لأن ليس هناك شيء خارج ذات الله. ما هو داخل وما هو خارج الله هو الشيء نفسه. الله هو ذات الكون لكنك لا يمكن أن ترى الله وللسبب نفسه لا يمكنك أن ترى عينك من دون النظر في المرآة. وبالتأكيد فإنك لا يمكنك أن تعض أسنانك أو أن تنظر داخل رأسك. الله «الذات الكونية». الأساس الجوهري للكائنات هو أنت، أنت الحق، لكنك لو قلت أنا الحق كما فعل الصوفي منصور الحلاج سنة ٩٢٢م في مدينة بغداد، كان مصيره أن رُجم بالحجر حتى الموت. في المجتمعات المتزمتة والملتزمة بالديانات التقليدية والتي ليس لديها انفتاح ذهني للتجديد فإن من يقول أنا الله أو أنا الحق فإن هذا هو محك الجنون وأعظم الكفر وأكبر الضلالة. أي إنسان ذو عقل سليم إذا اعتقد أنه الله يجب أن يُحرق أو يُرجم بالحجر حتى الموت. وليس هناك أي إنسان ذو عقل سليم يصدق هذا الكلام الهراء. فقط الأبله المعتوه يرى نفسه إلهاً ذا قوة عظمى يحكم العالم ويتوقع كلّ إنسان آخر أن ينزل إلى الأرض ساجداً له. سبب هذا هو أننا ننظر إلى الله كإمبراطور يحكم

العالم، كخبير له معرفة مطلقة بهذا الكون، يسيطر على كلّ ما نفكر به أو نعمله وكلّ صغيرة وكبيرة. لا تعتقد أن الله هو شخص ذو قوة جبارة منفصل ومنعزل عن العالم يحكمه ويديره من فوق كإمبراطور. إن الله هو ليس تحت أو فوق. هو كلّ شيء وفي كلّ شيء. ليس هناك وجود لأي شيء فقط الله. هذا النوع من التفكير والتصور لله لم تتقبله الديانات التقليدية المتعصبة إن كانت في الإسلام أو المسيحية. لكنه يجذب إليه أشخاصاً ذوي ذهن منفتح على الأفكار الجديدة ولهم حرية الاختيار وهم لا يمكن أن يتقبلوا أو أن يلتزموا أو أن ينضموا إلى التيار العام في تقبل التشريعات والقوانين الإلهية التي أنزلت على أنبياء قبل آلاف السنين وتُفرض الآن على حضارتنا العصرية بالقوة ضدّ إرادة الإنسان وحريته الشخصية في الاختيار. الشيء الذي يتحكم في حرية اختيارنا هو ما فيه فائدة أو ضرر لاستمرار حياتنا، لتثبيت مركزنا الاجتماعي ولضمان سلامة الذات الشخصية. جهل الذات الشخصية وتصورها الخاطئ وعدم تفهمها أننا نحن البشر كلّ واحد منا هو ذات واحدة هي الذات الإلهية مختفية وراء قناع المتضادات مثل الضوء والظلام، صوت وصمت، مادة وفضاء، داخل وخارج، وجود وعدم وجود، سبب ونتيجة، مسلم ومسيحي، شيعي وسني، غني وفقير، مَلِك وخادم، أسود وأبيض، رجل وامرأة، هم أقطاب أو تعبير لشيء واحد. هذا الشيء يسمى الوجود، الله، أو الجوهر الأساسي للوجود. أنت الذي جئت إلى هذا العالم وعشت لفترة من الزمن في كيس من الجلد هو شيء هراء هو خدعة وشيء زائف. الحقيقة هي أنه لا يوجد شيء أو هيئة أو كيان في هذا الكون خارج أو منفصل عن الكل.

حقيقة الإنسان وحقيقة الذات الشخصية هي الذات الشاملة، الذات الإلهية. الفرد يمكن فهمه ليس كشخص منفصل ولا هو ماكينة لها روح وقابلة للاستهلاك. هو يمكن أن يُنظر إليه كنقطة مركزية تُعَبّر عن هذا الكون العظيم هو الذات الإلهية تعبر عن نفسها. هذه النظرة للإنسان تجعل منه شيئاً مقدساً وفي الوقت نفسه تجعل الذات الشخصية تتلاشى وتضمحل وبهذا فإن الذات تكون قد بلغت الذات الإلهية المقدسة. هذا الوهم بأن للإنسان ذاتاً منفصلة يمنع الشخص رؤية أن تدليل الذات الشخصية هو تدليل الشقاء والبؤس. الذات الشخصية هي ليست ضرورية للفرد لكي يُعَبِّر عن صفاته الفردية المميزة. لأن كلّ شخص هو تعبير مميز للكلّ، مثل أغصان الشجرة، فكلّ غصن هو امتداد للشجرة الأم. كما هو حال أصابع اليد كلّ ممكن أن يتحرك بصورة مستقلة ومختلفة عن الآخر وهم جزء من جسم الإنسان. الاختلاف هو ليس انفصالاً. الرأس والقدم يختلفان عن بعضهما ولكنهما ليس منفصلين. الذات الحقيقية هي عملية مستمرة من دون بداية ولا نهاية تحتوي على متضادات تعيش مع بعضها في توافق وانسجام ولا يمكن وصف جميع هيئات هذه العملية، ليس فقط بأن كلّ موقف على انفراد هو معقد بصورة لا نهائية وكذلك لأن الموقف الكلي هو الكون. ليس هناك شيء أو كائن موجود لوحده أو يتصرف لوحده بمعزل عن الكائنات الأخرى. كلّ كائن هو عملية، لهذا فإن الكائن ما هو إلا أفعاله. الكائن وأفعاله هو عملية لا يمكن فهمها بمعزل عن العملية الأكبر والأطول للمحيط الّذي يعيش فيه. توازن الطبيعة وانسجام المتضادات التي فيها الإنسان

ازدهر ونما هي شبكة من الكائنات الحية المعتمدة بعضها على الآخر والتي تعد غاية في التعقيد وتذهل العقل. ذات الإنسان غير محددة بالجلد، ذاته تشمل الكون في نوره وظلامة في وجوده وعدم وجوده، هذه هي صورة ذات الإنسان الجديدة. هذا الكون هو أنت، عندما تنظر إلى الكون هو في الحقيقة الكون ينظر إلى نفسه من خلال أعيننا. لا تتجرأ أن تفكر ولو لحظة واحدة أنك مخلوق صغير، على الضدّ من ذلك أنت هذا الكون.

الحياة الاعتيادية هي اللّه:

الدين هو تجارب روحية، من يطلب الدين يميز نوعين من التجارب الروحية:

الأول: هو حالة ذهنية، كالسعادة، الحب، الخوف.

الثاني: هو تجربة شيء خارج الذات. التجربة الأولى تعطي الإحساس بالحرية. التجربة الثانية رؤيا مفرحة جداً. الرؤيا لها أشكال وألوان وحركة، هي مألوفة لجميع الأديان. الإسلام والنصارى واليهود يؤمنون بإله شخصي. بينما الصوفية والهندوس والبوذيون لا يؤمنون بذلك الإله. لأجل معرفة المعنى الحقيقي لما ورد في الكتب السماوية توجب علينا طرح السؤال التالي: ماذا تعني نصوص الكتب المقدسة من وجهة نظر عقلية المفسر؟ اختلف الفقهاء تبعاً لاختلاف الحالة الذهنية لكلّ مفسر ومستوى فهمه لتلك النصوص الإلهية. كلّ الأشياء المحتملة، أحداث، أفكار، مواصفات، هي مظاهر لحقيقة واحدة

والتي تسمى في بعض الأحيان الذات الكونية، أو الذات الإلهية، تلك المظاهر المتعددة في ذاتها الخاصة هي ليست حقيقة لكن تكون حقيقة فقط إذا كانت تعبّر عن الذات الكونية، الذات الحقيقية لأي مظهر هو الله. لذلك فإن كلّ فرد هو مظهر من مظاهر الله، وليس هناك مظهران متشابهان. لكن ذات الإنسان هي أكثر من أن تكون ذاته الشخصية وغروره. هي ليست محمداً أو عليّاً أو القديس فلان أو الإمام فلان. جوهر ذات الإنسان هي متطابقة مع جوهر الذات لجميع الكائنات التي تتضمن جميع البشر، جميع الحيوانات «القطط والكلاب والأسماك.... الخ» وجميع النباتات، البحار والكواكب، والنجوم. لذلك فإذا أراد أي فرد معرفة ما هو «الله» ما عليه سوى النظر في ما حوله. أن نفكر، أن نعمل، أن ندرك، أن نعيش، وكلّ ما تحس به الحواس وكلّ الأفكار في الدماغ هي الله، الحياة الأبدية، المطلق، من دون بداية ولا نهاية، لم يلد ولم يولد. ليس له داخل ولا خارج، هو واحد من دون ثنائية المتناقضات، لأن ليس هناك وجود لشيء آخر بجانبه وليس هناك شيء آخر خارجه. هو موجود على سطح الكائنات وكذلك في عمقها. ليس هناك نهاية ومن دون بداية، إن جميع المفاهيم حول الكسب والخسارة، نهاية وبداية هي تتبع مبادئ الازدواجية. وكلّ مبادئ الازدواجية هي تفرقه. نحن من جماعة الشيعة وأنتم من جماعة السُّنة، نحن مسلمون وأنتم نصارى، لكن الله هو حقيقة واحدة هو متضمن لجميع الكائنات. الله يتضمن العقل الواعي والعقل غير الواعي، هو يتضمن الحياة والبصيرة، هو يتضمن الأرض والماء، هو يتضمن

الهواء والفضاء، هو يتضمن الضوء والظلام، هو يتضمن الرغبات والسلام، هو يتضمن الغضب والحب، هو يتضمن الخير والشرّ، هو يتضمن جميع الأشياء القريبة والأشياء البعيدة، **هو يتضمن الجميع**. ماذا نعني بأن الله متضمن جميع الأشياء وكيف يتسنى للعقل أن يتقبل مثل هذا المفهوم؟ كيف يفكّر ويشعر المتصوف الذي يفهم هذه الحقيقة هو أنه من الله؟ هل تفكيره امتد خارج جسمه ودخل في جميع الكائنات فهو يرى بعيون الآخرين ويفكّر بعقول الآخرين؟ نحن باستطاعتنا الإجابة على هذا السؤال بصورة مقنعة إذا تمكنا أن نكتشف ما هي حالة الدماغ المتضمنة لجميع الأشياء؟ إذا كانت الحياة الروحية تعني أننا نعمل الخير ونمتنع عن عمل الشرّ فهذا يعني الازدواجية وليس الله لأن الله هو متضمن لجميع الأشياء. هل حالة الدماغ المتضمنة لجميع الأشياء معناه أن نفكر بكلّ شيء في الوقت نفسه؟ وهذا سوف لن يتضمن التفكير في شيء واحد في لحظة معينة، وهذا ازدواجية أيضاً. التنور الروحي يوصف أحياناً بالحرية المطلقة للروح، ونحن شاهدنا أن الحقيقة الواحدة هي متضمنة للجميع، هي عقل المتصوف المنفرد والمتضمن لجميع الأشياء. **خدمة الله هو في أن نعيش حياتنا**، هو ليس كيف نعيش حياتنا؟ لأن جميع طرق الحياة هي متضمنة في الله. لأجل أن تفهم هذا هو أن تعلم أنك حرّ لكي تعيش. لأجل بلوغ الحياة الروحية ما عليك إلاّ أن تعيش حياتك كما كنت تعيش دائماً، كلّ الكائنات الحيّة هي الله وجميع أنواع الحياة هي روحية. إن فكرة جميع أنواع الحياة هي روحية توجه صفعة قوية إلى

كبرياء الإنسان ـ من وجهة النظر الروحية فإن هذه الفكرة تضعنا بنفس مستوى الأحجار، الخضراوات، الديدان، الخنافس، الكلاب، القطط، وتضع الإنسان الصالح بنفس مستوى الإنسان الشرير، والقديس بنفس مستوى المجنون. إنها على الأقل جرعة قوية ضدّ الغرور الروحي وحبّ الذات المطهّرة. في العالم الروحي ليس هناك مرتبة عالية ومرتبة سفلى. هنا جميع البشر وجميع الأشياء متساوٍ وما يقومون به لا يرفعهم إلى الأعلى ولا ينزلهم إلى الأسفل. الفرق الوحيد بين الصوفي والقديس أو الإمام والإنسان العادي غير المتنور هو أن القديس يتفهم ذاته هي من ذات الإله بينما الإنسان غير المتنور لا يفهم هذا. لكن عدم الفهم لا يغيّر الحقيقة. كيف يتمكن الفرد من بلوغ هذا الفهم؟ أنت إذا لم تسعَ من أجل بلوغ هذا الفهم وأن تجعل من نفسك إلهاً، أنت وبكلّ بساطة تصبح مغروراً جداً. لكن إذا أعطيت نفسك الحرية لأن تكون نفسك، فسوف تكتشف أن الله هو ليس الغاية التي يتوجب عليك بلوغها إنما هو أنت على الرغم منك. الله دائماً موجود في الأماكن المتواضعة ومملكة الله هي في داخلك. الطريق القديم إلى التصوف هو أولاً أن تعرف ذاتك. طالب التصوف وجد أن قوى الطبيعة العملاقة لها نسخة مطابقة في داخل الذات، وأن كيانه هو ليس وحدة متجانسة إنما مجمع لجميع الآلهة والشياطين، ويجب أن تعرف كيف تتعامل معهم في داخل ذاتك قبل أن تتعامل معهم في هذا الكون. سوف ينجح إذا واجههم بالحب واعترف بهم كظواهر لنفس الإله والتي هي تركيب ذاته الحقيقية. بهذا الحب هو

يبطل السحر ويصبح البادئ الحقيقي. لكن الإنسان أصبح عقلانياً زيادة عن اللزوم ونسي الآلهة والشياطين في داخل ذاته وتطلع إلى السماء يبحث عن الآلهة فلم يجد سوى فضاء شاسع وصخور ميتة وغازات محترقة، هو بحث عنهم في الأعاصير والرياح ولم يجد إلاّ قوى الطبيعة التي ليس لها عقل. هو بحث عنهم في الغابات والكهوف ولم يجد إلاّ مخابئ الحيوانات وصرير الأغصان، ظلّ وتيار هواء. هو ظن أن الآلهة ميتة ولكن في الحقيقة هم أصبحوا أكثر أحياءً وأكثر خطورة لأنهم يعملون من دون أن يميزهم أحد. هم اختاروا من اعتبروه نمطاً جيداً في السيرة الحسنة مثل سيرة الأنبياء والأئمة وجاهدوا لفرض هذا النمط على حياتهم الخاصة من دون أي زيادة تمهيدية. هم نسوا أنه من المستحيل على الإنسان أن يتصرف كالإمام أو القديس إلاّ بعد أن يتوافق مع قوى الشرّ والخير في داخل ذاته، وكنتيجة لذلك هو فقط تمكّن من أن يقلدهم بصورة سطحية لأنه لم يعمل الشيء الأساسي والضروري. هو يقلّد العظمة بالمظهر فقط. تقليد الصحابة والآئمة والأنبياء هو في بعض الأحيان مكيدة وضعت لنا من قبل الشياطين لتحطيم أنفسنا. وطالب التصوف بكلّ بساطة لا يفهم هذا حتى ينظر في داخله يبحث عن المُجَمع المخفي للآلهة والشياطين ويتغلب عليهم بالحب أو بقبول الذات، هو سوف سيبقى أداة الشياطين غير المقصودة. الحقيقة الكونية العظمى تمتاز بأنها واحدة وفهم هذا الشيء ومعرفة أن جميع الصور والأشكال

الكونية هي بالحقيقة واحدة حتى وإن كانت متعددة. الاختلافات والتعدد الذي يظهر للعين ما هو إلاّ وهم **والرجل العاقل** لا يخدعه هذا الوهم. هو يفهم أن الحقيقة هي واحدة من دون ثانٍ. هو يستشعر بالوجود الإلهي معه في كلّ لحظة. قوى الطبيعة تعمل من خلاله، يصبح الله فكره ومشاعره وهذا يعطيه حافزاً قوياً وحرية روحية. هو يشعر بالحرية والسلام. هو متحرّر من ذاته الشخصية. هي الشيء الوحيد الذي يقف في طريق التنور الروحي. الإنسان غير المتنور يمسك بقوة على ذاته الشخصية لأنه يخاف أن يفقدها، هو لا يثق بالحقيقة ولا يثق بطبيعته كإنسان. هو مرعوب من حقيقة كيانه، مرعوب من قبول ذاته الإلهية ويحاول أن يخدع نفسه بالاعتقاد أنه ما يأمل أن يكون. لكن هذه الآمال والرغبات هي الروابط التي تقف في طريق تنوره الروحي ومعرفة حقيقته ووحدته مع الذات الإلهية. ما هو حقيقي هو أن تدع الحياة تعيش حياتك بدلاً من أن تعيش أنت حياتك. قريباً سوف تصل إلى نقطة لا يمكنك أن تعرف هل أفكارك وأحاسيسك هي ملكك أم أن الحياة وضعتها فيك؟. لأن التمييز بينك وبين الحياة يكون قد اختفى. إذا عرفت الحقيقة فليس هناك تمييز فقط في تصورنا. هذا يسمى التوحد مع الله لأن من يفقد حياته سوف يجدها. المتضادات الزوجية التي تواجهنا في كلّ لحظة من حياتنا: الفاعل والمفعول به، أنا وأنت، السالب والموجب، شيء ولا شيء، الواحد يتميز عن المجموع. لكن في اللحظة التي ميزنا بها هذا الواحد عن المجموع نحن خلقنا زوجاً متضاداً آخر. لذا فنحن قد

خلقنا عملية سوف تستمر إلى ما لا نهاية مع زيادة في التعقيد. هناك حقيقة واحدة وجميع الاختلافات هي وهم. هناك مبدأ واحد لهذا الكون وليس مبدأين. والتنور الروحي هو إدراك تطابق الذات الشخصية مع الذات الإلهية.

هدف الدين:

إن هدف الدين هو تطابق الذات الشخصية مع الذات الإلهية **بالإكراه**. إن في محاولة الدين تطابق الذات الشخصية للفرد مع الذات الإلهية بالإكراه فالدين يخلق الازدواجية. هذه الازدواجية تظهر في اللحظة التي تؤكد فيها أو تنكر فيها أي شيء، في اللحظة التي نفكر هذا كذا وهذا ليس كذا فنحن قد فصلنا بين هذا وذاك. القوم الضالون يجب أن يتبعوا طريق الآلهة وهذا فصل بين الإنسان وخالقه. إذا كانت الحقيقة هي واحدة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فإن كانت أفكارنا متنورة أو غير متنورة، إذا كنا من القوم الصالحين أو من القوم الضالين فإننا الحقيقة. ليس هناك فاصل بين الحقيقة والوهم إذا كانت الحقيقة واحدة. إذا أردت البحث عن كيفية الاتحاد بالحقيقة فإن عملية بحثك هذه بحدِّ ذاتها هي الحقيقة، وكيف يمكنك أن تقول إنك فقدت الاتحاد بالحقيقة. القدرة على إيمان الفرد هي الوحيدة التي تستطيع إنقاذه. إدراك الفرد أن ذاته الشخصية هي ليست الحقيقة، والحقيقة هي واحدة وأن الكون واحد وليس هناك مبدأ ثنائية المتناقضات، هذا الفهم لوحده سوف يخرجنا من شرك المصير المحتوم لمن عمل

صالحاً سوف يدخل الجنة ومن عمل شرّاً سوف يدخل النار حتى وإن كان الإنسان لا يزال حيّا في هذا العالم ـ عالم الولادة والموت.

مشكلة الإيمان والتصوف تقع في شطرين:

الشطر الأول: هو أن التنور الروحي هو أن تفهم أن لا وجود لثنائية المتناقضات. لا وجود للحياة من دون موت، الخير من دون الشرّ. نحن لا يمكن أن نعتمد على واحد من ثنائية المتضادات كعمل الخير لكي ندخل الجنة. لأن الخير والشرّ هما ضروريان أحدهما للآخر، مثل الأَمام والخلف هما ضروريان أحدهما للآخر لأي شكل من الأشكال. منذ البداية كان غرض الديانات هو إيجاد وسيلة لإنقاذنا من عجلة الولادة والموت فأوحت بوجود الجنّة بعد الموت.

الشطر الثاني: هو عدم وجود الازدواجية «وحدة الكون». كلّ ذرة واحدة تحتوي في داخلها الكون كله، لهذا فما يفعله فرد واحد يؤثر على جميع الأفراد. إذا ارتفع رجل واحد فإنه يرفع معه الكون كله في الوقت نفسه. هم وجدوا أنفسهم في طريق روحي مسدود غير قادرين على تغيير ذاتهم، لأن الذات التي يبغون تغييرها هي الذات نفسها التي يجب أن تجري التغيير. عمل مستحيل كطلب تقبيل الشخص لشفاه أو عض أسنانه. كيف الخروج من هذا الطريق الروحي المسدود؟ الجواب هو بالتخلي عن جميع ما يربطنا بالحياة المادية. جميع الكائنات إن كانت ديداناً، شياطين، قديسين أو كفاراً كلهم يستحقون الحب. أنا لي الشعور نفسه للغني وللفقير، للعادل وللظالم، والطاهر

والفاسد، والقوم الضالين والقوم المهتدين، ذوي النظرة الطائفية والأفكار الزائفة ومن كان اعتقاده صحيحاً وجيداً. الحب لا يمكن كسبه هو مُلك الكون كالشمس والقمر والنجوم. شيء يجب قبوله بتواضع وعرفان الجميل لكن لا يمكن قياسه بمدى جدارة الإنسان. لا تتصور أنك سوف لا تُستقبل في الجنة بسبب أعمالك الشريرة. ولا تتصور أنك سوف تضمن دخول الجنة بسبب أعمال الخير التي قُمت بها. ما دامت أحاسيسك وأفكارك تربطك بالحياة الدنيا فإن جزاءك ليس في الجنة. الشيء المهم والوحيد هو أن تتخلى عن فكرة استحقاقك الجنة بقوة إرادتك. أي إنسان على علم بتقصيره، بتخوفه، برغباته بعواطفه بقصر نظره وبأي إحساس بالاتحاد أو التجانس مع حياة الكون إذا شخص ما أخبره أنه لو فتح عينه ليرى هو الله وكلّ محاولة لأن يتصف بصفات الله يجهده الخاص فهو يوصف بالمغرور الروحي. الإنسان يتجاهل الجنة التي وهبته له الطبيعة منذ البداية. هو يحاول جاهداً خلق واحدة له لكي ينال الفخر في اجتنائها.

عندما نقول إن الإنسان هو الله هذا يعني أنه إلهي أو مقبول مبدئياً كما هو، إن كان إماماً مقدساً أو كافراً ملحداً، عاقلاً أو أبله، هو مقبول لولادته في الله. الإنسان أُعطيَ الإحساس بالحرية لأن يكون كما هو عليه الآن وفي أي لحظة ـ **إنسان خير أو إنسان شرّ**. وهذا ينتج راحة عظيمة للذات المنفصلة. كلّ القوى الذاتية التي تكافح وتخطط سوف توضع جانباً بعد فهمنا أن الله لا يمكن بلوغه أو الخلاص منه لأنه هو وحده «هو» لهذا السبب فإن الله ليس له مضاد وهو الحقيقة

الوحيدة. كلّ المخلوقات هي الله منذ البداية. من الناحية العملية فإن هذه التجربة هي واحدة من التجارب الروحية الحرة والمنعشة التي تؤدي إلى درجة تقريباً تطهير حياتنا اليومية الاعتيادية من الخطيئة. لأن الإنسان عندما يشعر بالحرية لأن يكون ما هو، هناك سحر في كلّ عمل يقوم به وبكلّ فكرة يفكر فيها. رجل الدين الحقيقي ليس لديه أي شيء يعمله لكسب رضا الله. فقط أن يعيش حياته كما يجدها في الظروف المختلفة للوجود الكوني. إذا كنت تسعى جاهداً وبصورة واعية لكسب رضا الله فإن الله سوف ينفصل عنك. إذا كانت الحياة الاعتيادية هي الله وإذا كانت أفكارك هي التنور الروحي فلماذا هناك دين وأي شيء سوف يعلمنا هذا الدين غير أن يقول لنا استمر في حياتك الاعتيادية كما اعتدت كلّ يوم؟ ما هي الحقيقة؟ هي الحياة الاعتيادية هي الله. كيف يمكننا أن نرضي الله؟ إذا حاولت إرضاء الله فإنك سوف تنفصل عنه. حياتنا الاعتيادية هي أن نعمل نلبس نأكل في كلّ يوم. كيف نهرب من هذا الروتين؟ الجواب نعمل نلبس نأكل. هذا صعب تقبله، إذا كان صعباً تقبله إذاً البس اعمل وكل طعامك. اللبس والأكل هو يمثل الحياة. الإنسان كما هو، هو الله. ليس هناك ازدواجية في هذا الكون، إنك حرّ في داخل ذاتك، إنك في بيتك مع ذاتك ومع الكون الذي تعيش فيه. إنك تشعر بهذه الحرية الروحية عندما تتخلى عن رسم المخططات للمستقبل وتتقبل ذاتك كما هي.

إذا حاولت إرضاء الله والتشبه به فإنك سوف تنفصل عنه لأنك سوف تصبح ضحية الغرور الروحي. على الإنسان أن يعيش منغمساً

في حياة ملؤها حيوية ونشاط وبهجة وسرور. ليس هناك عائق في طريق تفكيره أو إحساسه. إنك تدع دماغك يذهب إلى أي اتجاه يريد لأن جميع الاتجاهات هي مقبولة وأنت حرّ في أن تترك نفسك في أي اتجاه. ليس هناك مكان للهرب من مبدأ وحدة الوجود. لأنك أنت الوجود. في هذه الحالة الذهنية ليس هناك وجود للغرور الروحي لأن محاولة التوحد أو التطابق مع الله هو عمل لا يمكن أن يحققه الإنسان. هذا الشيء تحقق له منذ بداية الخلق. تماماً كالشمس التي نُصِبَت عالياً لتعطيه الضوء والحياة. في الحياة الروحية صعب جداً على المرء أن يستلم من أن يعطي، إنها أحياناً صفعة إلى كبرياء الإنسان إذا استلم شيئاً من دون أن يبذل أي جهد للحصول عليه. معنى الحرية هو أن بإمكانك أن تفكر بأي نوع من الأفكار، أن تكون أي نوع من الأشخاص، وأن تعمل أي شيء من دون أن تنفصل عن طوق الحب الإلهي ورعايته. أنت حرّ أن تعمل ما يعجبك وما لا يعجبك، أن تكون حرّاً أو مقيداً، أن تكون حكيماً أو ساذجاً، ليس هناك أي مكان فيه إعاقة للفعاليات الروحية. وفي الوقت نفسه هناك إحساس عميق بالبهجة والسرور أثناء القيام بتلك الفعاليات الروحية. الفرد يشعر بالاندفاع والنشوة حين ينغمس في تلك الأفعال. تماماً كما يشعر الطير حينما يكون عالياً في السماء، هو حرّ في أن يحلق إلى الأعلى أو أن ينقَضّ إلى الأسفل، أن يطير متجهاً إلى الشمال أو إلى الجنوب، إلى الشرق أو إلى الغرب، أو أن يدور، أو أن يتسلق أو ينقلب أو يحوم. كلّ إنسان ولد من روح الله وكلّ الكائنات هي من الله

منذ البداية. إن مبدأ وحدة الوجود هو خارج نطاق الخير والشر، وإن بلوغ هذا الوعي لا يتطلب بالضرورة نزاهة الأخلاق والسيرة. أن تقوم بعمل آثم هو أن تصل إلى مرحلة لا يمكن تصديقها، وأن تصل إلى مرحلة لا يمكن تصديقها هو أن تُظهِر الحقيقة الإلهية في أعمالك. والحقيقة الإلهية هي وحدة الكون. هؤلاء الأفراد الذين بلغوا مرحلة لا يمكن تصديقها من الوعي هم لا يذهبون لا للجنة ولا للنار. هؤلاء الذين ارتكبوا الإثم ليس مصيرهم جهنم. لأن كلاً من مرتكب الإثم ومن وصل إلى مرحلة لا يمكن تصديقها هما من الحقيقة الإلهية، والحقيقة الإلهية بطبيعتها واحدة. ليس هناك أعمال خير ولا أعمال شرّ. ليس هناك شيء عالٍ وآخر منخفضاً. ليس هناك قبل ولا بعد. محاولة الفرد جاهداً وبكلّ غطرسة وعنفوان بلوغ هذه المرحلة من الفهم للحقيقة الإلهية. بالتأمل والصلاة وفرض نظام حياة الزهد والتقوى على نفسه هو فيه خطر الوقوع في الغرور الروحي فاحذر ذلك.

نحن البشر وجميع المخلوقات أشكال مختلفة لـ «الله» فعاملهم بالحسن والتبجيل. الذات الشخصية هي الذات الإلهية، ليست لنا ذات مستقلة عن ذات الإله. نحن لم نكن خارج الله ولا «هو» خارج البشر. «هو» معنا أكثر منا مع أنفسنا. الروح أقل التصاقاً بالجسم والله هو في روحنا وجسمنا. هو يجري فينا أو نحن نجري فيه كما تسبح السمكة في البحر. نحن نستعمل الله عندما نقوم بعمل من محض إرادتنا، وعندما نحقق أغراضنا. هو لم يعطنا صفاء الذهن، ورقة القلب، وقوة الجسم كهدية لكي نستعملها بصورة مستقلة ومنعزلة عنه. ولكن هو

سمح لنا بصورة واضحة وفي الحقيقة هو موجود أثناء استعمال كلّ واحدة منهم في التفكير، في الحب وفي العمل. هذا الحضور الإلهي يعطي حياتنا شعوراً مرعباً بالقدسية، كلّ ما نراه ونسمعه هو عبادة. هذا يعطي ميزة رهيبة لأعمال الشر. كلّ شيء في الوجود اخترقه الله بينما جوهره النقي غير الظاهر لا يمكن بلوغه. وبساطته الفائتة لا تمتزج مع المخلوقات التي انتشر فيها وأعطاها نور المعرفة والحياة والبقاء. أعمالنا الاعتيادية ونشاطاتنا الحقيقية التي نمارسها بحرية كلّ يوم تحدث على الأرض وفي الهواء وفي البحار، هي في صميم الله الكلي الوجود. لكن الديانات التقليدية إن كانت يهودية، أو مسيحية أو إسلامية فهي لا تفهم هذا وتعبد إلهاً منفصلاً وخارج الكون الذي خلقه. إن الأنبياء لم يكونوا أغبياء ليهدفوا إلى دين يُعَظِّم الذات الشخصية للفرد. كان هدفهم هو وبكلّ بساطة خدمة الله ونسب كلّ العظمة لله. لكن في أيامنا هذه هناك كثير من الناس وجدوا أنفسهم غير قادرين على الإيمان بدين الأنبياء فجعلوا من أنفسهم خلفاء لله على الأرض. الأمراء وأصحاب العمائم فشلوا في التشجيع على أي عبادة وتقوى حقيقية. نحن نعود إلى السؤال الأصلي: ما هي إذاً الحقيقة؟ وما هي الحياة؟ ربما الأسئلة سوف تبعث فينا روح التقوى. إذا كان الجواب هو: طريقة معينة للعيش ونوع خاص من الوجود ونحن نكرّس حياتنا ووجودنا للتطابق معهم، ما هذا الشيء الذي نعمله؟ نحن نختار شخصاً معيناً، إماماً، شيخاً، قديساً ونعتبره مثلاً أعلى يمثل جميع الأخلاق والصفات التي يجب أن يتبعها جميع

البشر. لكن هذه هي العقبة الخفية. عندما نمتدح صفات حسنة في شخص ما نحن نصبح مقلدين. ونجعل منه مثلاً أعلى لأنفسنا، هذه هي المشكلة القديمة التي هي أنك تريد أن تصنع لنفسك ذاتاً شخصية عظيمة. كلّ هذا يدور حول الغرور. لأنك لو تبجل الحياة والحقيقة الإلهية في نوع خاص من طريقة الحياة الشخصية فإنك سوف تنكر الحياة والحقيقة الإلهية لأعراق وقوميات من البشر لم يهتدوا بنور الإيمان. أنا أشكر الله الذي هداني ولم يجعلني من القوم الضالين، أنا الحياة، أنا الحقيقة الإلهية. الحياة والحقيقة الإلهية هي ليست ملك أحد تماماً كالشمس والقمر والنجوم هم ليسوا ملك أحد. الجهل والظلام الروحي هو نتيجة تمسكنا بمفهوم الثنائية والصراع الدائم بين القطبين المختلفين إن كان الله والإنسان، الذات الشخصية والعالم، العقل الواعي والعقل غير الواعي (الضمير)، الشيعة والسنّة. هذه الحالة الذهنية التي يجد فيها كلّ إنسان نفسه عندما يستشعر ذاته الشخصية. هناك اختلاف بين الذات الشخصية والكون الذي نعيش فيه والمجتمع الذي ننتمي إليه، مرة بعد أخرى نحن نجد متطلبات الحياة دائماً تتضارب مع المصالح الشخصية. هناك نزعة أنانية لاحتكار كلّ شيء لأنفسنا، لأن نجعل أنفسنا في القمة وأن نملأ خزائننا بكلّ ما هو موجود في الحياة يثير رغبتنا. كأن يرغب شخص ما بصفات معينة في الزوجة أو الابن أو الأب أو الأم، فصل تلك الصفات عن بقية الصفات الأخرى والاحتفاظ بها في معزل عن التغيير. أو أن يحاول إجبار الطقس أن يكون دافئاً وجيداً على الدوام. أو أن يأخذ جسم

الإنسان يفصل الأجزاء الجميلة منه عن الأجزاء القبيحة والنتيجة هو موت جميع الأجزاء. لأن هذا الفصل، عزل الذات عن الحياة ينتج شقاءً وموتاً روحياً. الذات عندما تنفصل عن الحياة هي بدون معنى، هي كإصبع يموت عندما ينقطع عن اليد. هذا الشيء ينطبق على أي شخص، فكرة، مبدأ، عقيدة، مذهب ديني، أو نوعية، معينة من الحياة الروحية تلتزم بها جماعة معينة وتريد فرضها على العالم. وعلى الضدّ من هذا فإذا كانت الذات غارقة في العالم أو ممتصّة كلياً في الله أو في المجتمع، أي اندماج جميع المذاهب والأديان في دين واحد وتصبح كجسم إنسان مؤلف من يد فقط أو رأس فقط، أو كلوحة فنية رسمت بلون واحد. لكن بين هذين الموقفين المتضادين، الذات الشخصية والعالم يمكن أن يكون اتحاداً وليس اندماجاً سوية كاندماج الماء مع العصير ولكن اتحاد كاتحاد الرجل مع المرأة وكلا المتضادين يحتفظ بشخصيته، ورغم هذا فالنتاج يكون طفلاً. كشف هوية الأشياء المختلفة في الوجود مثل الأشجار، الجبال، الماء، البشر وجميع الكائنات الأخرى ونكران وجود ذات شخصية لكلّ منها على انفراد هو فهم الحقيقة الواحدة ذات الأشكال المختلفة والتي أشكالها وهم. على الفرد أن يفهم أنه ليس فقط الذات الشخصية ولكن جميع الأشياء الأخرى في هذا الكون هي بدون معنى وميتة عندما تعتبرها لوحدها ككيان دائم منفصل ومكتف ذاتياً. ما لم يرتبط بالكل فإن الجزء هو من دون قيمة، إن ارتباط الجزء بالكل أو بالأحرى تفهم هذا الارتباط الموجود أصلاً، الذي يؤدي إلى ولادة الابن المقدس. تماماً إذا أحب الزوج زوجته فهو

يتقبلها ككل وفي الوقت نفسه هو يعطيها نفسه بالكامل تماماً كما يتقبل الإنسان العالم ويهبه نفسه. أن تهب نفسك للعالم هو أن تصبح روحاً من دون معنى، عملية، قشرة، ورقة، تعصف بها ريح الظروف. لكن لو استلمت العالم وأعطيت ذاتك للعالم في الوقت نفسه فإن الاتحاد يعم وينتج الطفل المقدس. في هذه الحالة فقط يمكن أن نقدّر الحياة حق قدرها، أن نتقبّلها بحب، وعرفان الجميل وتُبَجل ما هو جميل وسار في المخلوقات الأخرى سوية مع ما هو غير جميل وغير سار من خلال معرفتنا أن لا وجود للسرور من دون الحزن ولا حياة من دون الموت ولا لذة من دون ألم. أكثر من هذا، الألم والموت لا يمكن قبولهما بكلّ بساطة لأنهما نقيضان، هما يصنعان اللذة والحياة ولكن أيضاً هما أجزاء مكملة للذة أعظم وحياة أعظم. الحياة الأعظم هي أكبر من الحياة التي تناقض الموت، هي وجود يتناسق مع عدم الوجود. عندما نقول يولد طفل مقدس، عندما تتحد الذات الشخصية مع الحياة، إن ما نعنيه هو أن الإنسان يرتفع إلى مستوى جديد من الوعي للذات، هي ليست ذاتاً شخصية وحيدة ولا ذاتاً وحيدة في الكون، بدل ذلك الفرد يصبح مركز الانسجام الذي نتج عن الأخذ والعطاء من واحد إلى آخر. في الحقيقة هذا المركز هو موجود الآن إذا كنت تعرف هذا الشيء أو لا، لأنه لا يمكن لأي متضادين اثنين أن يكون لهما وجود ما لم تكن هناك علاقة بينهما. هناك حبّ بين الذات والعالم يزداد بمساهمة كلّ منها وهو أكثر من حب كلّ واحد على انفراد. تماماً كحب الزوج والزوجة للطفل هو أكثر من حب كلّ واحد منهم لنفسه.

الفصل الثامن
الطريق إلى القدسية

اختلفت الأديان في كيفية معرفة الله. كلّ منها رسم طريقاً منفصلاً وخطوت ثابتة يتبعها كُتِبت في نصوص أنزلت من السماء على أنبيائهم. إذا كان هناك إله واحد فلماذا اختلفت طرق الوصول إليه ومعرفته؟ الحقيقة الألهية هي واحدة لكننا نختلف في استيعابنا وفهمنا لها تبعاً لمستوى نضجنا العقلي. ليس هناك شخصان اثنان يدركان الحقيقة الأهلية بنفس المستوى لأن ليس هناك شخصان اثنان لهما نفس مستوى النضج العقلي. وكلّ شخص يبذل جهده على ما استطاع لبلوغ تلك المرحلة من النضج العقلي. تلك المرحلة الّتي فيها الجميع يعرفون الحقيقة الإلهية.

حياة الإنسان تتبع نمطاً معيناً كالقوس الصاعد.

في مرحلة **الذات الجسديّة**، احتمال معرفة الله هو شيء نادر، باهت، مجرد خيال.

في مرحلة **الذات المنفصلة** عندما يتلاشى التهديد بالخطر والخوف فإن احتمال معرفة الله أصبح شيئاً مشوقاً ومقبولاً.

في مرحلة **الذات المتوحدة** تصبح معرفة الله شيئاً يثير الاهتمام ويستحق التفكير فيه وربما حتى تجربة استذاقته.

في مرحلة **الذات التوابة** استذاقة الشعور بالإله التجريبية في مرحلة الذات المتوحدة تحول إلى عمل مؤكد ومدروس ومبرمج لأجل الإحساس بالإله من خلال التأمل، والصلاة التي تتنافى مع توقعات الذات الشخصية.

في مرحلة **الذات الخلاقة** لقد تذوقت الإحساس بالإله ما فيه الكفاية أما الآن فحان وقت اللعب، أنت متأكد في اختيارك الطريق الروحي.

في مرحلة **الذات المتبصرة** تكون قد اكتسبت براعة في مجال الحياة الروحية وحرية مذهلة في مجال الحياة المادية، حرية لم تحلم بها من قبل.

في مرحلة **الذات الإلهية** ليس هناك اختيارات أخرى. القديس اندمج من الإله الذي يبجله، والكون بأكمله يعمل بصورة تلقائية تبعاً للمبادئ نفسها وليس له علاقة بالكفاح من أجل البقاء.

كلّ حدث في حياتك يقع في مكان ما على سلّم تطور الذات هذا، والنموذج العام هو قوس صاعد إلى الأعلى. الطريق إلى القدسية أو طريق الحق يبدأ في ظروف اعتيادية ومواقف اعتيادية. ليس هناك طريق مختصر للقدسية. لأننا جميعاً لنا ذات شخصية، نحن نتخيل وبكلّ بساطة بإمكاننا أن نقفز إلى قمة جبل ونحصل على النور

الإلهي. لكن هذا لم يحصل أبداً. نضوج الذات شيء معقد جداً، مملوء بالمتناقضات. أنت بحاجة إلى أن تفهم أولاً أن ليس هناك ذات شخصية تبحث عن التنور. ليس لديك هوية شخصية. الهوية الشخصية أو الكيان الشخصي هو شيء وهمي صنعه لك غرورك. في الحقيقة هناك مجريان مختلفان لكلّ تجربة. لأن كلّ فرد هو محب في لحظة وطفل بحاجة إلى الحب في لحظة أخرى. إنسان ينشد الحياة الروحية في لحظة ومتزمت وملتزم بالعادات التقليدية القديمة في لحظة أخرى. حرّ ومسجون، محب للاستطلاع ولا مبالٍ، آمن وخائف في الوقت نفسه. الرحلة الروحية هي ليست طريقاً مستقيماً. وفي اختصار فإننا وجدنا كثيراً من نقاط الانعطاف في طريق التطور الروحي التي هزت أفراداً كثيرين عن اعتقاداتهم القديمة. لأن الحقيقة لها عدة وجوه وعندما ترى وجهاً جديداً فإن مستوى تطورك الروحي يرتفع. الحقيقة تتغير تبعاً للتغيرات في استيعابك لها. عدوّك هو ليس الشيطان ولكن النقص في التركيز. ممارسات متعددة مثل الصلاة، التسبيح، التأمل، التفكر، اليوغا، لها قيمة كبيرة على مرّ السنين لأنها تقوي التركيز وهي مفتاح الباب للدخول إلى العالم الروحي. الإنسان الروحي هو منصت جيد للأصوات الداخلية التي تأتي إليه من عقله الباطني (العقل غير الواعي). هو ذو رؤيا حادة للأشياء غير المنظورة. كلّ فرد يستلم نفس الإيعازات من الله عن طريق العقل غير الواعي. هذه الإيعازات التي تدفعنا للتصرف وفق أعلى مستوى الحياة الروحية، هي تأتي إلينا من العالم غير الحسي، نحن جميعاً مرتبطون بالمستوى نفسه من العقل

الكوني، الحق الكوني، الحب الكوني. الله وروحك الخاصة هم بتواصل متكامل دائماً. ما هو الشيء الذي يجب أن تعمله اليوم لكي تنضج روحياً؟ الجواب: توقف عن تعريف ذاتك. لا تقبل أي فكرة تبدأ بـ «أنا كذا وكذا» أنت لست هذا ولا ذاك. أنت غني عن التعريف لهذا فإن أي محاولة للقول: «أنا فلان» هي خطأ. أنت في حالة تغيير مستمرة على الدوام، وفي كلّ لحظة أنت شيء جديد، وعملية التغيير هذه لا يمكن تعريفها في لحظة سكون معينة. وما عليك إلاّ القفز إلى الأمام في طريق التغيير هذا. الطريق الواضح والوحيد إلى الله هو إدراك اللحظة الحاضرة، ما تحس به وما تعمله يدك الآن. نحن نتأثر بحالة وعينا وإدراكنا. كلّ انفعال أو موقف له معنى روحي رغم أن المجتمع لا يعترف بذلك. ليس هناك توقف في الطبيعة، المخلوقات إما أن تتقدم إلى الأمام أو أن تموت، هناك ميول أنها تتقدّم بالقرب من الله. أنا وأنت قديسان في حالة تطور وتقدم، الحياة مستمرة. تطور الطبيعة لا يمكن إيقافه. لديك القاعدة الأساسية للتطور الروحي وهو مسامحة أي شخص أساء إليك، أن تنسى الماضي، وأن تعطي نفسك فرصة ثانية في أي شيء فشلت به في المرة الأولى. أوجد مكانك في القوس الصاعد واستمر في الصعود. المُشاهد ليس منفصلاً عن حقيقة الكائنات المحيطة به والتي يراها بعينه. الفوتونات الضوئية التي تنقل الصورة إلى الدماغ هي بالضبط الفوتونات الضوئية نفسها المكونة لذلك الكائن. لهذا فإن الرؤيا الداخلية والخارجية هما غير منفصلتين. الضوء خارجي وداخلي هو ليس سوى ضوء واحد. هذا شيء يصعب

على بعض الناس تصديقه، لأن ازدواجية الأشياء: خارجي مقابل داخلي، حقيقي مقابل غير حقيقي، فاعل مقابل مفعول به هو شيء حُفِرَ في أذهاننا منذ الولادة. لأجل الخروج من هذه الازدواجية يجب علينا أن نفهم وجودنا الثلاثي (الروح ـ العقل ـ الجسم) نهر الحياة يجري من العالم الروحي إلى العالم المادي الذي يدركه العقل. الفوتونات الضوئية هي الوحدة الأساسية المكونة للطاقة الكهرومغناطيسية المكونة لكلّ شيء في هذا الكون. كلّ شيء تراه العين ويدركه العقل هو في الحقيقة غيمة من الطاقة تدور حول نفسها. الطاقة تأتي من اللاشيء ومن اللامكان وتتبلور في أشكال مرئية وفي أماكن معينة. الطاقة تنتقل من شكلها الروحي غير المرئي إلى شكلها المادي المرئي ونحن لا نعرف أي شيء عن حالة الطاقة في شكلها الروحي. العقل مُصَمّم لأن يحدّد المكان والزمان لكلّ شيء. لهذا فإن غير المنظور يندمج مع المنظور كالحياة تدخل زهرة أو الروح تدخل تمثالاً أمام أعيننا. استلام الدماغ معلومات ليس من هذا العالم تكون مربكة، شعور جديد ينشأ، ربما أكثر المشاعر غربة هو إدراك صافٍ: الفرد مستيقظ حي ولكن من دون تفكير أو إحساس والجسم شبه متخدر. أقرب الأمثلة لهذا الشعور هو اللحظات الأولى عندما تستيقظ صباحاً، أو آخر اللحظات قبل النوم مساءً. الفرد مستيقظ لكن ليس هناك محتوى، لا أفكار لا إحساس حتى الشخص لا يعرف من هو، ما هو اسمه، عنوانه وظيفته، عمره، اهتماماته اليومية، علاقاته الشخصية. هذه التجربة من الإدراك الصافي تقع في قلب الإدراك

الديني ـ هو ما تبغي الوصول إليه جميع الديانات. **صوت الحق** يتدفق دائماً من **العالم الروحي إلى العقل الباطني** ثم إلى **العقل الواعي** ثم إلى **العالم المادي**. هذا هو نهر الحياة. كلّ شيء يبدأ في العقل الكوني قبل أن يظهر كأحداث أو أشكال في عالمنا المادي. في كلّ فكرة، ذاكرة، رغبة، نحن نأخذ سفرة في نهر الحياة من المصدر غير المرئي إلى نهاية المرحلة في عالمنا المادي. العقل الباطني يمكن أن يستمر بالعمل وتسجيل الأحداث بعد أن يصاب الشخص بصدمة دماغية أو يكون تحت تأثير المخدر في غرفة العمليات حيث يكون فاقداً للوعي، وهذا إنما يدل على أن للعقل الباطني وجوداً مستقلاً. إنه العقل الباطني الذي يمر بالتجارب الحياتية والدماغ يسجل هذه التجارب. العقل الباطني هو طاقة غير مرئية لها سيطرة على العقل الواعي. هناك طاقة دماغية موجودة في الدماغ ومكانها هو أن هناك فجوة بين نهاية عصب وآخر تسمى سينابس (synapses). ربما تكون بيت الوعي الكوني، لأن ليس هناك وجود للمعرفة في داخل خلايا الدماغ ـ عقلنا الباطني هو أداة حيوية للاتصال بالله.

الدماغ يسجّل الأحداث والعقل الباطني يمر بالتجربة. الموجات الدماغية تحول المعلومات التي تصل إليه من العقل الباطني إلى صور وأفكار يمكن تميزها وتعريفها. الاعتقاد في إله رحمن رحيم وشديد العقاب حَفَرَ آثاراً عميقة في دماغ الإنسان بحيث من الصعب إدخال مفاهيم جديدة عن الله كلي الوجود. الذات الكونية ليست المعجزات التي تصنع الاعتقاد. نحن جميعاً نعتقد أن وهم العالم المادي هو

حقيقة كاملة. الاعتقاد هو سجننا الوحيد. هو يمنعنا من القيام بالرحلة إلى عالم الغيب أو الانفتاح لإحداث تغيرات متطرفة في معتقداتنا. اعتقاداتنا في النهاية سوف تتغير لتتلاءم مع الحقيقة، لأن في عالم الدماغ خُلِقَت الحقيقة. العقل الواعي يستلم إيعازات من العقل غير الواعي المرتبط بالعقل الكوني. كفاح الإنسان المتواصل من أجل اللذة واجتناب الألم سوف لن ينتهي ما دمنا مرتبطين بحاجات الذات الجسدية. الإنسان له خياران: إما أن يكون **حرّاً** إذا تبع الدماغ، أو أن يكون **عبداً** إذا لبى حاجات غرائزه وشهواته. يجب أن تنشد الرؤيا والإيحاء، هذه المعرفة التي مصدرها العقل الكوني، تَعَلم كيف تتصل بها.

الخاتمة

ثورة الشباب التونسي

ثورة الشباب التونسي

ثورة الشباب التونسي

ثورة الشباب المصري

ثورة الشباب الليبي

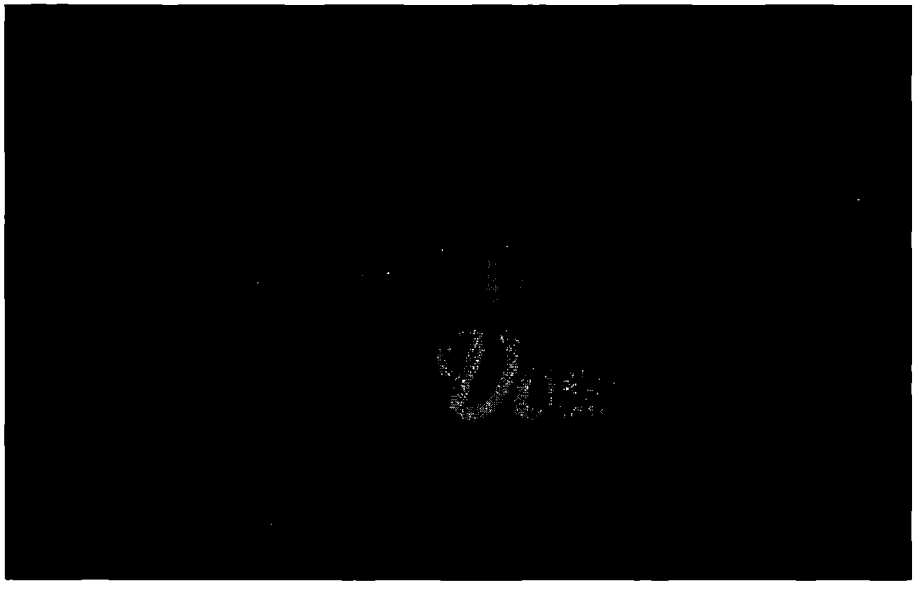

ثورة الشباب الليبي

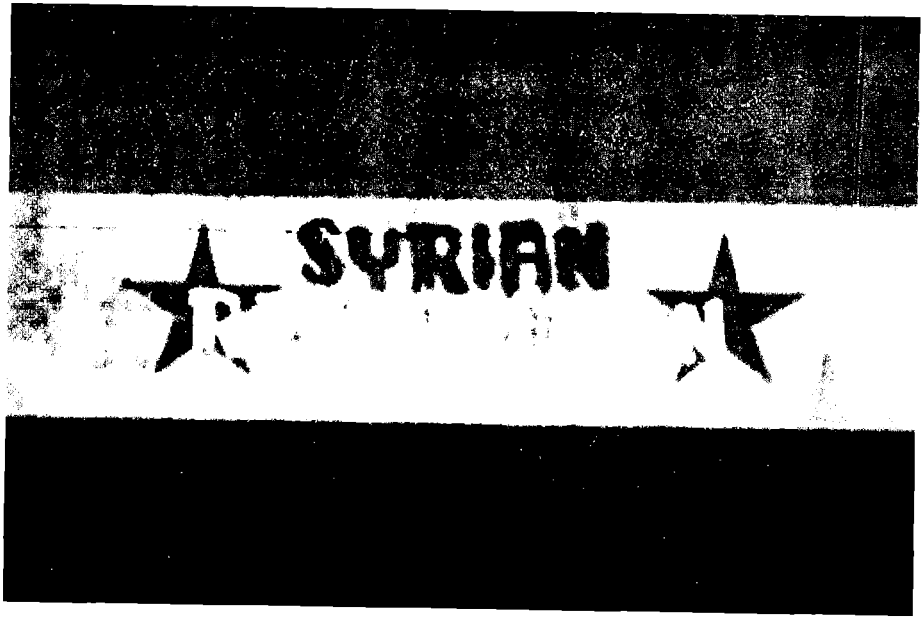

ثورة الشباب السوري

ثورة الشباب السوري

ثورة الشباب السوري

هذا الكتاب موجه إلى شباب هذا العصر الذين تتملكهم روح التجديد وسئموا التقاليد البالية وأدركوا بأنها مصدر بلائهم وأساس ضعفهم. شباب هذا العصر يدركون ويلاحظون النزاعات الطائفية والدينية بين الشيعة والسّنة وبين الإسلام والمسيح وما فيه من سخف وخبث تتقزز نفوسهم منه ويعانون من الظلم والطغيان فثارت نفوسهم ضدّ طغيان الحكام. مشكلة البشر جميعاً هي أن فريقاً يرى مساوئ غيره ولا يدري أنه مبتل بمثل تلك المساوئ على وجه من الوجوه. إن رجال الدين من الشيعة وأهل السُّنة يتنازعون على أساس قبلي كما يتنازع البدو في الصحراء. إن النزاع بين الشيعة وأهل السُّنة اتخذ التعصب لآل النبي من جهة ولأصحاب النبي من جهة أخرى. فأهل السُّنة تعصبوا للأصحاب بينما تعصب الشيعة للآل. وإذا أراد الشيعة وأهل السُّنة في هذا العصر أن يتحدوا فليرجعوا إلى شعارهم القديم الذي اتخذه زيد بن علي وأبو حنيفة، أي شعار الثورة على الظلم في شتى صوره. لا فرق في ذلك بين الظالم الشيعي أو الظالم السني. إن هدف الدين هو العدل الاجتماعي. يتضح من هذا أن القضية خرجت عن كونها نزاعاً حول مبادئ عامة وصارت نزاعاً على الرئاسة. اتخذ النزاع الطائفي بين الشيعة والسُّنة شكلاً صارخاً أثناء التنافس بين العثمانيين والصفويين على العراق. تنافس بين دولة سنية وأخرى شيعية. وبهذا وقع المجتمع العراقي بين حجري الرحى. وفي وقتنا الحاضر يستمر الصراع بين تركيا وإيران على مناطق نفوذ في الوطن العربي.

عارض أبو حنيفة الخليفة المنصور بنفس الشدة التي عارض بها الإمام موسى الكاظم عليه السلام الخليفة الرشيد. وقد مات كلاهما في سجن

هذين السلطانين الظالمين. فَرَقَ الحكام بينهما بعد الموت، إذ لم يستطيعوا أن يفرقوا بينهما في الحياة ـ ولله في خلقه شؤون. إن السياسة لا تدخل في شيء إلاّ أفسدته. فهي قد دخلت مذهب التشيع فأفسدته كما أفسدت مختلف المذاهب والأديان. وقد آن لأبناء الجيل الجديد من توحدت وتحددت ذاتهم أن يتعظوا بِعِبر الماضي، وأن يسلكوا من جديد مسلك قادتهم الأولين في ثورتهم على الظلم بشتى صوره.

يفتخر فقهاء الشيعة بأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً عندهم وهم في الواقع لم يستفيدوا من هذا الباب كثيراً. فهم يعتمدون في أرزاقهم على العامة. والعامة بوجه عام لا تحب التجديد فيما ورثته في الآباء من تقاليد وعقائد. إن المجتهد الشيعي مخول نظرياً أن يجدد في كثير من الأمور الشرعية. ولكنه لا يقوم بذلك عملياً خشية أن تثور العامة عليه فتقطع رزقه. وكثيراً ما يبطن المجتهد الشيعي شيئاً ويظهر خلافه من جراء ذلك. هم يتفلسفون فيما بينهم (إذ يسأل أحدهم الآخر «ما هو رأيك في ثلاثة إخوة، **الأول**: مات وهو مطيع لأوامر الله، **والثاني**: مات وهو غير مطيع لأوامر الله، **والثالث**: مات وهو طفل؟» فأجاب الآخر «**الأول**: يدخل الجنة **والثاني**: يدخل النار **والثالث**: لا يدخل الجنة ولا النار». إذا سأل الأخ الثالث ربه وقال: «لماذا ربي أخذتني وأنا طفل؟ لو تركتني أعيش لأصبحت مطيعاً لأوامرك ودخلت الجنة؟» فرد عليه الله وقال: «إني أعرف لو تركتك تعيش تصبح غير مطيع لأوامري وتدخل النار. لهذا كان من الأحسن لك أن تموت وأنت طفل» فقال الأخ **الثاني** لربه: «ربي لماذا تركتني أعيش لأصبح

غير مطيع لأوامرك لماذا لم تأخذني وأنا طفل صغير حتى لا أدخل النار» فماذا يكون جواب الرب في هذه الحالة؟). إنهم لا يظهرون تفلسفهم أمام العامة. فهم مجتهدون في الباطن مقلدون في الظاهر. وقلما نجد مجتهداً شيعياً يعلن آراءه الحرة على الناس. ومن يجرؤ منهم على ذلك يناله من العامة أذى كبير وأصبحوا بذلك كمن يستجير من الرمضاء بالنار. انتصرت البطن والغرائز على القيم الاجتماعية والمبادئ الإلهية. هذه العبودية الفكرية كبلت عقول المجتهدين تجاه العامة. والعامة فقدوا نزعة التدين. إن أكثر الناس لا يتركون دنياهم في سبيل إرضاء الله. فهم يلتزمون الدين عادةً حين يرونه ملائماً لمصالحهم الدنيوية. فإذا وجدوه مناقضاً لها انفضوا عنه وتركوه وراء ظهورهم. الناس عبيد الدنيا. أراد الحكام المستبدون والمستعمرون أن ينشروا في الوطن العربي والإسلامي النزعة العلمانية ليكافحوا بها نزعة الثورة الدينية فانعكست في أيديهم الآية وانقلب عليهم ظهر المجن ـ فالجيل الجديد حين ترك التعصب الديني التزم مكانه تعصباً آخر أشد منه وطأةً وأخذ يتحمس للمبادئ الوطنية والقومية المستحدثة تحمساً غريباً لا يضاهيه فيه تحمس آخر. فبعدما كانت في الوطن العربي والإسلامي طائفة دينية واحدة تنزع إلى الثورة صارت هناك أحزاب وتيارات فكرية مختلفة تدعو إلى الثورة واختلط فيها الحابل بالنابل. عاد المستعمرون وعلى رأسهم الامبريالية الأميركية إلى الوطن العربي والإسلامي واشترت الأديان لكي تكافح بهم الأحزاب الوطنية والقومية. كان الحكام ينهبون الشعوب والآن وبعد أن وصل علماء المسلمين إلى سلطة الحكم بمساعدة الأميركان أصبحوا هم ينهبون

أموال شعوبهم ويصادرون حرياتهم الشخصية وتغلبت النفوس على الرب الواحد. العدالة واتباع طريقة الرب هي ظاهرة اجتماعية لا تأتي في مجتمع إلاّ بعد تنازع الحاكم والمحكوم فيه. تنازع قوى التجديد مع القوى المحافظة. إن الحاكم لا يستطيع أن يكون عادلاً من تلقاء نفسه إذ هو قبل كلّ شيء إنسان صاحب ذات منفصلة تحكمه الغرائز مرة والقيم الأخلاقية الإلهية مرة أخرى، وهذا صراع أزلي في نفوس البشر. الإنسان هو الإنسان في كلّ زمان ومكان. ورجل الدين الذي يعرف القرآن والأحاديث النبوية ويبشر بالتقوى والزهد قد يكون من أظلم الناس إذا تولى زمام الحكم. هو الآن طيب لأنه بعيد عن مباهج الحكم. إذا أردت أن تعرف حقيقة إنسان فاعطه مالاً أو سلطة. إن طبيعة الحكم تحتاج في كثير من الأحيان إلى صفات بعيدة عن روح التقوى والتدين. فهي تحتاج إلى قسوة وتعسف وإرهاب وهي تؤدي أيضاً إلى نهب وتغطرس واستبداد. والمتدين إذا أصبح حاكماً فلا بدَّ أن يأتي عليه يوم يخرج فيه عن طبيعته الدينية وينجرف بتيار الترف والاستعباد والتعالي الذي تحتمه طبيعة الحكم. الإنسان لا يستطيع أن يترك غرائزه بإرادته واختياره. فهذه الغرائز مغروسة في أعماقه. ولهذا فهو يتأثر بها ويندفع أحياناً بتيارها اندفاعاً لا شعورياً لا سيطرة للفكر أو المنطق أو الإرادة عليه؟؟ والحاكم مهما كان صالحاً في ذاته فإنه لا يدري ما يقوم به الأصهار والأعوان والأحباء حوله من مكايد ومؤامرات في سبيل الاستغلال والترف. فهؤلاء ينهبون الناس من ورائه وهو لا يشعر. إنه يرى مظهرهم الوديع وابتسامتهم العذبة فلا يدري ماذا يختفي وراء ذلك من كوارث ومظالم. كلّ حاكم محاط

بحاشية تحجب الناس عنه. إن الحاشية التي تحيط بالحاكم تستطيع أن تجعل الأسود في عينه أبيض.

ظهرت الدولة السومرية لأول مرة في التأريخ بظهور المدينة. عمرها ستة آلاف سنة تقريباً. نشأت الدولة فنشأ معها الظلم الاجتماعي. شاهد التأريخ القديم نوعين من الأفكار: **الأول**: يدعو إلى المجد والفتح والترف، **والثاني**: يدعو إلى العدالة الاجتماعية. وعلى هذا فقد كان الناس قسمين: أرباب **دولة** وأرباب **ثورة**. وتأريخ المدنيات القديمة هو عبارة عن تفاعل مرير بين هذين النوعين من الأفكار. إن قادة الثورات في الأزمنة القديمة كانوا من طراز الأنبياء الذين يأتون بدين جديد يتبعهم الفقراء والمساكين من أبناء الشعب المظلوم. إن الثورة نزعة أصيلة من نزعات المجتمع المتمدن. والديمقراطية لم تنشأ في الأمم الحديثة من جراء أفكار صبيانية تحذلق بها المفكرون. إنما هي في الواقع نتيجة معارك طاحنة قامت بها الشعوب في وجوه حكامهم المستبدين. والديمقراطية لم تفترق عن الثورة حتى يومنا هذا. فتأريخها عبارة عن سلسلة متلاحقة من الثورات لا نهاية لها. إن نظام التصويت الذي تقوم عليه الديمقراطية الحديثة ليس هو في معناه الاجتماعي إلاّ ثورة مقنعة. والانتخابات هي في الواقع ثورة هادئة. إن ثوار الأمم الديمقراطية يستخدمون أوراق التصويت بدلاً من رصاص البنادق. والثورة المسلحة لا تحدث في أمة تلتزم طريق الديمقراطية الصحيحة. لأن الحكومة الديمقراطية تنبعث من صميم الشعب. فهي عبارة عن صورة ظاهرة لرغبة الشعب الباطنة. إنها من الشعب وبالشعب ومن أجل الشعب تحكم. فلا

تحدث فتنة ولا تسيل دماء. أسس معاوية المُلك الوراثي في الإسلام وأسس الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إزاءه الثورة الجامحة. وأخذت هاتان النزعتان المتضادتان تتفاعلان جيلاً بعد جيل. وانقسم المسلمون بهذا إلى جبهتين: إحداهما تدعو إلى المجد والفتح والحكم والأخرى تدعو إلى الثورة والعدالة الاجتماعية. وكانت كلّ جبهة تدعو الله أن ينصرها على أعدائها. ولا ندري من كان الله يريد أن ينتصر من هاتين الجبهتين المتنازعتين. إن الثورة نزعة أصيلة من نزعات المجتمع المتمدن. فإذا كان الحاكم استبدادياً فلا بدّ أن يكون ظالماً ولا مناص إذ ذاك من قيام الثورة عليه عاجلاً أو آجلاً. فلو لم يثر العلويون ضدّ ظلم الأمويين والعباسيين لثار عوضاً عنهم أناس آخرون. وتأريخ المدنية ليس إلا تأريخ النزاع بين المؤيدين والمعارضين. أولئك محافظون وهؤلاء مجددون. والظاهر أن النصر النهائي هو من نصيب المجددين. إذ إن على أكتافهم تقوم الديمقراطية الحديثة. ثار الشباب العربي ضدّ الطغيان، والربيع العربي وانتفاضته هي تعبير عن إرادة الشباب في التجديد وفك قيود ظلم وطغيان حكامهم، هم انتصروا لكن الربيع العربي سرقه الإسلاميون المعارضون لقوى التجديد بمساعدة أميركا وفرض هؤلاء الإسلاميون التقليديون الشريعة الإسلامية في حكمهم منكرين الحرية الشخصية للفرد خاصة الحرية الشخصية للمرأة. هم أصبحوا أداة بيد الأميركان الذين لا يريدون للوطن العربي والإسلامي أن يتقدم. لكن روح التجديد هي جزء من كيان الإنسان وإن فَشِلَ شباب التجديد الآن فسوف ينجحون غداً.

المحتويات

هذا الكتاب ١
المقدمة ٥
لماذا الحاجة للآلهة؟ ٥
بالنسبة للعِرق الآري ٥
شعب المايا (Maya) ٦
الإغريق ٦
في مصر القديمة ٦
السومريون ٦
الصينيون ٦
الديانات الهندوسية والبوذية في الهند ٧
الديانة البوذية ٧
الديانة المسيحية ٨
الإسلام ٨
الصوفية ٩
النذور ٩
الفصل الأول الذات الجسدية ١١
غريزة البقاء ٢١

الفصل الثاني الذات المنفصلة ٢٧
الفصل الثالث الذات المتوحدة ٦٧
الفصل الرابع الذات التوابة ١٠٧
التوبة ١١١
الكفر والغفران ١١٤
ولادة الذات الجديدة ١٢٧
الفصل الخامس الذات الخلاقة ١٤٥
الذات الخلاقة ١٤٧
قوى الطبيعة ١٥٠
الحب الحقيقي ١٥٢
الإيمان باللّه ١٥٤
الخلود ١٥٦
اللحظة الحاضرة ١٦٠
الإله الحقيقي ١٦١
الغضب الإلهي ١٦٣
صفات النبي ١٦٧
الحرية أو الأمان ١٧٣
رجال التجديد ١٧٥
نشر الرسالة الجديدة ١٧٩
رفض الرسالة الجديدة ١٨٩
التشريعات الدينية ١٩٤
الفصل السادس الذات المتبصرة ٢٠٣
إله الرؤيا «إله المعجزات» ٢١١
سرّ المعجزات ٢١٣

الفصل السابع الذات الإلهية ٢١٧
الذات الإلهية ٢٢١
هو اللَّه أحد ٢٢٣
الهروب من اللَّه ٢٣٠
أنا الحق ٢٣٠
الحياة الاعتيادية هي اللَّه ٢٣٦
هدف الدين ٢٤٢
الفصل الثامن الطريق إلى القدسية ٢٥٥
الخاتمة ٢٦٥